



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

( لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْنَاهُ  
خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ  
الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ )

( الحشر : ٢١ )



## الأمثال في القرآن

وقبل الخوض في المقصود نقدم أمورا :

### الأوَّ : المثل في اللغة

يظهر من غير واحد من المعاجم ، كلسان العرب والقاموس المحيط ، أنّ للفظ « المثل » معاني مختلفة ، كالنظير والصفة والعبرة وما يجعل مثالاً لغيره يُحذاه عليه إلى غير ذلك من المعاني. <sup>(١)</sup>

قال الفيروز آبادي : المِثْلُ - بالكسر والتحريك - الشبه ، والجمع أمثال ؛ والمِثْلُ - محركة - الحجة ، والصفة ؛ والمثال : المقدار والقصاص ، إلى غير ذلك من المعاني. <sup>(٢)</sup>

ولكن الظاهر أنّ الجميع من قبيل المصاديق ، وما ذكره من باب خلط المفهوم بها وليس للفظ إلا معنى أو معنيين ، والباقي صور ومصاديق لذلك المفهوم ، وممن نبّه على ذلك صاحب معجم المقاييس ، حيث قال :

المِثْلُ والمِثْلُ يدلّان على معنى واحد وهو كون شيء نظيراً للشيء ، قال ابن

---

١ - لسان العرب : ٢٢\١٣ ، مادة مثل .

٢ - القاموس المحيط : ٤٩\٤ ، مادة مثل .

فارس : « مثل » يدل على مناظرة الشيء للشيء ، وهذا مثل هذا ، أي نظيره ، والمثل والمثال بمعنى واحد. وربما قالوا : « مثيل كشيبه » ، تقول العرب : أمثل السلطان فلاناً ، قتله قوداً ، والمعنى أنه فعل به مثلما كان فعله.

والمثّل : المثل أيضاً ، كشيبه وشبهه ، والمثل المضروب مأخوذ من هذا ، لأنه يذكر موّرى به عن مثله في المعنى.

وقوله : مثّل به إذا نُكِّل ، هو من هذا أيضاً ، لأنّ المعنى فيه إذا نُكِّل به : جعل ذلك مثالا لكل من صنع ذلك الصنيع أو أراد صنعه. والمثّلات أيضاً من هذا القبيل ، قال الله تعالى : ( وَقَدْ حَلَلْتِ مِنْ قَبْلِهِمِ الْمِثْلَاتِ )<sup>(١)</sup> أي العقوبات التي تزجر عن مثل ما وقعت لأجله ، وواحدتها : مثّل.<sup>(٢)</sup>

وعلى الرغم من ذلك فمن المحتمل أن يكون من معانيه الوصف والصفة ، فقد استعمل فيه إمّا حقيقة أو مجازاً ، وقد نسب ابن منظور استعماله فيه إلى يونس ابن حبيب النحوي ( المتوفى ١٨٢ هـ ) ، ومحمد بن سلام الجمحي ( المتوفى ٢٣٢ هـ ) ، وأبي منصور الثعالبي ( المتوفى ٤٢٩ هـ ).<sup>(٣)</sup>

ويقول الزركشي ( المتوفى ٧٩٤ هـ ) : إنّ ظاهر كلام أهل اللغة أن المثل هو الصفة ، ولكن المنقول عن أبي علي الفارسي ( المتوفى ٣٧٧ هـ ) أن المثل بمعنى الصفة غير معروف في كلام العرب ، إمّا معناه التمثيل.<sup>(٤)</sup>

ويدل على مختار الأكثر ما أورده صاحب لسان العرب ، حيث قال : قال

١ . الرعد : ٦ .

٢ . معجم مقاييس اللغة : ٢٩٦\٥ .

٣ . لسان العرب : ٢٢\١٣ ، مادة مثل .

٤ . البرهان في علوم القرآن : ٤٩٠\١ .

عمر بن أبي خليفة : سمعت مُقاتِلاً صاحب التفسير ، يسأل أبا عمرو بن العلاء ، عن قول الله عز وجل : ( مَثَلُ الْجَنَّةِ ) ، ما مَثَلُها ؟ فقال : ( فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ ) ، قال : ما مَثَلُها ؟ فسكت أبو عمرو .

قال : فسألت يونس عنها ، فقال : مَثَلُها صفتها ، قال محمد بن سلام : ومثل ذلك قوله : ( ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ ) <sup>(١)</sup> أي صفتهم .

قال أبو منصور : ونحو ذلك روي عن ابن عباس ، وأما جواب أبي عمرو لمقاتل حين سأله ما مَثَلُها ، فقال : فيها أنهار من ماء غير آسنٍ ، ثم تكريره السؤال ما مَثَلُها وسكوت أبي عمرو عنه ، فإنَّ أبا عمرو أجابه جواباً مقنعاً ، ولما رأى نبوة فُهم مقاتل ، سكت عنه لما وقف من غلظ فهمه . وذلك ان قوله تعالى : ( مَثَلُ الْجَنَّةِ ) تفسير لقوله تعالى : ( لِيَا أُمَّةٍ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ بَاطِنًا مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ) <sup>(٢)</sup> وصف تلك الجنات ، فقال : مَثَلُ الجنة التي وصفتها ، وذلك مثل قوله : ( ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ ) أي ذلك صفة محمد ﷺ وأصحابه في التوراة ، ثم أعلمهم أنَّ صفتهم في الإنجيل كزرع .

ثم إنَّ الفرق بين المماثلة والمساواة ، أن المساواة تكون بين المختلفين في الجنس والمتفقين ، لأنَّ التساوي هو التكافؤ في المقدار لا يزيد ولا ينقص ، وأما المماثلة فلا تكون إلا في المتفقين . <sup>(٤)</sup>

١ . الفتح : ٢٩ .

٢ . الحج : ١٤ .

٣ . لسان العرب : مادة مثل .

٤ . لسان العرب : مادة مثل .

وأما الفرق بين المماثلة والمشابهة هو أنّ الأولى تستعمل في المتفقين في الماهية والواقعية ، بخلاف الثانية فإنّما تستعمل غالباً في مختلفي الحقيقة ، المتفقين في خصوصية من الخصوصيات .

وبهذا يعلم أنّ التجربة تجري في المتماثلين والمتفقين في الحقيقة ، كانبساط الفلز حينما تمسّه النار ، وهذا بخلاف الاستقراء ، فإنّ مجراه الأمور المختلفة كاستقراء أنّ كل حيوان يتحرك فكه الأسفل عند المضغ ، فيتعلّق الاستقراء بمختلفي الحقيقة كالشاة والبقرة والإبل .  
وقد تكرر في كلام غير واحد من أصحاب المعاجم أنّ المثل والمثل سيان ، كالشبه والشبه ، ومع ذلك كلّه نرى أنّ القرآن ينفي المثل لله ، ويقول : ( لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ )<sup>(١)</sup> وفي الوقت نفسه يُثبت له المثل ، ويقول : ( لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوِّءِ وَلِلَّهِ الْمِثْلُ الْأَعْلَى وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ) .<sup>(٢)</sup>

والجواب : أنّه لا منافاة بين نفي المثل لله وإثبات المثل له ؛ أمّا الأوّل ، فهو عبارة عن وجود فرد لواجب الوجود يشاركه في الماهية ، ويخالفه في الخصوصيات ، فهذا أمر محال ثبت امتناعه في محله ، وأمّا المثل فهو نُعوت محمودة يُعرف بها الله سبحانه كأسمائه الحسنی وصفاته العليا ، وعلى هذا ، المثل في هذه الآية وما يشابهها بمعنى ما يوصف به الشيء ويعبّر به عنه ، من صفات وحالات وخصوصيات .

فهذه الآية تصحّ بأن عدم الإيمان بالآخرة مبدأ لكثير من الصفات

١ . الشورى : ١١ .

٢ . النحل : ٦٠ .

القبیحة ، ومصدر كل شر ، وفي المقابل أنّ الإيمان بالآخرة هو منشأ كل حسنة ومنبع كلّ خير وبركة ، فكلاً وصف سوء وقبيح يلزم الإنسان ويلحقه ، فإتّما يأتيه من قبل عدم الإيمان بالآخرة ، كما أنّ كلّ وصف حسن يلزم الإنسان ينشأ من الإيمان بها ، وبذلك ظهر معنى قوله : ( لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ ) الذي يدل بالملازمة للذين يؤمنون بالآخرة لهم مثل الحسن.

وأما قوله سبحانه : ( وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى ) فمعناه أنّه منزّه من أن يوصف بصفات مذمومة وقبيحة كالظلم ، قال سبحانه : ( وَلَا يَظْلِمُ رُبُّكَ أَحَدًا )<sup>(١)</sup> . وفي الوقت نفسه فهو موصوف بصفات محمودة.

فكلّ وصف يستكرهه الطبع أو يردعه العقل فلا سبيل له إليه ، فهو قدرة لا عجز فيها ، وحياة لا موت معها إلى غير ذلك من الصفات الحميدة ، بخلاف ما يقبله الطبع فهو موصوف به.

وقد أشار إلى ذلك في غير واحد من الآيات أيضا ، قال : ( وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ )<sup>(٢)</sup> وقال : ( لِيَهِيَ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى )<sup>(٣)</sup> ، فالأمثال منها دانية ومنها عالية فإتّما يثبت له العالي بل الأعلى.<sup>(٤)</sup>

ومنه يعلم أن الأمثال إذا كان جمع مثّل . بالسكون . فالله سبحانه منزّه من المثّل والأمثال ، وأما إذا كان جمع مثّل . بالفتح . بمعنى الوصف الذي يحمّد به سبحانه ، فله الأمثال العليا ، والأسماء الحسنى كما مرّ .

١ . الكهف : ٤٩ .

٢ . الروم : ٢٧ .

٣ . طه : ٨ .

٤ . لاحظ : الميزان : ١٢ / ٢٤٩ .

## الثاني : المَثَل في الاصطلاح

المَثَل : قسم من الحكم ، يرد في واقعة لمناسبة اقتضت وروده فيها ، ثم يتداولها الناس في غير واحد من الوقائع التي تشابهها دون أدنى تغيير لما فيه من وجازة وغرابة ودقة في التصوير .  
فالكلمة الحكيمة على قسمين : سائر منتشر بين الناس ودارج على الألسن فهو المثل ، وإلا فهي كلمة حكيمة لها قيمتها الخاصة وإن لم تكن سائرة. فما ربما يقال : « المثل السائر ، فالوصف قيد توضيحي لا احترازي ، لأنّ الانتشار والتداول داخل في مفهوم المثل ، ويظهر ذلك من أبي هلال العسكري ( المتوفى حوالي ٤٠٠ هـ ) ، حيث قال : جعل كل حكمة سائرة ، مثلاً ، وقد يأتي القائل بما يحسن من الكلام أن يتمثل به إلا أنّه لا يتفق أن يسير فلا يكون مثلاً. <sup>(١)</sup>

وكلامه هذا ينم « ان الشيوع والانتشار وكثرة الدوران على الألسن هو الفارق بين الحكمة والمثل ، فالقول الصائب الصادر عن تجربة يسمّى حكمة إذا لم يتداول ، ومثلاً إذا كثر استعماله وشاع أداؤه في المناسبات المختلفة .»

ولأجل ذلك يقول الشاعر :

ما أنت إلا مثل سائر يعرفه الجاهل والخبائر  
وأما تسمية ذلك الشيء بالمثل ، فهو لأجل المناسبة والمشابهة بين الموردين على وجه يُصبح مثالا لكل ما هو على غراره.

---

١ . جمهرة أمثال العرب : ٥١١ .

قال ابن السكيت ( المتوفى عام ٢٤٤ هـ ) : المثل لفظ يخالف لفظ المضروب له ، ويوافق معناه معنى ذلك اللفظ ، شَبَّهه بالمثل الذي يعمل عليه غيره. (١)

وبما ان وجه الشبه والمناسبة التي صارت سببا لإلقاء هذه الحكمة غير مختصة بمورد دون مورد ، وإن وردت في مورد خاص يكون المثل آية وعلامة أو علماً للمناسبة الجامعة بين مصاديق مختلفة.

يقول المبرِّق: فحقيقة المثل ما جعل كالعلم للتشبيه بحال الأوّل ، كقول كعب بن زهير :  
كانت مواعيد عرقوب لها مَبَثْلاً وما مواعيدها إلا الأباطيل  
فمواعيد عرقوب علم لكل ما لا يصح من المواعيد (٢).

وعلى ذلك فالمثل السائر كقوله : « في الصيف ضيعت اللبن » علم لكل من ضيَّع الفرصة وأهدرها ، كما أن قول الرسول ﷺ : « لا ينتطح فيها عنزان » علم لكل أمر ليس له شأن يعتد به. (٣)

كما أن قول أبي الشهداء الحسين بن علي عليه السلام : « لو ترك القطا ليلا لنام » الذي تمثل به الإمام علي عليه السلام في جواب أخته زينب عليها السلام ، علم لكل من لا يُترك بحال أو من مُهل على مكروه من غير إرادة ، إلى غير ذلك من الأمثال الدارجة.

---

١. مجمع الأمثال : ١ / ٦ .

٢. مجمع الأمثال : ١ / ٦ .

٣. مجمع الأمثال : ٢ / ٢٢٥ .

### الثالث : فوائد الأمثال السائرة

ذكر غير واحد من الأُباء فوائد جمّة للمثل السائر :

١. قال ابن المقفّع ( المتوفّي عام ١٤٣ هـ ) : إذا جعل الكلام مثلاً كان أوضح للمنطق ، وأنق للسمع ، وأوسع لشعوب الحديث .
٢. وقال إبراهيم النّظّام ( المتوفّي عام ٢٣١ هـ ) : يجتمع في المثل أربعة لا تجتمع في غيره من الكلام : إيجاز اللفظ ، وإصابة المعنى ، وحسن التشبيه ، وجودة الكناية ، فهو نهاية البلاغة .

وقال غيرهما : سُمّيت الحِكَم القائم صدقها في العقول أمثالاً ، لانتصاب صورها في العقول مشتقة من المثل الذي هو الانتصاب. <sup>(١)</sup>

وقد نقل ابن قيم الجوزية ( المتوفّي عام ٧٥١ هـ ) كلام النّظّام بشكل كامل ، وقال : وقد ضرب الله ورسوله الأمثال للناس لتقريب المراد وتفهم المعنى وإيصاله إلى ذهن السامع ، وإحضاره في نفسه بصورة المثل الذي مثّل به فقد يكون أقرب إلى تعقله وفهمه وضبطه واستحضاره له باستحضار نظيره ، فإن النفس تأنس بالنظائر والأشباه وتنفر من الغربة والوحدة وعدم النظر .

ففي الأمثال من تأنس النفس وسرعة قبولها وانقيادها لما ضرب لها مثله من الحق أمر لا يجحده أحد ولا ينكره ، وكلّما ظهرت الأمثال ازداد المعنى ظهوراً ووضوحاً ، فالأمثال شواهد المعنى المراد ، وهي خاصية العقل ولبّه وثمرته. <sup>(٢)</sup>

---

١ . مجمع الأمثال : ١ / ٦ .

٢ . أعلام الموقعين : ١ / ٢٩١ . وما ذكره من الفائدة مشترك بين المثل السائر الذي هو موضوع كلامنا ، والتمثيل الذي شاع في القرآن ، وسيوافيك الفرق بين المثل السائر والتمثيل .

وقال عبد القاهر الجرجاني (المتوفى عام ٤٧١ هـ) : إعلم أن مما اتفق العقلاء عليه ان التمثيل إذا جاء في أعقاب المعاني ، أو أبرزت هي باختصار في معرضه ، وثقلت عن صورها الأصلية إلى صورته كساها أئمة ، وكسبها منقبة ، ورفع من أقدارها ، وشب من نارها ، وضاعف قواها في تحريك النفوس لها ، ودعا القلوب إليها ، واستثار من أفاصي الأفئدة صباة وكلفاً ، وقسر الطباع على أن تُعطيها محبة وشغفاً.

فإن كان ذمًا : كان مسه أوجع ، وميسمه أذع ، ووقعه أشدّ ، وحدّه أحد.

وإن كان حجاجا : كان برهانه أنور ، وسلطانه أقهر ، وبيانه أبحر.

وإن كان افتخارا : كان شأوه أمدّ ، وشرفه أجد <sup>(١)</sup> ولسانه ألد.

وإن كان اعتذارا : كان إلى القبول أقرب ، وللقلوب أحلب ، وللسخائم أسلّ ، ولعزّوب

الغضب أفلّ ، وفي عُقد العقود أنفث ، وحسن الرجوع أبعث.

وإن كان وعظا : كان أشفى للصدر ، وأدعى إلى الفكر ، وأبلغ في التنبيه والزجر ،

وأجدر أن يجلي الغياية <sup>(٢)</sup> ويُصّر الغاية ، ويبري العليل ، ويشفي الغليل. <sup>(٣)</sup>

٤. وقال أبو السعود (المتوفى عام ٩٨٢ هـ) : إن التمثيل ليس إلا إبراز المعنى المقصود

في معرض الأمر المشهور ، وتحلية المعقول بحلية المحسوس ، وتصوير أوابد المعاني بهيئة المأنوس

، لاستمالة الوهم واستنزاله عن معارضته للعقل ، واستعصائه عليه في إدراك الحقائق الخفية ،

وفهم الدقائق الأيية ؛ كي يتابعه فيما يقتضيه ،

---

١. من الجد : الحظ ، يقال : هو أجدّ منك ، أي أخط.

٢. الغياية : كل ما أظلك من فوق رأسك.

٣. أسرار البلاغة : ١٠١ - ١٠٢.

ويشاعه إلى ما لا يرتضيه ، ولذلك شاعت الأمثال في الكتب الإلهية والكلمات النبوية ،  
وذاعت في عبارات البلغاء ، وإشارات الحكماء.

إن التمثيل أطف ذريعة إلى تسخير الوهم للعقل واستنزاله من مقا الاستعصاء عليه ،  
وأقوى وسيلة إلى تفهيم الجاهل الغيبي ، وقمع سورة الجامح الأبيي ، كيف لا ، وهو رفع  
الحجاب عن وجوه المعقولات الخفية ، وإبرازها لها في معرض المحسوسات الجلية ، وإبداء  
للمنكر في صورة المعروف ، وإظهار للوحشي في هيئة المألوف. <sup>(١)</sup>

ولعلّ في هذه الكلمات غنى وكفاية فلا نطيل الكلام ، غير أنّه يجب التنبيه على نكتة ،  
وهي أن السيوطي نقل في « المزهر » عن أبي عبيد أنّه قال :

الأمثال حكمة العرب في الجاهلية والإسلام وبها كانت تعارض كلامها فتبلغ بها ما  
حاولت من حاجاتها في المنطق بكناية. <sup>(٢)</sup>

ولا يخفى أنّ الأمثال ليست من خصائص العرب فحسب ، بل لكلّ قوم أمثال وحكم  
يقرّبون بها مقاصدهم إلى إفهام المخاطبين ويبلغون بها حاجاتهم ، وربما يشترك مثيل واحد بين  
أقوام مختلفة ، ويصبح من الأمثال العالمية ، وربما تبلغ روعة المثل بمكان يقف الشاعر أمامه  
مبهورا فيصّب مضمونه في قالب شعري.

روى الطبري عن مهلب بن أبي صفرة ، قال : دعا المهلب حبيباً ومن حضره من ولده ،  
ودعا بسهام فحزمت ، وقال : أترونكم كاسريها مجتمعة ؟ قالوا : لا ، قال : أفترونكم  
كاسريها متفرقة ؟ قالوا : نعم ، قال : فهكذا الجماعة. <sup>(٣)</sup>

وليس المهلب أوّل من ساق هذا المثل على لسانه ، فقد سبقه غيره إليه.

---

١. هامش تفسير الفخر الرازي : ١ / ١٥٦ ، المطبعة الخيرية ، ط الأولى ، مصر . ١٣٠٨ هـ.

٢. المزهر : ١ / ٢٨٨.

٣. تاريخ الطبري : حوادث سنة ٨٢ هـ.

روى أبو هلال العسكري في جمهرته ، عن قيس بن عاصم التميمي ( المتوفى عام ٢٠ هـ )  
( الأبيات التالية التي تعرب بأن المثل صب في قالب الشعر أيضا :

بصلاح ذات البين طول بقائكم      إن بُد في عمري وإن لم يُمدد  
حتى تلين قلوبكم وجلودكم      لمسوّ منكم وغير مسوّ  
إن القداح إذا جمعن فرامها      بالكسر ذو حنق وبطش باليد  
عزّ فلم تكسر وإن هي بُدّت      فالوهن والتكسير للمتبدّد<sup>(١)</sup>

وقد نقل المسعودي في ترجمة عبد الملك بن مروان ، وقال :

كان الوليد متحنّناً على إخوته ، مراعيّاً سائر ما أوصاه به عبد الملك ، وكان كثير  
الإنشاد لأبيات قالها عبد الملك حين كتب وصيته ، منها :

انفوا الضغائن عنكم وعليكم      عند المغيب وفي حضور المشهد  
إن القداح إذا اجتمعن فرامها      بالكسر ذو حنق وبطش باليد  
عزّ فلم تكسر وإن هي بُدّت      فالوهن والتكسير للمتبدّد<sup>(٢)</sup>

---

١ - جمهرة الأمثال : ١ / ٤٨ .

٢ - مروج الذهب : أخبار الوليد بن عبد الملك .

## الكتب المؤلفة في الأمثال العربية

وقد ألفت في الأمثال العربية قديمها وحديثها كتباً كثيرة ، وأجمع كتاب في هذا المضمار هو ما ألفه أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري الميداني ( المتوفى عام ٥١٨ هـ ) وأسماه ؛ « مجمع الأمثال » لإحتوائه على عظيم ما ورد منها وهي ستة آلاف ونيف.<sup>(١)</sup>

### الرابع : الأمثال القرآنية

دلّت غير واحدة من الآيات القرآنية على أنّ القرآن مشتمل على الأمثال ، وأنه سبحانه ضرب بها مثلاً للناس للتفكير والعبرة ، قال سبحانه : ( لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ لِنَاسٍ لِّعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ) .<sup>(٢)</sup> إلى غير ذلك من الآيات التي تدل على وجود الأمثال في القرآن ، وإنّ الروح الأمين نزل بها ، وكان مثلاً حين النزول على قلب سيد المرسلين ، هذا هو المستفاد من الآيات . ومن جانب آخر أن المثل عبارة عن كلام أُلقي في واقعة مناسبة اقتضت إلقاء ذلك الكلام ، ثمّ تداولت عبر الزمان في الوقائع التي هي على غرارها ، كما هو الحال في عامة الأمثال العالمية .

---

١ . مجمع الأمثال : ١ / ٥ .

٢ . الحشر : ٢١ .

وعلى هذا فالمثل بهذا المعنى غير موجود في القرآن الكريم ، لما ذكرنا من أنّ قوام الأمثال هو تداولها على الألسن وسرياتها بين الشعوب ، وهذه الميزة غير متوفرة في الآيات القرآنية . كيف وقد أسماه سبحانه مثلاً عند النزول قبل أن يعيها النبي ﷺ وقرأها للناس ويدور على الألسن ، فلا مناص من تفسير المثل في القرآن بمعنى آخر ، وهو التمثيل القياسي الذي تعرّض إليه علماء البلاغة في علم البيان وهو قائم بالتشبيه والاستعارة والكناية والمجاز ، وقد سمّاه القزويني « في تلخيص المفتاح » المجاز المركب وقال :

إنّ اللفظ المركب المستعمل فيما شُبّه بمعناه الأصلي تشبيه التمثيل للمبالغة في التشبيه ، ثمّ مثل بما كتب يزيد بن وليد إلى مروان بن محمد حين تلكأ عن بيعته : أمّا بعد ، فإنّي أراك تقدّم رجلاً وتؤخّر أخرى ، فإذا أتاك كتابي هذا فاعتمد على أيّهما شئت ، والسلام. <sup>(١)</sup>

فهذا التمثيل من المكانية ما ليس له لو قصد المعنى بلفظه الخاص ، حتى أنّه لو قال مثلاً : بلغني تلكؤك عن بيعتي ، فإذا أتاك كتابي هذا فبايع أو لا ، لم يكن لهذا اللفظ من المعنى بالتمثيل ، ما لهذا .

فعامة ما ورد في القرآن الكريم من الأمثال فهو من قبيل التمثيل لا المثل المصطلح . ثمّ إن الفرق بين التشبيه والاستعارة والكناية والمجاز أمر واضح لا حاجة لإطناب الكلام فيه ، وقد بيّنه علماء البلاغة في علم البيان ، كما طرحه أخيراً علماء

---

١ . الإيضاح : ٣٠٤ ؛ التلخيص : ٣٢٢ .

الأصول في مباحث الألفاظ ، ولأجل ذلك نضرب الصفح عنه ونحيل القارئ الكريم إلى الكتب المدونة في هذا المضمار .

ويظهر من بعضهم أنّ التمثيل من معاني المثل ، قال الألويسي : المثل مأخوذ من المثول . وهو الانتصاب . ومنه الحديث « من أحب أن يتمثل له الناس قياماً فليتبمّ مقعده من النار » ثم أطلق على الكلام البليغ الشائع الحسن المشتمل إمّا على تشبيه بلا تشبيه أو استعارة راقية تمثيلية وغيرها ، أو حكمة وموعظة نافعة ، أو كناية بديعة أو نظم من جوامع الكلم الموجز .<sup>(١)</sup>

ولولا قوله « الشائع » لانطبقت العبارة على التمثيل القياسي . « وقد امتازت صيغة المثل القرآني بأنّها لم تنقل عن حادثة معينة ، أو واقعة متخيلة ، أعيدت مكرورة تمثيلاً ، وضرب موردّها تنظيراً ، وإنّما ابتدع المثل القرآني ابتداءً دون حذو احتذاه ، وبلا مورد سبقه فهو تعبير فني جديد ابتكره القرآن حتى عاد صبغة متفردة في الأداء والتركيب والإشارة » .

« وعلى هذا فالمثل في القرآن الكريم ليس من قبيل المثل الاصطلاحي ، أو من سنخ ما يعادله لفظاً ومعنى ، الفقر بالأمثال بمضمونه ، بل هو نوع آخر أسماء القرآن مثلاً من قبل أن نعرف علوم الأدب « المثل » ، ومن قبل أن تسمّي به نوعاً من الكلام المنشور وتضعه مصطلحاً له . بل من قبل أن يعرف الأدباء « المثل » بتعريفهم » .<sup>(٢)</sup>

---

١ . روح المعاني : ١ / ١٦٣ .

٢ . الصورة الفنية في المثل القرآني : ٧٢ ، نقلاً عن كتاب المثل لمنير القاضي .

## الخامس : أقسام التمثيل

قد عرفت أن التمثيل عبارة عن إعطاء منزلة شيء لشيء عن طريق التشبيه أو الاستعارة أو المجاز أو غير ذلك ، فهو على أقسام :

١. التمثيل الرمزي : وهو ما ينقل عن لسان الطيور والنباتات والأحجار بصورة الرمز والتعمية ويكون كناية عن معاني دقيقة ، وهذا النوع من التمثيل يعجّ به كتاب « كليلة ودمنة » لابن المقفع ، وقد استخدم هذا الأسلوب الشاعر العارف العطار النيشابوري في كتابه « منطق الطير ».

ويظهر من الكتاب الأوّل أنّه كان رائجاً في العهود الغابرة قبل الإسلام ، وقد ذكر المؤرّخون أن طبيبا إيرانيا يدعى « برزويه » وقف على كتاب « كليلة ودمنة » في الهند مكتوباً باللغة السنسكريتية ونقلها إلى اللغة البهلوية ، وأهداه إلى بلاط أنوشيروان الساساني ، وقد كان الكتاب محفوظا بلغته البهلوية إلى أن وقف عليه عبد الله بن المقفع ( ١٠٦ . ١٤٣ هـ ) فنقله إلى اللغة العربية ، ثمّ نقله الكاتب المعروف نصر الله بن محمد بن عبد الحميد في القرن السادس إلى اللغة الفارسية وهو الدارج اليوم في الأوساط العلمية.

نعم نقله الكاتب حسين واعظ الكاشفي إلى الفارسية أيضا في القرن التاسع ومن حسن الحظ توفر كلتا الترجمتين.

وقام الشاعر « رودكي » بنظم ، ما ترجمه ابن المقفع ، باللغة الفارسية. ويظهر من غير واحد من معاجم التاريخ أنّه تطرق بعض ما في هذا الكتاب من الأمثلة إلى الأوساط العربية في عصر الرسالة أو بعده ، وقد نقل أنّ عليّاً عليه السلام قال : « إنّما أكلت يوم أكل الثور الأبيض » وهو من أمثال ذلك الكتاب.

وهناك محاولة تروم إلى أن القصص القرآنية كلها من هذا القبيل أي رمز لحقائق علوية دون أن يكون لها واقعية وراء الذهن ، وبذلك يفسرون قصة آدم مع الشيطان ، وغلبة الشيطان عليه ، أو قصة هابيل وقابيل وقتل قابيل أخاه ، أو تكلم النملة مع سليمان عليه السلام ، وغيرها من القصص ، وهذه المحاولة تضاد صريح القرآن الكريم ، فإنه يصريح بأنها قصص تحكي عن حقائق غيبية لم يكن يعرفها النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولا غيره ، قال سبحانه : ( لَقَدْ كَانَ فِي صَمِصِمِهِمْ نَزْوَةٌ ۖ وَفِي الْأَلْبَاءِ لَأُكَلِّمُ الْوَالِدَ الَّذِي يُرْتَضَىٰ ۖ فَكَيْفَ يُدْعَىٰ لِلَّهِ يَدِيهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُمْ لَا يَخْبِرُونَ ) (١)

فلاية صريحة في أن ما جاء في القصص ليس أمراً مفترىً ، إلى غير ذلك من الآيات الدالة على أن القرآن بأجمعه هو الحق الذي لا يداينه الباطل.

٢. التمثيل القصصي : وهو بيان أحوال الأمم الماضية بغية أخذ العبر للتشابه الموجود. يقول سبحانه : ( ضَبَّرَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةٌ نُوحٍ مَرْأَةٌ لُوطٍ كَانَتَا بَنَاتَيْنِ مِنْ تِلْكَ الْأُمَّةِ السَّافِيَةِ ۚ فَأَخَذْتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاهِلِينَ ) (٢)

والقصص الواردة في أحوال الأمم الغابرة التي يعبر عنها بقصص القرآن ، هي تشبيه مصرح ، وتشبيه كامن والغاية هي أخذ العبرة.

٣. التمثيل الطبيعي : وهو عبارة عن تشبيه غير الملموس بالملموس ، والمتوهم بالمشاهد ، شريطة أن يكون المشبه به من الأمور التكوينية ، قال سبحانه : ( إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا

١. يوسف : ١١١ .

٢. التحريم : ١٠ .

يَأْكُلُ النَّاسُ وَلَا تُعَامَ جَتَى إِذَا أَحْبَبَ الْأَرْضَ زُحْرُفَهَا وَارْتَبَتِ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَالُوا  
عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا لَكَّ تَغْنِبِ بِالْأَمْسِ كَبَدْلِكَ تُفَصِّلُ الْآيَاتِ  
لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (١).

والأمثال القرآنية تدور بين كونها تمثيلاً قصصياً ، أو تمثيلاً طبيعياً كونياً. وأما التمثيل  
الرمزي فإمّا يقول به أهل التأويل.

### السادس : الأمثال القرآنية في الأحاديث

إنّ الأمثال القرآنية بما أتمها مواضع وعبر قد ورد الحث على التدبّر فيها عن أئمة أهل  
البيت عليهم السلام ، ننقل منها ما يلي :

١. قال أمير المؤمنين على عليه السلام : « قد جرّتم الأمور وضرستموها ، ووُعظتم بمن كان  
قبلكم ، وضربت الأمثال لكم ، ودعيتم إلى الأمر الواضح ، فلا يصمّ عن ذلك إلا أصمّ ،  
ولا يعمى عن ذلك إلا أعمى ، ومن لم ينفعه الله بالبلاء والتجارب لم ينتفع بشيء من  
العظة ». (٢).

٢. وقال عليه السلام : « كتاب ربكم فيكم ، مبيّناً حلاله وحرامه ، وفرائضه وفضائله ،  
وناسخه ومنسوخه ، ورخصه وعزائمه ، وخاصّه وعامّه ، وعبره وأمثاله ». (٣).

٣. قال أمير المؤمنين عليه السلام : « نزل القرآن أرباعاً : ربع فينا ، وربع في عدونا ، وربع سنن  
وأمثال ، وربع فرائض وأحكام ». (٤).

١. يونس : ٢٤ .

٢. نهج البلاغة ، الخطبة ١٧٦ .

٣. نهج البلاغة : الخطبة ٨١ .

٤. بحار الأنوار : ٢٤ / ٣٠٥ ح ١ ، باب جوامع تأويل ما نزل فيهم ٨ .

٤. روى الإمام الصادق عليه السلام عن جده أمير المؤمنين علي عليه السلام أنه قال لفاض « هل تعرف الناسخ من المنسوخ ؟ » ، قال : لا ، قال : « فهل أشرفت على مراد الله عز وجل في أمثال القرآن ؟ » ، قال : لا ، قال : « إذا هلكت وأهلكت ». والمفتي يحتاج إلى معرفة معاني القرآن وحقائق السنن وبواطن الإشارات والآداب والإجماع والاختلاف والإطلاع على أصول ما أجمعوا عليه وما اختلفوا فيه ، ثم حسن الاختيار ، ثم العمل الصالح ، ثم الحكمة ، ثم التقوى ، ثم حينئذ إن قدر. <sup>(١)</sup>

٥. قال أمير المؤمنين علي عليه السلام : « سمّوهم بأحسن أمثال القرآن ، يعنى : عترة النبي صلى الله عليه وآله ، هذا عذب فرات فاشربوا ، وهذا ملح أجاج فاجتنبوا ». <sup>(٢)</sup>

٦. وقال علي بن الحسين عليهما السلام في دعائه عند ختم القرآن :  
« اللهم أنيك أعنتني على ختم كتابك الذي أنزلته نورا وجعلته مهيمنا على كل كتاب أنزلته . إلى أن قال : - اللهم اجعل القرآن لنا في ظلم الليالي مؤنساً ، ومن نزعات الشيطان وخطرات الوسوس حارساً ، ولأقدامنا عن نقلها إلى المعاصي حابساً ، ولألسنتنا عن الخوض في الباطل من غير ما آفة مخرساً ، ولجوارحنا عن اقتراف الآثام زاجراً ، ولما طوت الغفلة عنا من تصفح الاعتبار ناشراً ، حتى توصل إلى قلوبنا فهم عجائبه وزواجر أمثاله التي ضعفت الجبال الرواسي على صلابتها عن احتماله ». <sup>(٣)</sup>

٧. وقال علي بن الحسين عليهما السلام في مواعظه : « فاتقوا الله عباد الله ، واعلموا أن الله عز وجل لم يحب زهرة الدنيا وعاجلها لأحد من أوليائه ولم يرغبهم فيها وفي عاجل زهرتها وظاهر بهجتها ، وإنما خلق الدنيا وخلق أهلها ليلوهم فيها أيّهم

١. بحار الأنوار : ٢ / ١٢١ ح ٣٤ ، باب النهي عن القول بغير علم من كتاب العلم.

٢. بحار الأنوار : ٩٢ / ١١٦ ، الباب ١٢ من كتاب القرآن.

٣. الصحيفة السجادية : من دعائه ٧ عند ختم القرآن.

أحسن عملاً لآخرفته ، وأيم الله لقد ضرب لكم فيه الأمثال وصرف الآيات لقوم يعقلون ولا قوَّ إلا بالله» .<sup>(١)</sup>

٨. وقال الإمام الباقر عليه السلام لأخيه زيد بن علي : « هل تعرف يا أحمى من نفسك شيئاً مما نسبتها إليه فتجيب عليه بشاهد من كتاب الله ، أو حجة من رسول الله ، أو تضرب به مثلاً ، فإن الله عز وجل أحلّ حلالاً وحرم حراماً ، فرض فرائض ، وضرب أمثالاً ، وسنن سننا » .<sup>(٢)</sup>

٩. روي الكليني عن إسحاق بن جرير ، قال : سألتني امرأة أن استأذن لها على أبي عبد الله عليه السلام فأذن لها ، فدخلت ومعها مولاة لها ، فقالت : يا أبا عبد الله قول الله عز وجل : ( زَيْنُونَةَ لَا شَبْرَقِيَّةَ وَلَا عَزْبِيَّةَ )<sup>(٣)</sup> ما عني بهذا ؟ فقال : « أيتها المرأة إن الله لم يضرب الأمثال للشجر إنما ضرب الأمثال لبني آدم » .<sup>(٤)</sup>

١٠. روى داود بن كثير عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال : « يا داود إن الله خلقنا فأكرم خلقنا وفضلنا وجعلنا أمناء وحفظته وخزانه على ما في السماوات وما في الأرض ، وجعل لنا أصدقاءً وأعداءً ، فسمّانا في كتابه وكنى عن أسمائنا بأحسن الأسماء وأحبها إليه ، وسمّى أصدقاءنا وأعداءنا في كتابه وكنى عن أسمائهم وضرب لهم الأمثال في كتابه في أبغض الأسماء إليه ... » .<sup>(٥)</sup>

هذه عشرة كاملة من كلمات أئمتنا المعصومين حول أمثال القرآن.

١. الكافي : ٨ / ٧٥ .

٢. بحار الأنوار : ٤٦ / ٢٠٤ ، الباب ١١ .

٣. النور : ٣٥ .

٤. الكافي : ٥ / ٥٥١ ، الحديث ٢ ، باب السحق من كتاب النكاح .

٥. البحار : ٢٤ / ٣٠٣ ، الحديث ١٤ .

وقد حازت الأمثال القرآنية على اهتمام المفكرين ، فذكروا حولها كلمات تعرب عن أهمية الأمثال ومكانتها في القرآن :

١. قال حمزة بن الحسن الاصبهاني ( المتوفى عام ٣٥١ هـ ) : لضرب العرب الأمثال واستحضار العلماء النظائر ، شأن ليس بالحفي في إبراز خفيات الدقائق ورفع الأستار عن الحقائق ، تريك المتخيّل في صورة المتحقق ، والمتوهّم في معرض المتيقن ، والغائب كأنّه مشاهد ، وفي ضرب الأمثال تبكيت للخصم الشديد الخصومة ، وقمع لسورة الجامع الأبيّ ، فإنّه يؤثّر في القلوب ما لا يؤثّر وصف الشيء في نفسه ولذلك أكثر الله تعالى في كتابه وفي سائر كتبه الأمثال ، ومن سور الإنجيل سورة تسمّى سورة الأمثال وفشت في كلام النبي ﷺ وكلام الأنبياء والحكماء. (١)

٢. قال الإمام أبو الحسن الماوردي ( المتوفى عام ٤٥٠ هـ ) : من أعظم علم القرآن علم أمثاله ، والناس في غفلة عنه لاشتغالهم بالأمثال ، وإغفالهم الممثّلات ، والمثل بلا ممثّل كالفرس بلا لجام والناقة بلا زمام. (٢)

٣. قال الزمخشري ( المتوفى عام ٥٣٨ هـ ) في تفسير قوله سبحانه : ( **مِثْلُهُمْ كَمِثْلِ النَّارِ اسْتَوْقَدَ نَارًا** ) (٣) : وضرب العرب الأمثال واستحضار العلماء المثل والنظائر ، إلى آخر ما نقلناه عن الاصبهاني. (٤)

٤. وقال الرازي ( المتوفى عام ٦٠٦ هـ ) : « إن المقصود من ضرب الأمثال أنّها

---

١. الدرّ الفاخرة في الأمثال السائرة : ١ / ٥٩ . ٦٠ . والعجب أن هذا النص برّمته موجود في الكشّاف في تفسير قوله سبحانه : ( **فَمَا رِيحَتْ بِجَارِهِمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ مِثْلُهُمْ كَمِثْلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا** ) ( انظر الكشّاف : ١ / ١٤٩ ) .

٢. الإتيان في علوم القرآن : ٢ / ١٠٤١ .

٣. البقرة : ١٧ .

٤. الكشّاف : ١ / ٧٢ .

تؤثر في القلوب ما لا يؤثره وصف الشيء في نفسه ، وذلك لأن الغرض في المثل تشبيه الخفي بالجلي ، والغائب بالشاهد ، فيتأكد الوقوف على ماهيته ، ويصير الحس مطابقاً للعقل ، وذلك في نهاية الإيضاح ، ألا ترى أنّ الترغيب إذا وقع في الإيمان مجرداً عن ضرب مثل له لم يتأكد وقوعه في القلب كما يتأكد وقوعه إذا مُثِّل بالنور ، وإذا زهد في الكفر بمجرد الذكر لم يتأكد قبحه في العقول ، كما يتأكد إذا مثل بالظلمة ، وإذا أخبر بضعف أمر من الأمور وضرب مثله بنسج العنكبوت كان ذلك أبلغ في تقرير صورته من الإخبار بضعفه مجرداً ، ولهذا أكثر الله تعالى في كتابه المبين ، وفي سائر كتبه أمثاله ، قال تعالى : ( **وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ** ) <sup>(١)</sup> . <sup>(٢)</sup>

٥. وقال الشيخ عزالدين عبدالسلام ( المتوفى عام ٦٦٠ هـ ) : إنّما ضرب الله الأمثال في القرآن ، تذكيراً ووعظاً ، فما اشتمل منها على تفاوت في ثواب ، أو على إحباط عمل ، أو على مدح أو ذم أو نحوه ، فإنّه يدل على الاحكام. <sup>(٣)</sup>

٦. وقال الزركشي ( المتوفى عام ٧٩٤ هـ ) : وفي ضرب الأمثال من تقرير المقصود ما لا يخفى ، إذ الغرض من المثل تشبيه الخفي بالجلي ، والشاهد بالغائب ، فالمرغب في الإيمان مثلاً ، إذا مثّل له بالنور تأكد في قلبه المقصود ، والمزهد في الكفر إذا مثل له بالظلمة تأكد قبحه في نفسه وفيه أيضاً تبيكيت الخصم ، وقد أكثر الله تعالى في القرآن ، وفي سائر كتبه من الأمثال. <sup>(٤)</sup>

لكن يرد على ما ذكره الزمخشري والرازي والزركشي أن ما ذكره راجع إلى

---

١. العنكبوت : ٤٣ .

٢. مفاتيح الغيب : ٧٢ / ٢ / ٧٣ .

٣. الإتقان في علوم القرآن : ٢ / ١٠٤١ .

٤. البرهان في علوم القرآن : ١ / ٤٨٨ .

نفس الأمثال لا إلى الضرب بها ، فإنّ الأمثال شيء وضرب الأمثال شيء آخر ، لأنّ إبراز المتخيل بصورة المحقق ، والمتوهم في معرض المتيقن ، ليس من مهمة ضرب الأمثال ، وإنما هي مهمة نفس الأمثال ، « وذلك أنّ المعاني الكلية تعرض للذهن مجملة مبهمة ، فيصعب عليه أن يحيط بها وينفذ فيها فيستخرج سرّها ، والمثل هو الذي يفصّل إجمالها ، ويوضّح إجمالها ، فهو ميزان البلاغة وقسطاسها ومشكاة الهداية ونبراسها » .<sup>(١)</sup>

### السابع : الكتب المؤلفة في الأمثال القرآنية

ولأجل هذه الأهمية التي حازتها الأمثال القرآنية ، قام غير واحد من علماء الإسلام القدامى منهم والجدد ، بتأليف رسائل وكتب حول الأمثال القرآنية نذكر منها ما وقفنا عليه .

- ١ . « أمثال القرآن » للجنيد بن محمد القواريري ( المتوفى سنة ٢٩٨ هـ ) .
- ٢ . « أمثال القرآن » لإبراهيم بن محمد بن عرفة بن مغيرة المعروف بنفطويه ( المتوفى سنة ٣٢٣ هـ ) .
- ٣ . « الدرّة الفاخرة في الأمثال السائرة » لحمزة بن الحسن الاصبهاني ( المتوفى ٣٥١ هـ ) .
- ٤ . « أمثال القرآن » لأبي علي محمد بن أحمد بن الجنيد الاسكافي ( المتوفى عام ٣٨١ هـ ) .
- ٥ . « أمثال القرآن » للشيخ أبي عبد الرحمن محمد بن حسين السلمى النيسابوري ( المتوفى عام ٤١٢ هـ ) .

---

١ - تفسير المنار : ٢٣٧\١ .

٦. « الأمثال القرآنية » للإمام أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي الشافعي ( المتوفى سنة ٤٥٠ هـ ).
٧. « أمثال القرآن » للشيخ شمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية ( المتوفى سنة ٧٥٤ هـ ). وقد طبعت مؤخرًا.
٨. « الأمثال القرآنية » لعبد الرحمن حسن حنبكة الميداني.
٩. « أمثال القرآن » للمولى أحمد بن عبد الله الكوزكناني التبريزي ( المتوفى عام ١٣٢٧ هـ ). المطبوعة على الحجر في تبريز عام ١٣٢٤ هـ.
١٠. « أمثال القرآن » للدكتور محمود بن الشريف.
١١. « الأمثال في القرآن الكريم » للدكتور محمد جابر الفياضي. وقد طبعت مؤخرًا.
١٢. « الصورة الفنية في المثل القرآني » للدكتور محمد حسين علي الصغير. وقد طبعت مؤخرًا.
١٣. « أمثال قرآن » ( بالفارسية ) لعلي أصغر حكمت. وقد طبعت مؤخرًا.
١٤. « تفسير أمثال القرآن » ( بالفارسية ) للدكتور إسماعيل إسماعيلي. وقد طبعت مؤخرًا.

### الثامن : تقسيم الأمثال القرآنية إلى الصريح والكامن

ذكر بدر الدين الزركشي ان الأمثال على قسمين : ظاهر وهو المصرح به ، وكامن وهو الذي لا ذكر للمثل فيه وحكمه حكم الأمثال.<sup>(١)</sup>

وقد نقل السيوطي ذلك النص بنفسه وحاول تفسير المثل الكامن ، وقال ما

١ . البرهان في علوم القرآن : ١ / ٥٧١ .

هذا نصبه : فمن أمثلة الأول ، قوله تعالى : ( **مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا ...** )<sup>(١)</sup> ضرب فيها للمنافقين مثلين : مثلاً بالنار ومثلاً بالمطر . ثم قال . : وأما الكامنة : فقال الماوردي : سمعت أبا إسحاق إبراهيم بن مضارب بن إبراهيم ، يقول : سمعت أبي يقول : سألت الحسين بن فضل ، فقلت : إنك تخرج أمثال العرب والعجم من القرآن ، فهل تجد في كتاب الله : « خير الأمور أوسطها » ؟ قال : نعم في أربعة مواضع :

قوله تعالى : ( **هَلْ لَّيْسَ لَكَ كَرِهٌ لِّوَالِدَيْنِ ذَٰلِكَ** ) .<sup>(٢)</sup>

وقوله تعالى : ( **يٰۤاَيُّهَا نَفَقُوا لِمَ يَسْرِفُوۤا لِمَ يَسْرِفُوۤا لَمْ يَخْرُوۤا كَلۡمَٰتِيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا** ) .<sup>(٣)</sup>

وقوله تعالى : ( **وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ** ) .<sup>(٤)</sup>

وقوله تعالى : ( **وَلَا تَجْهَرۡ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتۡ بِهَا وَابْتَغِ بَيِّنَٰتٍ ذَٰلِكَ سَبِيلًا** ) .<sup>(٥)</sup>

قلت : فهل تجد في كتاب الله « من جهل شيئاً عاداه » ؟ قال : نعم ، في موضعين :

( **بَلۡ كَثِيرٌ مِّنۡهَا يَٰۤاَيُّهَا لِمَ لَا يُحۡيٰطُوا بِعِلۡمِهِ** ) .<sup>(٦)</sup>

١ . البقرة : ١٧ - ٢٠ .

٢ . البقرة : ٦٨ .

٣ . الفرقان : ٦٧ .

٤ . الإسراء : ٢٩ .

٥ . الإسراء : ١١٠ .

٦ . يونس : ٣٩ .

- (١) ﴿ كَيْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِنْكَ قَدَسِمَ ﴾ . قلت : فهل تجد في كتاب الله « احذر شر من أحسنت إليه » ؟ قال : نعم .
- (٢) ﴿ وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَسْؤَلُهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ . قلت : فهل تجد في كتاب الله « ليس الخير كالعيان » ؟ قال : في قوله تعالى : ( قال وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ يَحْكُمُ لَكُمْ فِي الْيَوْمِ الْقِيَامِ ) .
- (٣) ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ يَحْكُمُ لَكُمْ فِي الْيَوْمِ الْقِيَامِ ﴾ . قلت : فهل تجد « في الحركات البركات » ؟ قال : في قوله تعالى : ( وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاعًا كَثِيرًا وَسَعَةً ) .
- (٤) ﴿ وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاعًا كَثِيرًا وَسَعَةً ﴾ . قلت : فهل تجد « كما تدين تدان » ؟ قال : في قوله تعالى : ( مَنْ عَمِلَ عَمَلًا نَسُوا كَمَثَلِ الْوَعَاءِ الْمُرْتَدَةِ ) .
- (٥) ﴿ مَنْ عَمِلَ عَمَلًا نَسُوا كَمَثَلِ الْوَعَاءِ الْمُرْتَدَةِ ﴾ . قلت : فهل تجد فيه قولهم « حين ثقلي تدري » ؟ قال : ( وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى قُلْ إِنَّهُمْ كَانُوا لَمِنَ أُمَّةٍ عَدُوٍّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْعَادِلِينَ ) .
- (٦) ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا لَمِنَ أُمَّةٍ عَدُوٍّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْعَادِلِينَ ﴾ . قلت : فهل تجد فيه : « لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين » ؟ قال : ( هَلْ أَمِنْتُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنْتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ ) .
- (٧) ﴿ هَلْ أَمِنْتُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنْتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ ﴾ . قلت : فهل تجد فيه « من أعان ظالما سلط عليه » ؟ قال : ( كَتَبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ

١ . الأحقاف : ١١ .

٢ . التوبة : ٧٤ .

٣ . البقرة : ٢٦٠ .

٤ . النساء : ١٠٠ .

٥ . النساء : ١٢٣ .

٦ . الفرقان : ٤٢ .

٧ . يوسف : ٦٤ .

تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ) .<sup>(١)</sup>

قلت : فهل تجد فيه قولهم : « ولا تلد الحية إلا حية » ؟ قال : قوله تعالى : ( وَلَا

يَلِدُ إِلَّا فَاكِراً كَفَّاراً) .<sup>(٢)</sup>

قلت : فهل تجد فيه : « للحيطان آذان » ؟ قال : ( وَفِيكُمْ سَمَاعُونَ هُمْ) .<sup>(٣)</sup>

قلت : فهل تجد فيه : « الجاهل مرزوق والعالم محروم » ؟ قال : ( مَن كَانَ فِي الضَّلَالَةِ

فَلَيْمٌ لَهُ الرَّحْمَنُ مَلَكًا) .<sup>(٤)</sup>

قلت : فهل تجد فيه : « الحلال لا يأتيك إلا قوتاً ، والحرام لا يأتيك إلا جزافاً » ؟ قال

: ( إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرْعاً وَيَوْمَ لَا يَقْتُولُونَ لَأْتَأْتِيهِمْ) .<sup>(٥)</sup> .<sup>(٦)</sup>

وقد أخذ عليه « بأنه لو حَقَّقَتِ النظر فيما أورده الماوردي ، لما وجدت مثلاً قرآنياً واحداً

بالمعنى الذي يراد التعبير عنه بآته مثل كامن ، على أنّ الماوردي لم ينقل عن الحسين بن

الفضل بأنّ متخبره هذا مثل كامن ، ولا سمى الماوردي ذلك به ، وإنما أورد رواية للمقارنة بما

يمكن أن يعد أمثالاً من كلام العرب والعجم ، ووضع قائمة مختارة ازاءه من كتاب الله بما يبدّ

كلامهم ويعلو على أمثالهم.

فالتسمية إذن اختارها السيوطي متابعا فيها الزركشي. وطبّق عليها هذه

١. الحج : ٤ .

٢. نوح : ٢٧ .

٣. التوبة : ٤٧ .

٤. مريم : ٧٥ .

٥. الأعراف : ١٦٣ .

٦. الإتيقان في علوم القرآن : ٢ / ١٠٤٥ - ١٠٤٦ .

الأمثلة. فهي فيما عنده أمثال كامنة ولكنّه من الواضح أن هذه العبارات القرآنية لا تدخل في باب الأمثال ، فإن احتمال العبارة على معنى ورد في مثل من الأمثال ، لا يكفي لإطلاق لفظ المثل على تلك العبارة ، فالصيغة الموروثة ركن أساس في المثل ، لذلك نرى أنّ اصطلاح العلماء على تسمية هذه العبارات القرآنية ( أمثالا كامنة ) محاولة لا تستند على دليل نصي ولا تاريخي. <sup>(١)</sup>

### تفسير آخر للمثل الكامن :

ويمكن تفسير المثل الكامن بالتمثيلات التي وردت في الذكر الحكيم من دون أن يقتصر بكلمة « مثل » أو « كاف » التشبيه ، ولكنّه في الواقع تمثيل رائع لحقيقة عقلية بعيدة عن الحسن المحسّد بما في التمثيل من الأمر المحسوس ، ومن هذا الباب قوله سبحانه :

١ . ( أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٍ لِّمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَبَاہِ جُرْفٍ هَارٍ فَاتَّخَذَ بِهِ فِي نَارٍ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ) . <sup>(٢)</sup>

إنّ سبحانه شبّه بنيانهم على نار جهنم بالبناء على جانب نهر هذا صفته ، فكما أن من بنى على جانب هذا النهر فإنّه ينهار بناءه في الماء ولا يثبت ، فكذلك بناء هؤلاء ينهار ويسقط في نار جهنم ، فالآية تدلّ على أنّه لا يستوي عمل المتقي وعمل المنافق ، فإنّ عمل المؤمن المتقي ثابت مستقيم مبني على أصل صحيح ثابت ، وعمل المنافق ليس بثابت وهو واه ساقط. <sup>(٣)</sup>

١ . الصورة الفنية في المثل القرآني : ١١٨ ، نقلاً عن كتاب « الأمثال في النثر العربي القديم » .

٢ . التوبة : ١٠٩ .

٣ . مجمع البيان : ٣ ٧٣ .

٢. (نِ اللَّذِّيقِ - مَدُّهُ آيَاتِنَا سَمَّ مَجْرَبٌ وَاهْلَامٌ نَفُوحٌ بِمِ ابْوَابِ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُجْرِمِينَ).<sup>(١)</sup>

كانت العرب تمثل للشيء البعيد المنال ، بقولهم : لا أفعل كذا حتى يشيب الغراب ، وحتى يبييض القار ، إلى غير ذلك من الأمثال.  
يقول الشاعر :

إذا شاب الغراب أتيت أهلي وصار القار كاللبن الحليب  
ولكنه سبحانه مثل لاستحالة دخول الكافر الجنة بأنهم يدخلون لو دخل الجمل في ثقب  
الإبرة ، وقال : ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط ، معبراً عن كونهم لا  
يدخلون الجنة أبداً.

ففي الآية تمثيل وليس لها من لفظ المثل وحرف التشبيه أثر.

٣. (وَلَبَّأْ أُطِيبُ بِرُجْعِ بَاتِهِ إِذْ يَنْزِلُ عَلَيَّ مِنْ سَمِّ الْجَمَلِ إِلَّا نَكِدًا كَذَلِكَ تُصَيَّرُ  
الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ).<sup>(٢)</sup>

إن هذا مثل ضربه الله تعالى للمؤمن والكافر فأخبر بأن الأرض كلها جنس واحد ، إلا  
أن منها طيبة تلين بالمطر ، ويحسن نباتها ويكثر ريعها ، ومنها سبخة لا تنبت شيئاً ، فإن  
أنبتت فمما لا منفعة فيه ، وكذلك القلوب كلها لحم ودم ثم منها لين يقبل الوعظ ومنها  
قاسٍ جافٍ لا يقبل الوعظ ، فليشكر الله تعالى من لأن قلبه بذكره.<sup>(٣)</sup>

١. الأعراف : ٤٠.

٢. الأعراف : ٥٨.

٣. مجمع البيان : ٢ / ٤٣٢.

وفي ذيل الآية ( كَذَلِكَ نُصِّحُ الْآيَاتِ ) إلمام إلى كونه تمثيلاً ، كما في الآية التالية .  
 ٤ . قال سبحانه : ( يَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَكُونَ بِهٖ زِينَةٌ مِنْ بِلِّبِ عَمِيْدٍ مَّجِيْدٍ مِنْ تَحْتِهَا  
 الْأَشْجَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعْفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ  
 فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ) .<sup>(١)</sup>

أخرج البخاري عن ابن عباس ، قال : قال عمر بن الخطاب يوماً لأصحاب النبي ﷺ  
 فيمن ترون هذه الآية نزلت ( أَيُّوْدٌ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيْلِ وَعِنَابٍ ) ؟  
 قالوا : الله أعلم ، فغضب عمر ، وقال : قولوا : نعلم أو لا نعلم . فقال ابن عباس : في  
 نفسي منها شيء ، فقال : يا ابن أخي : قل ولا تحقر نفسك ، قال ابن عباس : ضربت مثلاً  
 لعملي ، قال عمر : أي عمل ؟ قال ابن عباس : لرجل غني عمل بطاعة الله ، ثم بعث الله  
 له الشيطان فعمل بالمعاصي حتى أغرق أعماله .<sup>(٢)</sup>

وحصيلة البحث : إنّ التمثيل الوارد في القرآن الكريم ، تارة يقتن بكلمة المثل ، وأخرى  
 يقتن به مع لفظ الضرب حيث اختار سبحانه مادة الضرب لقسم كبير من أمثال القرآن ،  
 وثالثة بحرف كاف التشبيه ، ورابعة بذكر مادة المثل بدون اقتنان بواحد منهما مثل قوله : ( وَكَلْبَدِ الطَّيِّبِ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَكَانَ خَبُثٌ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ) .<sup>(٣)</sup>

١ . البقرة : ٢٦٦ .

٢ . صحيح البخاري : التفسير : تفسير سورة البقرة ، باب قوله : ( أيود أحدكم ) رقم ٤٢٦٤ .

٣ . الأعراف : ٥٨ .

### التاسع : ما هو المراد من ضرب المثل ؟

قد استعمل الذكر الحكيم كلا من لفظي « المثل » و « المثل » في غير واحد من سوره وآياته حتى ناهز استعمالهما ثمانين مرة ، إلا أنّ الثاني يزيد على الأوّل بواحد. والأمثال جمع لكليهما ويميّزان بالقرائن قال سبحانه : ( **لِلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ عِبَادًا أُمثالُكُمْ** )<sup>(١)</sup> وهو في المقام ، جمع المثل لشهادة أنّه يحكم على آلتهم بأنّها مثلهم في الحاجة والإمكان.

وقال سبحانه : ( **تِلْكَ الْأُمثالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ** ) .<sup>(٢)</sup>

فأقتران الأمثال بلفظ الضرب ، دليل على أنّه جمع مثبّل. إلا أن المهم هو دراسة معنى « الضرب » في هذا المورد ونظائره ، فكثيراً ما يقارن لفظ المثل لفظ الضرب ، يقول سبحانه : ( **ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا** ) .<sup>(٣)</sup> وقال سبحانه : ( **وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كَثِيرٍ مَثَلًا** ) .<sup>(٤)</sup>

وقد اختلفت كلمتهم في تفسير لفظ « الضرب » في هذا المقام ، بعد اتّفاقهم على أنّه في اللغة بمعنى إيقاع شيء على شيء ، ويتعدّى باليد أو بالعصى أو بغيرهما من آلات الضرب ، قال سبحانه : ( **لَا أَضْرِبُ بِعَصَاكَ الْحُجَرَ** )<sup>(٥)</sup> وقد ذكروا وجوهاً :  
الأوّل : إنّ الضرب في هذه الموارد بمعنى المثل ، والمراد هو التمثيل ، وهو

١ . الأعراف : ١٩٤ .

٢ . الحشر : ٢١ .

٣ . إبراهيم : ٢٤ .

٤ . الزمر : ٢٧ .

٥ . الأعراف : ١٦٠ .

خيرة ابن منظور واستشهد بقوله : ( ظ ر ب ° بِمِ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ  
(<sup>(١)</sup> أي مثل لهم مثلاً وهو حال أصحاب القرية ، وقال : ( يَضْبِرُ اللهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ )  
(<sup>(٢)</sup> أي يمثل الله الحق والباطل. (<sup>(٣)</sup> وهذا خيرة صاحب القاموس أيضا.

الثاني : إن الضرب بمعنى الوصف والبيان ، وقد حُكي عن مقاتل بن سليمان ، وفسر به  
قوله سبحانه : ( وَضَرَبَ اللهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقُولُ عَلَى شَيْءٍ ) . (<sup>(٤)</sup>  
واستشهد بقول الكميت :

وذلك ضرب أخماس أريدت لأسداس عسى أن لا تكونا (<sup>(٥)</sup>  
الثالث : إنَّ الضرب بمعنى الاعتماد والتثبيت ، وهو خيرة الشيخ الطوسي (<sup>(٦)</sup> ) ٣٨٥ .  
٤٦٠ هـ ) ، والزخشي (<sup>(٧)</sup> ) والآلوسي ، (<sup>(٨)</sup> المتوفى عام ١٠٧٢١ ) فقد فسروا به قوله  
سبحانه : ( يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاستَمِعُوا لَهُ ) . (<sup>(٩)</sup>

الرابع : إن الضرب في المقام من باب الضرب في الأرض وقطع المسير ،

١ . يس : ١٣

٢ . الرعد : ١٧ .

٣ . لسان العرب : ٢ / ٣٧ ، مادة ضرب .

٤ . النحل : ٧٥ .

٥ . تفسير الطبري : ١ / ١٧٥ .

٦ . التبيان في تفسير القرآن : ٧ / ٣٠٢ .

٧ . الكشاف : ٢ / ٥٥٣ .

٨ . روح المعاني : ١ / ٢٠٦ .

٩ . الحج : ٧٣ .

وضرب المثل عبارة عن جعله سائراً في البلاد كقولك : ضرب في الأرض إذا صار فيها ، ومنه  
سُمِّي الضارب مضارباً. (١)

فإذا كان الضرب بمعنى قطع الأرض وطبَّها ، فـضرب المثل عبارة عن جعله شيئاً سائراً بين  
الأقوام والشعوب يمشي ويسير حتى يستوعب القلوب .

وفي المقام كلمة لابن قيم ، يوضِّح فيها أكثر هذه الاحتمالات :

ضرب الله سبحانه لعباده ، الأمثال ، وضرب الرسول ﷺ لأُمَّته الأمثال ، وضرب  
الحكماء والعلماء والمؤدِّبون الأمثال ، فما معنى ضرب المثل ؟  
قد يكون مشتقاً من قولك ( ضرب في الأرض ) أي سار فيها .

فمعنى ضرب المثل جعله ينتشر ويذيع ويسير في البلاد . وإلى هذا ذهب أبو هلال في  
مقدمة كتابه. (٢)

وقد يكون معنى « ضرب المثل » نصبه للناس بإشهاره لتستدل عليه خواطهم كما  
تستدلّ عيونهم على الأشياء المنصوبة . واشتقاقه حينئذ من قولهم : ( ضربت الخباء ) إذا  
نصبته .

وقوله تعالى : ( كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ ) (٣) أي ينصب منارهما ويوضح  
أعلامهما ليعرف المكلفون الحق بعلاماته فيقصده ، ويعرفون الباطل فيجتنبوه ، كما قال  
الشريف الرضي ( ٣٥٩ . ٤٠٦ هـ ) في كتابه « تلخيص البيان في مجازات القرآن » :

١ . الحكم والأمثال : ٧٩ .

٢ . انظر مقدمة كتاب جمهرة الأمثال .

٣ . الرعد : ١٧ .

وقد يفهم من ضرب المثل صنعه وإنشاؤه ، فيكون مشتقاً من ضرب اللبّن وضرب الخاتم .  
أو قد يكون من الضرب بمعنى : إبقاء شيء على شيء .<sup>(١)</sup>  
ومنه ضرب الدراهم : أي إيقاع النموذج الذي به الصكّ على الدراهم لتنتبّع به ، فكأنّ  
المثل مطابق للحالة ، أي للصفة التي جاء لإيضاحها ، وخلاصة القول : ضرب المثل مأخوذ  
: إمّا من :

١ . ضرب في الأرض بمعنى : سار .

٢ . ضربه : نصبه للناس وأشهره .

٣ . ضرب : صنع وأنشأ .

٤ . ضرب : إبقاء شيء على مثال شيء .<sup>(٢)</sup>

وبذلك يُعلم تفسير قوله سبحانه : ( ... وَقَالَ الظَّالِمُونَ لِمَ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا \*  
انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ) .<sup>(٣)</sup>

نرى أن المشركين وصفوا النبي ﷺ بكونه رجلاً مسحوراً ، فيردّ عليه سبحانه باستنكار  
ويقول : ( انظر . أيها النبي . كيف ضربوا لك الأمثال ) أي كيف وصفوك بأنك مسحور  
مع أن سيرتك تشهد على خلاف ذلك ، وما تتلو من الآيات كلامه سبحانه لا صلة له  
بالسحر وإن ما يجدونه خلافاً للعقول وآخذاً بمجامع القلوب فإنّه هو لأجل عذوبته وجماله  
وإعجازه الخارق وأين هو من السحر ؟!

١ . تلخيص البيان في مجازات القرآن : ١٠٧ .

٢ . الأمثال في القرآن الكريم : ٢٠ . ٢١ .

٣ . الفرقان : ٨ . ٩ .

وعلى ذلك فالمعنى المناسب لتفسير الآية ، هو تفسير الضرب بالوصف ، وقد تقدّم أنّ الوصف أحد معانيه ، وأقرّ به ابن منظور : أن انظر كيف وصفوك بكونك مسحورا .  
وأما تفسيره بالتمثيل بأن يقال : انظر كيف مثلوا لك المثال أو التمثيل ، فغير تام ، لأنّ وصف النبي ﷺ بكونه « مسحورا » ، لا مثل سائر ، ولا تمثيل قياسي .  
ونظيره تفسيره بقطع الأرض ، لأنّ المشركين ما وصفوه به ليشهروه حتى يصير قولهم « سيرا في الأرض » .

### العاشر : الأمثال القرآنية وانسجامها مع البيئة

لا شك أنّ كلّ خطيب يتأثر بالظروف التي يعيش فيها ، وبسهولة يمكن فرز كلام المدني عن القروي ، وكلامهما عن كلام البدوي ، وما ذاك إلاّ لأنّ البيئة تُعدّ أحد الأضلاع الثلاثة التي تُكوّن شخصية الإنسان ، ومن هذا الجانب أصبح بإمكان المحقّق الخبير بالتاريخ أن يميز الشعر الجاهلي عن الشعر في العصر الإسلامي ، والشعر في العصر الأموي عن الشعر في العصر العباسي ، وما هذا إلاّ نتيجة انعكاسات البيئة على التراث الأدبي ، ولكن القرآن بما أنّه كلامه سبحانه قد تنزّه عن هذه الوصمة ، لأنّ الله سبحانه خالق كلّ شيء فهو منزّه من أن يتأثر بشيء سواه .

ومع ذلك كلّه نزلت الأمثال القرآنية لهداية الناس ولذلك رُعي فيها الغايات التي نزلت لأجلها ، فنجد ان الطابع المكّي يعلو هامة الأمثال المكّية ، والطابع المدني يعلو هامة الأمثال المدنية .

أما الأمثال المكّية ، فكانت دائرة مدار معالجة الأدواء التي ابتلي بها

المجتمع المكى لا سيما وأن النبي ﷺ كان يجادل المشركين ويسقّه أحلامهم ويدعوهم إلى الإيمان بالله وحده ، وترك عبادة غيره ، والإيمان باليوم الآخر ، ففي خضمّ هذا الصراع يأتي القرآن بأروع مثل ويشبه أهتهم المزعومة التي تمسكوا بأهدابها بيت العنكبوت الذي لا يظهر أدنى مقاومة أمام النسيم الهادئ ، وقطرات المطر ، وهبوب الرياح .

يقول سبحانه : ( **مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ وَاَهْنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتِ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ** ) .<sup>(١)</sup>

فقد شبه أهتهم التي اتخذوها حصوناً منيعة لأنفسهم بخيوط العنكبوت ، وبذلك صغرهم ودلّلهم .

كما أنّه سبحانه في آية أخرى شبه أهتهم بالذباب ، وقال : ( **يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُجِرَ مَثَلُ فَاَسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ** ) .<sup>(٢)</sup>

فقد كانت قريش تعبد ٣٦٠ إلهاً يطلونها بالزعفران فيحفّ ، فيأتي الذباب فيختلسه فلا يقدرّون عن الدفاع عن أنفسهم ، ففي هذا الصدد ، قال سبحانه : ( **ضعف الطالب والمطلوب** ) أي الذباب والمدعو .

فأي مثل أقرع من تشبيه أهتهم بهذه الحشرة الحقيرة . ولقد مضى على الناس منذ ضرب لهم كتاب الإسلام هذا المثل أربعة عشر قرناً ، وما يزال المثل القرآني يتحدّى كل جيروت الغزاة وعبقريّة العلماء ، وما يزال على الذين غرّهم الغرور بما حقّق إنسان العصر الحديث من معجزات العلم ، أن ينسخوا ذلك ، بأن يجتمعوا

١ . العنكبوت : ٤١ .

٢ . الحج : ٧٣ .

فيخلقوا ذباباً ، أو يستنقذوا شيئاً سلبتهم إيّاه هذه الحشرة الضئيلة التي تقتلها ذرٌّ من هواء مشبع بمبيد الحشرات ، وتستطيع مع ذلك أن تسلب مخترع المبيد حياته ، بلمسة هيّنة خاطفة تحمل إليه جرثومة داء مميت. (١)

هذا في مجال الردّ على عبادتهم للأوثان والأصنام ، أمّا في مجال ركوبهم إلى الدنيا والإعراض عن الآخرة ، يستعرض مثلاً يشير فيه إلى أنّ الدنيا ظل زائل وليست خالدة ، قال سبحانه : ( إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخِضِيَ الْأَرْضَ زُخْرُفُهَا وَازْبَيَّتْ وَطَنَ أَهْلِهَا أَنَّهُمْ قَائِمُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْزِنًا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَبِ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ) . (٢)

هذا بعض ما يمكن أن يقال حول الأمثال التي نزلت في مكة.

وأما الأمثال التي نزلت في المدينة ، فقد نجد فيها الطابع المدني لأجل أنّها بصدد علاج الأدواء التي ابتلي بها المجتمع يومذاك وهي الأدواء الخلقية مكان الشرك والوثنية ، أو مكان إنكار الحياة الأخروية ، فلذلك ركّز الوحي على معالجة هذا النوع من الأدواء بالتمثيلات التي سنشير إليها.

فقد كان النبي ﷺ في مهجره مبتلياً بالمنافقين الذين كانوا يبطنون الكفر ويظهرون الإسلام بغية الإطاحة بالحكومة الإسلامية الفتية ، وفي هذا الصدد نرى أنّ الأمثال المدنية تطرقت في آيات كثيرة إلى المنافقين وبيّنت خطورة موقفهم على الإسلام والمسلمين ، فتارة يضرب الله سبحانه لهم مثلاً بالنار وأخرى بالمطر ، يقول سبحانه : ( مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الْإِنْسَانِ اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضِيءَ مَا حَوْلَهُ

١ . الصورة الفنية في المثل القرآني : ٩٩ ، نقلاً عن كتاب « القرآن وقضايا الإنسان » لبنت الشاطئ.

٢ . يونس : ٢٤ .

ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَبَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ \* صَبَمَ بَكُمْ عُيْبِي فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ \* وَأَكْصَيْبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ (١).

كان المجتمع المدني يضمُّ في طياته طوائف ثلاث من اليهود وهم : بنو قينقاع ، وبنو النضير ، وبنو قريظة ؛ وقد جبلوا على المكر والحيلة والغدر ، وكانوا يقرأون سمات النبي ﷺ في توراتهم ، ويمرّون عليها مرار الأمي الذي لا يجيد القراءة والكتابة ، وهذه السمة أدت إلى أن يشبههم سبحانه بالحمار الذي يحمل أسفاراً قيّمة دون أن يستفيدوا منها شيئاً ، يقول سبحانه : ( يَا لَيْدِي لَيْدِي سُبُّوا التَّورَةَ ۗ إِنَّهَا كَمِثْلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مِثْلَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ) (٢).

وأما المسلمون الذين عاصروا النبي ﷺ فكانوا بحاجة إلى هداية إلهية تصلح أخلاقهم ، فقد كان البعض منهم ينفقون أموالهم رياءً دون ابتغاء مرضاة الله ، أو ينفقونها بالمنّ والأذى ، فنزل الوحي الإلهي بمثل خاص بيّن موقف المنفق في سبيل الله ، والمنفق بالمنّ والأذى أو رياء الناس ، قال سبحانه : ( مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمِثْلِ حَبَّةٍ أُتْبِتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ) (٣) . وقال سبحانه : ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمِثْلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ

١- البقرة : ١٧-١٩ .

٢- الجمعة : ٥ .

٣- البقرة : ٢٦١ .

تُرَاب فَأَصَابَهُ وَاِبِلٌ فَتَرَكَهُ صُلْدًا لَا يَثْقُبُهَا نُونٌ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (١).

هذه إلمامة خاطفة للمامح الأمثال القرآنية التي نزلت قبل المحجرة وبعدها ، وسيوافيك البحث في تلك الأمثال عند تفسير الآيات واحدة تلو الأخرى.

### الحادي عشر : استنكار الأمثال القرآنية

يظهر من بعض الآيات أنّ بعض المخاطبين بالأمثال كانوا يستنكرونها ويستغربون منها ، وما ذلك إلا لأنّ المثل كان يكشف عن نواياهم ويبيّن واقع عقيدتهم ، ويسقّه أحلامهم ، فيبعث فيهم القلق والاضطراب ، ذلك عندما يجمع سبحانه في أمثاله تارة بين الذباب والعنكبوت والبعوضة . كما مر . وأخرى بين الكلب والحمار :  
كقوله سبحانه :

( فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ وَأَ تَتْرُكُهُ يَلْهَثُ ) . (٢)

( عَلَىٰ يَدَيْهِ أَسْفَارٌ ۚ يَأْكُلُ الرُّعَاةَ ۖ لَا يَخْلُوهَا كَمَثَلِ الْهَيْمَانِ الَّتِي لَمْ يُخَمِلْ بِهَا ظِلًّا ) . (٣)

وقد نقل سبحانه استنكارهم ، وقال : ( لَئِنَّ اللَّهَ لَ يَسْتَحْسِبُ لَكَ يَٰصَبْرًا مِّثْلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَا ذَا رَأَىٰ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا ۖ بَلْ يَصِفُ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا

١ . البقرة : ٢٦٤ .

٢ . الأعراف : ١٧٦ .

٣ . الجمعة : ٥ .

## الفاسقين (١) .

قال الزمخشري : والتمثيل إنما يصر إليه لكشف المعاني ، وإدناء المتوهم من الشاهد ، فإن كان المتمثل له عظيماً كان المتمثل به مثله ، وإن كان حقيراً كان المتمثل به كذلك. (٢)

وربما سرت تلك الشبهة إلى عصرنا الحاضر ، فقد استغرب بعضهم من ضرب المثل بالحشرات والأمور الحقيرة الضئيلة ، ولكنه غفل عن أنّ العبرة في ضرب الأمثال ليس بأدواتها وآلاتها ، وإنما بمكوناتها وغاياتها ، وما يدرينا بسرّ الإعجاز في التركيب الجثماني للبعوضة ، مثلاً ، وما فيه من إبداع وتحذ وإعداد ، ولعل فيه من الإنجاز الخلقي ما لا نشاهده بأكثر الأجسام ضخامة وكبراً ، على أن المبدع لها جميعاً هو الله وكفى ، « والله رب الصغير والكبير وخالق البعوضة والفيل ، والمعجزة في البعوضة هي ذاتها المعجزة في الفيل ، إنها معجزة الحياة ، معجزة السر المغلق الذي لا يعلمه إلا الله على أنّ العبرة في المثل ليست في الحجم ، إنما الأمثال أدوات للتنوير والتبصير ، وليس في ضرب الأمثال ما يعاب ، وما من شأنه الاستحياء من ذكره . والله . جلّت حكمته . يريد بها اختبار القلوب وامتحان النفوس. (٣)

### الثاني عشر : التمثيلات القرآنية

قد عرفت أن المثل السائر غير التمثيل الوارد في القرآن الكريم ، وأنه

---

١ . البقرة : ٢٦ .

٢ . الإتيان في علوم القرآن : ٢ / ١٠٤٢ .

٣ . في ظلال القرآن : ١ / ٥٧ .

سبحانه عند ما يقول : ( وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ )<sup>(١)</sup> يريد التمثيل لا المثل السائر ، وهذه التمثيلات هي نمط آخر من علوم القرآن وباب عظيم من معارفه .  
وقد أُلّف غير واحد في توضيح رموزها كتباً ورسائل ، ذكرنا أسماءها في قائمة خاصة ، ولعل ما لم أفق عليه أكثر من ذلك .

ولأجل إيقاف القارئ الكريم على الآيات التي سنتناولها بالبحث في هذا الكتاب ، نذكر التمثيلات القرآنية حسب ترتيب السور التي وردت فيها ، وقد تحمّل عبأ جمعها الدكتور محمد حسين على الصغير في كتابه « الصورة الفنية في المثل القرآني » على الرغم من ذلك فقد فاتته بعض الآيات كما عد منها ما ليس منها ويتضح ذلك في دراسة هذه الآيات :

١ . ( مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الْكَلْبِ اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ \* صُمُّ بُكْمٌ عُمَى فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ) .<sup>(٢)</sup>

٢ . ( وَأَكْصَبَ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَنُرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَرًا الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُجِيطٌ بِالْكَافِرِينَ \* كَذَلِكَ لِبَرِّئِكُمْ هَذِهِ صُفَّةٌ لِمِمْ لَيْلَةٍ لَمَّا تَضَحُّوا بِمَنَاسِكِكُمْ وَرَوَوْا لِقَاءَ اللَّهِ حَشِيًّا \* وَذُنُوبُهُمْ عَلَيْهِمْ فَلِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ لِنِ اللَّهِ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ) .<sup>(٣)</sup>

٣ . ( لِيَا أُمَّةٍ اللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي لِيَا يَضُرَّ مَثَلًا مَا بَعُوضَةٌ فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ \* الَّذِينَ يَنْفُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ

١ . الحشر : ٢١ .

٢ . البقرة : ١٧ - ١٨ .

٣ . البقرة : ١٩ - ٢٠ .

مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (١).  
٤. ( وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءَ وَنِدَاءَ صَبَمَ بِكُمْ عَجْبِي

فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ) (٢).

٥. ( لَمْ حَسِنَيْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ  
الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَكُلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصَبَ اللَّهُ الْإِلَهَ نَصَبَ اللَّهُ  
قَرِيبَ ) (٣).

٦. ( وَأَكَلْتُمُ الْمَالَ عَلَى قَرْبَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنِي يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ  
مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ  
مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى عِلْمِكَ شَيْءًا لَيْسَ بِشَيْءٍ وَانظُرْ إِلَى حِمْلِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَ  
انظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوها لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ  
شَيْءٍ قَدِيرٌ ) (٤).

٧. ( مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ  
سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ) (٥).

٨. ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ  
وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ

١. البقرة: ٢٦-٢٧.

٢. البقرة: ١٧١.

٣. البقرة: ٢١٤.

٤. البقرة: ٢٥٩.

٥. البقرة: ٢٦١.

- وَابِلَ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ).<sup>(١)</sup>
٩. ( وَمَثَلِ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ حَنْتَةِ يَرْبُوعَةٍ أَصَابَهَا لِيْلَةٌ أَوْ كَلْهَضَةٍ عَيْنِي إِلَيْهِ يُصِيبُهَا وَابِلٌ فَطَلَّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ).<sup>(٢)</sup>
١٠. ( أَيَوَّدُ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ).<sup>(٣)</sup>
١١. ( لِإِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ).<sup>(٤)</sup>
١٢. ( مَثَلٌ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَبِرًا قِوْمًا ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتَهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ ).<sup>(٥)</sup>
١٣. ( وَأَمِنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَالٍ مِنْهَا كَذَلِكَ نُزِّنُ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ).<sup>(٦)</sup>

١. البقرة : ٢٦٤ .

٢. البقرة : ٢٦٥ .

٣. البقرة : ٢٦٦ .

٤. آل عمران : ٥٩ .

٥. آل عمران : ١١٧ .

٦. الأنعام : ١٢٢ .

١٤. ( وَ لَبَدَ الطَّيِّبِ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَكَذَلِكَ خَاشِعَاتِ الْعَذَى يُخْرِجْنَ لَهُنَّ أَغْصَانَهُنَّ وَإِذْ تُخَشَعُونَ لِلَّهِ رَبِّكُمْ إِذْ تُبْعَثُونَ وَإِذْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسُوا حَظًّا فَبُذِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ) (١)

١٥. ( وَ اتَّبِعُوا مَثَلَهُمْ تَتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرَهُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّ كَمَا أَنْتُمْ عَلَيْهِمْ وَإِذْ أَنْزَلْنَا إِلَيْنَا الْكُرْآنَ فَذَكَرْنَا إِلَيْنَا مَا كَانُوا كَانُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ) (٢)

١٦. ( إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرًا لَيْسَ لَهَا مِنْ عِنْدِ رَبِّهَا وَجْهٌ بَلَّغَ اللَّهُ بِهَا الْقَوْلَ فَجَعَلْنَاهَا لُجَّةً كَرِيمًا لِيَتَذَكَّرَ أَهْلُهَا وَلِيَذَكَّرَ الْغَافِلِينَ ) (٣)

١٧. ( مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصْمَى وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيانَ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ) (٤)

١٨. ( هُوَ عَوْدٌ لِحَقِّكَ الَّذِي دَعَوْنَاكَ مِنْ قَبْلُ وَأَنْتَ تَكْفُرُ بِمَا كُنْتَ تَكْفُرُ بِهِ إِذْ كُنْتَ تَقُولُ مَا لَا تَعْلَمُ ) (٥)

١. الأعراف : ٥٨ .

٢. الأعراف : ١٧٥ . ١٧٧ .

٣. يونس : ٢٤ .

٤. هود : ٢٤ .

٥. الرعد : ١٤ .

١٩. ( أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ  
لِغَيْهِمْ لِنَارٍ يُجِئُونَ لِمِيقَاتِهِمْ وَبِئْسَ مَا يَدْعُونَ بِذَلِكَ ضَبًّا لِلْحَبِّ وَالْبَاطِلُ فَأَمَّا الزَّبَدُ  
فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَمِمَّا يَنْفَعُ النَّاسَ فَمَا كُنْتُمْ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضُرُّ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ) .<sup>(١)</sup>
٢٠. ( مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى  
الَّذِينَ أَتَقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ ) .<sup>(٢)</sup>
٢١. ( مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا  
يَقْدِرُونَ بِمَا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ) .<sup>(٣)</sup>
٢٢. ( لَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي  
السَّمَاءِ \* نُورًا قَدْ أَكْلَاهَا كُلًّا حِينَ يَأْذُنُ رَبُّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ) .<sup>(٤)</sup>
٢٣. ( وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَالَهَا مِنْ قَرَارٍ ) .<sup>(٥)</sup>
٢٤. ( وَسَكَنتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا  
لَكُمْ الْأَمْثَالَ ) .<sup>(٦)</sup>

١ - الرعد : ١٧ .

٢ - الرعد : ٣٥ .

٣ - إبراهيم : ١٨ .

٤ - إبراهيم : ٢٤ - ٢٥ .

٥ - إبراهيم : ٢٦ .

٦ - إبراهيم : ٤٥ .



أَطْرُقُ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَعِنَ بَيْتِي إِلَىٰ رَبِّي لِأَجْدٍ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا \* قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكْفَيْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَمَّكَ رَجُلًا \* لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْكِرُ بَرِيٍّ أَحَدًا \* وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتِكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِذْ تَرَىٰ أَنَا أَقْبَلَ مِنْكَ مَا لَوْ كِدَا \* جَعَىٰ بِي نَوْبِي وَنَوْبِي خَيْرٌ مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحُ صَعِيدًا زَلَقًا \* وَأَيْضُوحٌ مَا وَهَّاءَ غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلْبًا \* وَحَيْطُ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفِّهِ عَلَىٰ مَا نَفَخَ تَحْتَهُهَا هِيَ لَوْ يَهْتَطِ رُؤُوسُهُمَا يَتَوَلَّوْا مَا حَيَّي \* أَشْكُرُ بَرِيٍّ أَحَدًا \* لَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا \* هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا (١) . (

٣١ . ( وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا هِيَ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَيَاجْتَلِطُ بِهِ نَبَاتِ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَّاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا ) . (٢) .  
 ٣٢ . ( يَا أَيُّهَا النَّاسُ صَبِّرُوا مَثَلِ مَا سَأَلْتُمُوهُ لَكُمْ مِنَ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذَبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ إِنْ يَسْأَلْتَهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْفِذُ مِنْهُ ضِعْفَ الطَّالِبِ وَلَا يُلْطَبُوبُ ) . (٣) . (

٣٣ . ( اللَّهُ نُورِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا ضَوْءٌ سَوِيٌّ وَوَجْهٌ لَمْ يَسْسَسْهُ نَارٌ تُورُ عَلَىٰ نُورٍ يَهْجَىٰ اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْبِرُ اللَّهُ الْأَمْثَالُ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ) . (٤) .

١ . الكهف : ٣٢ - ٤٤ .

٢ . الكهف : ٤٥ .

٣ . الحج : ٧٣ .

٤ . النور : ٣٥ .

٣٤. ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَعْمَلْتُمْ كَسْبِيكَ تَقِيحًا بِحَسْبِ بِهِ ظَلَمْنَا مَطَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْ مَوَدَّةُ شَيْءٍ مِّنَ اللَّهِ وَكَفَّرُوا بِاللَّهِ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ ۗ حِسَابَهُ ۗ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ) .<sup>(١)</sup>
٣٥. ( وَأَكْظَلَّمَاتٍ ۖ بَرَّ الْجَبَّيْنِ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظَلَمَاتٌ مَّظْمُومَةٌ فَفَقَّ بَطْنٌ إِلَىٰ الْأَخْيَرِ يَدُهُمْ كَسَدٌ رَّهًا مِّنَ ۗ يَجْعَلُ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُّورٍ ) .<sup>(٢)</sup>
٣٦. ( مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَلِيَاءَ كَمَا مَثَلُ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا مِنْهَا وَهِيَ الْبُيُوتُ لَبِيتَ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ) .<sup>(٣)</sup>
٣٧. ( وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَىٰ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ) .<sup>(٤)</sup>
٣٨. ( ضَرَّ لَكُمْ مَثَلًا مِّنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ) .<sup>(٥)</sup>
٣٩. ( وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَيْدٌ ۖ فُرَاتٌ سَائِغٌ شِرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمَنْ كُفِرَ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخِرُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلُكَ فِيهِ مَوَاجِرَ لَتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ) .<sup>(٦)</sup>

١. النور: ٣٩.

٢. النور: ٤٠.

٣. العنكبوت: ٤١.

٤. الروم: ٢٧.

٥. الروم: ٢٨.

٦. فاطر: ١٢.

٤٠. ( وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ مُبْصِرٌ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ \* وَلَا الظُّلُمُتُ وَلَا الظُّلُ وَلَا الْحُورُ \*  
وَمَا يَسْمَعُ الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ لِإِلَهِ اللَّهِ يُسْمَعُ مَن يَشَاءُ وَمَا أُبْتِ بِمُسْمِعٍ مَن فِي الْقُبُورِ ).<sup>(١)</sup>

٤١. ( ضَرَبَ نَبِيٌّ مِّثْلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ \* فِي رَيْدٍ لَّمْنَا لَهُمْ مِثْلَهُنَّ  
فَكَذَّبُوهُمَا فَعَبَّوْنَا بِهَذَا الْآيَاتِ الْآيَاتِ لَأَنبَأَنَّكُمْ كَيْفَ كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ \* قَالُوا مَا أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَا أَنزَلَ الرَّحْمَنُ  
مِنَ سَمَوَاتِهِ إِلَّا تَنْزِيلًا مِّنَ السَّمَاءِ لَعَلَّكُمْ تُرْجَعُونَ \* قَالُوا رَبَّنَا عَلِّمْنَا لِنَا إِكْرَامًا وَعِلْمًا لِّمَنْ أُعْتِمِدَ وَمَا عَلَّمْنَا إِلَّا الْبَلَاغَ  
الْمُبِينُ \* لَمَّا أَنزَلْنَا طَبَقًا مِّنَ السَّمَاءِ فَتَنَّا بِهِ الْقَوْمَ الَّذِينَ كَفَرُوا فَمِنْهُمْ مَّنْ سَمِعَ وَقَالَ إِنِّي مُتَشَفِّئُ بِكُمْ وَأَكْتُبُنَّكُم مِّنَ الْكَافِرِينَ \* قَالُوا  
يَا مَعْشَرَ الْكُفَّارِ إِنَّا نَسَبْنَاكُمْ لِلْبَشَرِ نِسَابَ الْإِنسَانِ الْفَاسِقِينَ \* وَجَاءَ مِنَ الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْبِعِي قَالَ يَا  
قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ \* اتَّبِعُوا مَن لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُّهْتَدُونَ \* وَمَالِي لَأَعْبُدَ الَّذِي فَطَرَنِي  
مِنْ لَدُنِّي أُرِيدُ الْوَدَّاعِينَ \* وَاللَّهُ هَدَانِي لِحَقِّ دِينِي الَّذِي كُنْتُ عَلَىٰ بَاطِلٍ مُّبِينٍ \* وَالرَّحْمَنُ بِضُرِّي لَئِيمٌ \* تَتَّبِعُونَ الْبَقِيَّةَ  
الَّتِي لَكُمْ مِنَ الْبَقِيَّةِ الْكُفْرِ أَتَىٰ عَلَى الْكُفْرِ  
يُنْقِذُونَ \* إِنِّي فِي الْآفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ \* إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَيَسْمَعُونَ \* قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا  
لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ \* بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ \* وَمَا أَنزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِن بَعْدِهِ  
مِن جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ \* إِنِّي كَانَتْ إِلا صَبِيحَةً وَاحِدَةً فَيَا أَيُّهَا خَامِدُونَ \* يَا  
حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ).<sup>(٢)</sup>

٤٢. ( وَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانَ أَنبَا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَيَا أَيُّهَا خَصِيمِ مُّبِينٍ \* وَضَرَبَ لَنَا مِثْلًا  
وَنَسِي خَلَقَهُ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ \* قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا وَآلَ مِرَّةً وَهُوَ بِكُلِّ  
خَلْقٍ عَلِيمٌ ).<sup>(٣)</sup>

١. فاطر: ١٩-٢٢.

٢. يس: ١٣-٣٠.

٣. يس: ٧٧-٧٩.

٤٣. ( ضَبْرَ ٱللَّهِ مِثْلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَبَلَمَا لِرَجُلٍ هَبَلٌ يَسْتَوِيَانِ مِثْلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ) . (١)

٤٤. ( هَذَا يُبَشِّرُ أَحِبَّهُمْ بِمَا ضَبْرَ ٱلرَّحْمَنِ مِثْلًا ظِلٌّ وَجْهُهُ مُسْبُودٌ وَهُوَ كَظِيمٌ \* وَأَمِّنَ يُنَشِّوَةٌ فِي ٱلْحَلِيَّةِ وَهُوَ فِي ٱلْخِصَامِ عَيْرٌ مُّبِينٌ ) . (٢)

٤٥. ( فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ \* فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمِثْلًا لِّلآخِرِينَ ) . (٣)

٤٦. ( يٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَىٰ ٱلصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَىٰ ٱلْمَرَافِقِ وَٱرْجُلَيْكُمْ إِلَىٰ ٱلْأَعْقَابِ بِمَآءٍ حَلَالٍ مُّسْتَقِيمٍ \* وَٱتَّقُوا ٱلْيَوْمَ ٱلْأَكْبَرَ ٱلَّذِي خُلِقَ فِيهِ ٱلسَّمَاءُ وَٱلْأَرْضُ وَأَنْزِلُ ٱلْمَطَرَ \* وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ ) . (٤)

٤٧. ( ذَلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا ٱلْبَاطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا ٱلْحَقَّ مِنْ رَّبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ ) . (٥)

٤٨. ( مِثْلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَآءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرَ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي ٱلنَّارِ وَسُقُوا مَآءَ حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ) . (٦)

١. الزمر: ٢٩.

٢. الزخرف: ١٧-١٨.

٣. الزخرف: ٥٥-٥٦.

٤. الزخرف: ٥٧-٥٩.

٥. محمد: ٣.

٦. محمد: ١٥.

٤٩. ( مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ مَعَهُ أَشِدَّةٌ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ يَرْتَعَا سُبْحَانَ  
يَتَّبِعُونَ فَضِيلًا مِنَ اللَّهِ وَضِيَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ  
وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَنْزٍ أَخْرَجَ شِبْطَاهُ فَبَازَرَهُ فَاسْتَعْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُبُوقِهِ يُعْجَبُ الزَّبْرَعُ  
لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ) .<sup>(١)</sup>
٥٠. ( عَلَيْهِمْ نَوْمًا لِحَالَةٍ لِدُنْيَا هَيْبٍ \* هَبْرًا وَبِنَةِ وَتَفَاخُرٍ بَيْنَكُمْ وَتَكَاتُرٍ فِي الْأَمْوَالِ  
وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيحُ فَيَتْرَهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ  
عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْعُرُورِ ) .<sup>(٢)</sup>
٥١. ( كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاتُؤَا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ) .<sup>(٣)</sup>
٥٢. ( كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ  
اللَّهَ الْعَالَمِينَ ) .<sup>(٤)</sup>
٥٣. ( لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ  
الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ) .<sup>(٥)</sup>

١. الفتح : ٢٩ .

٢. الحديد : ٢٠ .

٣. الحشر : ١٥ .

٤. الحشر : ١٦ .

٥. الحشر : ٢١ .

٥٤. ( عَلَى الْمُتَّقِينَ - نُورًا لَوْرَةً ۗ يَجْمَلُوهَا كَمَثَلِ الْجَمْرِ يَخْتَلِ اسْفَارًا بِئْسَ مَثَلِ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ) .<sup>(١)</sup>
٥٥. ( ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةٌ وَجَّعَ طَرْفَايَاهَا بَيْنَ يَدَيْ عِبَادِنَا فَلَمَّا فَحَصَانَاهُمَا فَلَمْ يَعْزِمَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الْكٰفِرِينَ ) .<sup>(٢)</sup>
٥٦. ( وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةٌ فَرَعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَبِحَسْبِي مِنَ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَبِحَسْبِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ \* مَرْيَمُ ابْنَةُ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَبَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُنْتِ مِنَ الْقَائِمِينَ ) .<sup>(٣)</sup>
٥٧. ( وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْبِتُوا الَّذِينَ آمَنُوا وَيَزَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَزْتَابَ الَّذِينَ أُتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ خُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ ) .<sup>(٤)</sup>
- هذا ما ذكره الكاتب ، ولكنه غير جامع إذ هناك آيات تتضمن تمثيلاً وإن لم

١ . الجمعة : ٥ .

٢ . التحريم : ١٠ .

٣ . التحريم : ١١ - ١٢ .

٤ . المدثر : ٣١ .

يشتمل على لفظ المثل أو حرف التشبيه ولكن التمثيل برّمة أركانه موجود فيها ، قال سبحانه : ( الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ) (١) فشبهه آكل الربا بمن مسّه الجن فصار مدعورا لا يملك عقله ونفسه. إلى غير ذلك من الآيات.

قال بعض العلماء : ضرب الأمثال في القرآن يستفاد منه أمور كثيرة : التذكير ، والوعظ ، والحث والزجر ، والاعتبار ، والتقدير ، وتقريب المراد للعقل ، وتصويره بصورة المحسوس ، فإنّ الأمثال تصوّر المعاني بصورة الأشخاص ، لأنّها أثبت في الذهن لاستعانة الذهن فيها بالحواس ، ومن ثمّ كان الغرض من المثل تشبيه الخفي بالجلي والغائب بالشاهد. وتأتي أمثال القرآن مشتملة على بيان تفاوت الأجر ، وعلى المدح والذم ، وعلى الثواب والعقاب ، وعلى تفخيم الأمر وتحقيره ، وعلى تحقيق أمر أو إبطاله. (٢)

ثمّ إنّ الآيات التي جاء فيها التصريح بالمثل ، عبارة عن الآيات التالية :

١. ( وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ ) . (٣)

٢. ( وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ ) . (٤)

٣. ( وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ) . (٥)

---

١ . البقرة : ٢٧٥ .

٢ . رياض السالكين : ٥ / ٤٦١ .

٣ . الإسراء : ٨٩ .

٤ . الكهف : ٥٤ .

٥ . النحل : ٦٠ .

- ٤ . ( وَ لَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ) .<sup>(١)</sup>
- ٥ . ( وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ ) .<sup>(٢)</sup>
- ٦ . ( وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ) .<sup>(٣)</sup>
- ٧ . ( كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ) .<sup>(٤)</sup>
- ٨ . ( وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ) .<sup>(٥)</sup>
- ٩ . ( وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ ) .<sup>(٦)</sup>
- ١٠ . ( وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ ۗ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ) .<sup>(٧)</sup>
- ١١ . ( وَتِلْكَ الْأَمْثَالَ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ) .<sup>(٨)</sup>
- ١٢ . ( وَتِلْكَ الْأَمْثَالَ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ) .<sup>(٩)</sup>
- ١٣ . ( كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ ) .<sup>(١٠)</sup>
- ١٤ . ( وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ وَمَثَلًا مِنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ) .<sup>(١١)</sup>
- ١٥ . ( وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ ۗ وَحَسَنَ تَفْسِيرًا ) .<sup>(١٢)</sup>
- ولكن الأمثال أعم مما ورد فيه لفظ المثل أو كاف التشبيه كما مر .

١ . الروم : ٢٧ .

٢ . الروم : ٥٨ .

٣ . الزمر : ٢٧ .

٤ . الرعد : ١٧ .

٥ . إبراهيم : ٢٥ .

٦ . إبراهيم : ٤٥ .

٧ . النور : ٣٥ .

٨ . العنكبوت : ٤٣ .

٩ . الحشر : ٢١ .

١٠ . محمد : ٣ .

١١ . النور : ٣٤ .

١٢ . الفرقان : ٣٣ .

### الثالث عشر : الآيات التي تجري مجرى المثل

القرآن الكريم كله حكمة وعظة ، بلاغ وعبرة ، وقد قام غير واحد من المحققين باستخراج الحكم الواردة فيه التي صارت أمثالاً سائرة عبر القرون لتداولها على الألسن في حياتهم العملية. وقد سبق منا القول إنّ هذه الآيات لم تنزل بوصف المثل ، لأنّ المثل عبارة عن كلام تداولته الألسن فصار به أمثالاً سائرة دارجة ، ومن الواضح أنّ الحكم الواردة في القرآن نزلت من دون سبق مثال لها ، فلم تكن يوم نزولها موصوفة بوصف المثل ، وإنما أضفي عليها هذا الوصف عبر مر الزمان وتداول الألسن.

ثم إن جعفر بن شمس الخلافة<sup>(١)</sup> (المتوفى عام ٢٢٦ هـ) عقد باباً في ألفاظ القرآن الجارية مجرى المثل ، ونقله السيوطي عنه في كتاب «الإتقان» ، وقال : وهذا هو النوع البديعي المسمّى بإرسال المثل.

وإليك ما أورده من هذا الباب :

- ١ . ( وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ) .<sup>(١)</sup>
- ٢ . ( كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَت فِئَةً كَثِيرًا ) .<sup>(٢)</sup>
- ٣ . ( لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ) .<sup>(٣)</sup>

---

١ . هو أبو الفضل جعفر بن محمد شمس الخلافة الأفضلي البصري المتولّد عام ٥٤٣ هـ ، ترجمه ابن خلكان في « وفيات الأعيان » مؤلف كتاب « الآداب » وهو كتاب وجيز في الحكم والأمثال من النثر والنظم طبع في مصر عام ١٣٤٩ هـ .

٢ . البقرة : ٢١٦ .

٣ . البقرة : ٢٤٩ .

٤ . البقرة : ٢٨٦ .

- ٤ . ( لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ) .<sup>(١)</sup>
- ٥ . ( مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ ) .<sup>(٢)</sup>
- ٦ . ( قُلْ لَا يَسْتَوِي الْحَبِيثُ وَالطَّيِّبُ ) .<sup>(٣)</sup>
- ٧ . ( لِكُلِّ نَبَأٍ مُسْتَقَرٌّ ) .<sup>(٤)</sup>
- ٨ . ( وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ ) .<sup>(٥)</sup>
- ٩ . ( مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ ) .<sup>(٦)</sup>
- ١٠ . ( الْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلَ ) .<sup>(٧)</sup>
- ١١ . ( أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ) .<sup>(٨)</sup>
- ١٢ . ( فَضِي الْأَمْرِ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ) .<sup>(٩)</sup>
- ١٣ . ( الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ ) .<sup>(١٠)</sup>
- ١٤ . ( قُلْ كُلُّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ ) .<sup>(١١)</sup>
- ١٥ . ( ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَاكَ ) .<sup>(١٢)</sup>
- ١٦ . ( ضَعْفَ الطَّالِبِ وَمَلْطُوبٍ ) .<sup>(١٣)</sup>
- ١٧ . ( كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ) .<sup>(١٤)</sup>

١ . آل عمران : ٩٢ .

٢ . المائدة : ٩٩ .

٣ . المائدة : ١٠٠ .

٤ . الأنعام : ٦٧ .

٥ . الأنفال : ٢٣ .

٦ . التوبة : ٩١ .

٧ . يونس : ٩١ .

٨ . هود : ٨١ .

٩ . يوسف : ٤١ .

١٠ . يوسف : ٥١ .

١١ . الإسراء : ٨٤ .

١٢ . الحج : ١٠ .

١٣ . الحج : ٧٣ .

١٤ . الروم : ٣٢ .

- ١٨ . ( ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ) .<sup>(١)</sup>  
 ١٩ . ( وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِ الشَّكُورِ ) .<sup>(٢)</sup>  
 ٢٠ . ( حَلَىٰ يَتَّبِعُهُمُ الْيَقِينُ مَا يَشْتَهُونَ ) .<sup>(٣)</sup>  
 ٢١ . ( وَلَا يَتَّبِعْكَ مِثْلَ خَبِيرٍ ) .<sup>(٤)</sup>  
 ٢٢ . ( وَلَا يَجِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ) .<sup>(٥)</sup>  
 ٢٣ . ( وَضَرَّ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ ) .<sup>(٦)</sup>  
 ٢٤ . ( لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ) .<sup>(٧)</sup>  
 ٢٥ . ( وَقَلِيلٌ مَا هُمْ ) .<sup>(٨)</sup>  
 ٢٦ . ( لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ ) .<sup>(٩)</sup>  
 ٢٧ . ( هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ) .<sup>(١٠)</sup>  
 ٢٨ . ( هَيَّوْا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ ) .<sup>(١١)</sup>  
 ٢٩ . ( تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ) .<sup>(١٢)</sup>  
 ٣٠ . ( كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ) .<sup>(١٣)</sup>

- 
- ١ - الروم : ٤١ .  
 ٢ - سبأ : ١٣ .  
 ٣ - سبأ : ٥٤ .  
 ٤ - فاطر : ١٤ .  
 ٥ - فاطر : ٤٣ .  
 ٦ - يس : ٧٨ .  
 ٧ - الصافات : ٦١ .  
 ٨ - ص : ٢٤ .  
 ٩ - النجم : ٥٨ .  
 ١٠ - الرحمن : ٦٠ .  
 ١١ - الحشر : ٢ .  
 ١٢ - الحشر : ١٤ .  
 ١٣ - المدثر : ٣٨ .

هذا ما نقله السيوطي في « الإِتقان » عن كتاب « الآداب » لجعفر بن شمس الخليفة ، ولكن المذكور في كتاب « الآداب » ما يناهز ٦٩ آية ، وقد صارت هذه الآيات في عصره أمثالا سائرة. (١)

ثم إن شهاب الدين محمد بن أحمد أبا الفتح الابشيهي المحلي ( ٧٩٠ . ٨٥٠ هـ ) في كتابه « المستطرف في كل فن مستظرف » ذكر من حكم القرآن التي تجري مجرى الأمثال أكثر مما نقله السيوطي في إتقانه عن كتاب الآداب .

قال صاحب المستظرف : إنَّ الأمثال من أشرف ما وصل به اللبيب خطابه ، وحلِّي بجواهره كتابه ، وقد نطق كتاب الله تعالى وهو أشرف الكتب المنزلة بكثير منها ، ولم يخلُ كلام سيدنا رسول الله ﷺ عنها ، وهو أفصح العرب لساناً وأكملهم بياناً ، فكم في إيراده وإصداره من مثل يعجز عن مباراته في البلاغة كلّ بطل ، .... فمن أمثال كتاب الله ، قوله تعالى : ( لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا حُبِّبْتُمْ ) ، ( الْآنَ حَصْبُكَ الْحَقُّ ) ، و ( فَضِيحَتِ الْأَمْرِ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ) إلى آخر ما ذكره. (٢)

ثمَّ إنَّ بعض من ألّف في أمثال القرآن ، استدرِك عليهما الحكم التي صارت مثلاً بين الناس والتي يربو عددها على ٢٤٥ آية. (٣)

كما أن الدكتور محمدحسين الصغير ذكر في خاتمة كتابه من هذه المقولة فبلغ ٤٩٥ آية. (٤)

ولكن الذي فاتهم هو التركيز على أنّ هذه الآيات لم تكن أمثالاً يوم نزولها

١ . الإِتقان : ٢ / ١٠٤٦ النوع السادس والستون .

٢ . المستظرف في كل فن مستظرف : ١ / ٢٧ .

٣ . أمثال القرآن ، علي أصغر حكمت .

٤ . الصورة الفتيّة في المثل القرآني : ٣٨٧ - ٤٠٢ .

، بل كانت حكماً وإتما جاءت مثلاً حسب مرّ الزمان .  
وأخيراً نزيد أن هناك آيات أخرى غير ما تقدّم أكثر تداولاً على الألسن في أكثر البلاد الإسلامية نشير إلى قسم منها ، وربما يوجد بعض منها فيما ذكره مؤلف الآداب ، وهذه الآيات هي :

- ١ . ( كُلُوا و اشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ) .<sup>(١)</sup>
  - ٢ . ( هذا فراق بَيْنِي وَبَيْنِكَ ) .<sup>(٢)</sup>
  - ٣ . ( نُور عَلَى نُور ) .<sup>(٣)</sup>
  - ٤ . ( و ما على الرُّسُولِ إِلاّ الْبَلَاغُ ) .<sup>(٤)</sup>
  - ٥ . ( يُخْجِجِ الْحَيِّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْجِجِ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ) .<sup>(٥)</sup>
  - ٦ . ( هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ) .<sup>(٦)</sup>
  - ٧ . ( يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ) .<sup>(٧)</sup>
  - ٨ . ( هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلاّ الْإِحْسَانُ ) .<sup>(٨)</sup>
  - ٩ . ( تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ) .<sup>(٩)</sup>
  - ١٠ . ( لَكُمْ دِينُكُمْ وَآلِي دِينِ ) .<sup>(١٠)</sup>
- هذه آيات عشر صارت مثلاً سائراً بين أكثر المسلمين .

- 
- ١ . الأعراف : ٣١ .
  - ٢ . الكهف : ٧٨ .
  - ٣ . النور : ٣٥ .
  - ٤ . النور : ٥٤ .
  - ٥ . الروم : ١٩ .
  - ٦ . الزمر : ٩ .
  - ٧ . الفتح : ١٠ .
  - ٨ . الرحمن : ٦٠ .
  - ٩ . الصف : ٢ .
  - ١٠ . الكافرون : ٦ .

ثم إنَّ المحقق بهاء الدين العاملي ( ٩٥٣ . ١٠٣٠ هـ ) عقد فصلا تحت عنوان « فيما ورد من كتاب الله تعالى مناسبا لكلام العرب » ويريد بذلك ان هناك معادلات في كلام العرب لما جاء في القرآن من الحكم ، وذكر الآيات والأمثال التالية :

أ : العرب تقول في وضوح الأمر : « قد وضع الصبح لذي عينين » .  
وقال الله تعالى : ( **الآن حَصَّحَصَ الْحَقُّ** ) .<sup>(١)</sup>

ب : وتقول العرب في فوات الأمر : « سبق السيف العذل » .  
قال الله تعالى : ( **فُضِي الأَمْرُ الْكَلْبُ فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ** ) .<sup>(٢)</sup>

ج : وتقول في تلافي الإساءة « عاد غيث على ما أفسد » .  
قال الله تعالى : ( **مكان السيئة الحسننة** ) .<sup>(٣)</sup>

د : وتقول في الإساءة لمن لا يقبل الإحسان : « اعط أخاك ثمرة فإن أبي فجمرة » .  
وقال تعالى : ( **وَمَنْ يَعِشْ عَنِ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِيضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ** ) .<sup>(٤)</sup>

هـ : وتقول في فائدة المجازة : « القتل أنفى للقتل » .  
وقال تعالى : ( **وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الأَلْبَابِ** ) .<sup>(٥)</sup>

١ - يوسف : ٥١ .

٢ - يوسف : ٤١ .

٣ - الأعراف : ٩٥ .

٤ - الزحرف : ٣٦ .

٥ - البقرة : ١٧٩ .

و : وتقول في اختصاص الصلح : « لِكُلِّ مقام مقال ».

وقال تعالى : ( لِكُلِّ نَبَأٍ مُسْتَقَرٌّ ) (١) (٢)

ثم إنَّ بهاء الدين العاملي عاد إلى الموضوع في كتابه « المخلاة » ونقل شيئاً من أمثال العرب التي استفادها العرب من القرآن الكريم ، فأوضح أنَّ القرآن هو المنبع المهم لهذه الأمثال ، قال :

أ : قولهم : ما تزرع تحصد : ( مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ ) . (٣)

ب : قولهم : للحيطان آذان : ( وَفِيكُمْ سَمَاعُونَ لَكُمْ ) . (٤)

ج : قولهم : احذر شرًّا من أحسنت إليه : ( وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَسَبُّهُ مِنْ فَضْلِهِ ) . (٥)

د : وقولهم : لا تلد الحية إلا حية : ( وَلَا يَلِدُ إِلَّا فَاكِراً كَفَّاراً ) (٦) (٧)

وما ذكره شيخنا العاملي هو الذي سبق ذكره في كلام الآخرين تحت عنوان « الأمثال الكامنة ».

ولعل ما ذكره ابن شمس الخلافة والسيوطي والبهائي ليس إلا جزءاً يسيراً من الحكم التي سارت بين الناس ، أو صارت نموذجاً لصبِّ بقية الأمثال في قالبها ، وهذا من القرآن ليس ببعيد.

كيف وقد وصفه النبي ﷺ : « لا تُحصى عجائبه ولا تبلى غرائبه » . (٨)

١ . الأنعام : ٦٧ .

٢ . أسرار البلاغة : ٦١٦ . ٦١٧ .

٣ . النساء : ١٢٣ .

٤ . التوبة : ٤٧ .

٥ . التوبة : ٧٤ .

٦ . نوح : ٢٧ .

٧ . المخلاة : ٣٠٧ .

٨ . الكافي : ٥٩٩\٢ ، كتاب فضل القرآن ، الحديث ٢ .

## الرابع عشر : الأمثال النبوية

إذا كان المثل إبراز المعنى المقصود في معرض الأمر المشهود ، وتحلية المعقول بحلية المحسوس ، واستنزال الحقائق المستعصية ، فهو من أدوات التبليغ والتعليم ، ولذلك ذاع التمثيل في القرآن الكريم والكلمات النبوية ، وكلمات أئمة أهل البيت عليهم السلام ، إلى عبارات البلغاء وإشارات الحكماء.

وقد قام غير واحد من المحدثين بجمع الأمثال النبوية.

وقد ذكر المحقق المعاصر الشيخ محمد الغروي . حفظه الله . في مقدمة كتابه « الأمثال النبوية » حوالي عشرة كتب حول الأمثال النبوية ، وهو بكتابه هذا أوصل العدد إلى أحد عشر كتاباً ، وقد نقل عن عبد المجيد محمود مؤلف كتاب « أمثال الحديث » العبارة التالية :  
أما أمثال الحديث فلم تحظ بالعناية التي نالتها أمثال القرآن أو الأمثال العربية العامة ، ولم أر أحداً من أصحاب الكتب الستة أفردتها بالتأليف أو أفرد لها باباً في كتابه ، سوى الإمام الترمذي الذي خصص لأمثال الحديث مكاناً في جامعه تحت عنوان : « أبواب الأمثال عن رسول الله صلى الله عليه وآله لكنه لم يذكر تحت هذا العنوان غير أربعة عشر حديثاً ، ولهذا يقول ابن العربي : ولم أر أحداً من أهل الحديث صنف فأفرد لها باباً غير أبي عيسى . يعني الترمذي . والله درّه لقد فتح باباً أو بنى قصرأ أو دارأ ، ولكن اختط خطأ صغيراً ، فنحن نقتنع به ونشكره عليه. <sup>(١)</sup>

ثم إنَّ شيخنا الغروي قام بجمع شوارد الأمثال النبوية في جزءين كبيرين مع تفسيرها ، مرتباً إياها وفق حروف التهجي ، وأسمى كتابه « الأمثال النبوية » ،

---

١ . أمثال الحديث : ٨٨ ، ولكلامه صلة.

وطبع في بيروت.

وها نحن نذكر نماذج من الأمثال النبوية التي جمعها السيوطي في « الجامع الصغير » لتكون زينة للكتاب.

١. « مثل الإيمان مثل القميص تَمَّصَه مرّة ، وتنزعه أخرى ».

٢. « مثل البخيل والمتصدق كمثل رجلين عليهما جبتان من حديد من ثديهما إلى تراقيهما ، فأما المنفق فلا ينفق إلا سبغت على جلده ، حتى تخفي بنانه ، وتعفو أثره ، وأما البخيل فلا يريد أن ينفق شيئاً إلا لزقت كل حلقة مكانها ، فهو يوسّعها فلا تتسع ».

٣. « مثل البيت الذي يذكر الله فيه والبيت الذي لا يذكر الله فيه ، مثل الحيّ والميت ».

٤. « مثل المجلس الصالح والمجلس السوء ، كمثل صاحب المسك وكبير الحدّاد ، لا يعدمك من صاحب المسك ، إمّا أن تشتريه أو تجده ريحاً ، وكبير الحدّاد يحرق بيتك أو ثوبك ، أو تجده منه ريحاً خبيثة ».

٥. « مثل المجلس الصالح مثل العطار ، إن لم يعطك من عطره أصابك من ريحه ».

٦. « مثل الرافلة في الزينة في غير أهلها ، كمثل ظلمة يوم القيامة لا نور لها ».

٧. « مثل الصلوات الخمس كمثل نهر جارٍ عذب على باب أحدكم ، يغتسل فيه كلّ يوم خمس مرّات ، فما يبقى ذلك من الدّنس ».

٨. « مثل العالم الذي يعلم الناس الخير وينسى نفسه ، كمثل السراج يضئ للناس ويحرق نفسه ».

٩. « مثل القلب مثل الريشة تقلبها الرياح بفلاة ».
١٠. « مثل الذي يعتق عند الموت ، كمثل الذي يهدي إذا شبع ».
١١. « مثل الذي يتعلم العلم ، ثم لا يحدث به ، كمثل الذي يكنز الكنز فلا ينفق منه ».
١٢. « مثل الذي يتعلم العلم في صغره كالنقش على الحجر ، ومثل الذي يتعلم العلم في كبره ، كالذي يكتب على الماء ».
١٣. « مثل الذي يجلس يسمع الحكمة ولا يحدث عن صاحبه إلا بشرّ ما يسمع ، كمثل رجل أتى راعياً ، فقال : يا راعي اجزري شاة من غنمك ، قال : اذهب فخذ بطن خيرها شاةً ، فذهب فأخذ بأذن كلب الغنم ».
١٤. « مثل الذي يتكلم يوم الجمعة والإمام يخطب ، مثل الحمامار يحمل أسفاراً ، والذي يقول له : « انصت » لا جمعة له ».
١٥. « مثل الذي يعلم الناس الخير وينسى نفسه ، مثل الفتيلة ، تضيء للناس وتحرق نفسها ».
١٦. « مثل الذي يعين قومه على غير الحق ، مثل بعير تردى وهو يجزّ بذنبه ».
١٧. « مثل الذين يغزون من أمّتي يأخذون الجعل يتقوون به على عدوهم ، مثل أمّ موسى ، ترضع ولدها وتأخذ أجرها ».
١٨. « مثل المؤمن كمثل العطار ، إن جالسته نفعك ، وإن ماشيته نفعك ، وإن شاركته نفعك ».
١٩. « مثل المؤمن مثل النحلة ما أخذت منها من شيء نفعك ».
٢٠. « مثل المؤمن إذا لقي المؤمن فسلم عليه ، كمثل البنيان يشدّ بعضه

بعضاً.»

٢١. « مثل المؤمن مثل النحلة ، لا تأكل إلا طيباً ، ولا تضع إلا طيباً .»

٢٢. « مثل المؤمن مثل السنبله ، تميل أحياناً ، وتقوم أحياناً .»

٢٣. « مثل المؤمن مثل السنبله ، تستقيم مرّة ، وتحترّ مرّة ، ومثل الكافر مثل الأرزّة ، لا تزال مستقيمة حتى تحتر ولا تشعر .»

٢٤. « مثل المؤمن مثل الخامة ، تحمرّ مرّة ، وتصفرّ أخرى ، والكافر كاللأرزّة .»

٢٥. « مثل المؤمن كمثل خامه الزرع من حيث أتها الريح كفتها ، فإذا سكنت اعتدلت ، وكذلك المؤمن ، يكفأ بالبلاء ، ومثل الفاجر كاللأرزّة صمّاء معتدلة ، حتى يقصمها الله تعالى إذا شاء .»

٢٦. « مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كمثل الأترجة ريحها طيب وطعمها طيب. ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة لا ريح لها ، وطعمها حلّو. ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن كمثل الريحانة ، ريحها طيب ، وطعمها مرّ ، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة ليس لها ريح وطعمها مر .»

٢٧. « مثل المؤمن مثل النحلة إن أكلت طيباً ، وإن وضعت وضعت طيباً ، وإن وقعت على عود نخر لم تكسره ، ومثل المؤمن مثل سبيكة الذهب إن نفخت عليها احمرت ، وإن وزنت لم تنقص .»

٢٨. « مثل المؤمن كالبيت الخرب في الظاهر ، فإذا دخلته وجدته موفناً ، ومثل الفاجر كمثل القبر المشرف المخصّص ، يعجب من رآه وجوفه ممتلئاً .»

٢٩. مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسّهر والحمى .»

٣٠. مثل المجاهد في سبيل الله ، كمثل الصائم القائم الدائم الذي لا يفتر من صيام ولا صدقة ، حتى يرجع ، وتوكل الله تعالى للمجاهد في سبيله إن توفاه أن يدخله الجنة أو يرجعه سالماً مع أجر أو غنيمة .»
٣١. « مثل المرأة الصالحة في النساء ، كمثل الغراب الأعصم الذي إحدى رجليه بيضاء .»
٣٢. « مثل المنافق كمثل الشاة العائرة بين الغنمين ، تعير إلى هذه مرّة ، وإلى هذه مرّة ، لا تدري أيّهما تتبع .»
٣٣. « مثل ابن آدم وإلى جنبه تسعة وتسعون منية ، إن أخطأته المنايا وقع في الهرم حتى يموت .»
٣٤. « مثل أصحابي مثل الملح في الطعام ، لا يصلح الطعام إلاّ بالملح .»
٣٥. « مثل أمّتي مثل المطر ، لا يُدرى أوله خير ، أم آخره .»
٣٦. « مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح ، من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق .»
٣٧. « مثل بلال كمثل نحلة ، غدت تأكل من الحلو والمرّ ثم يمسي حلواً كلّه .»
٣٨. « مثل بلعم بن باعوراء في بني إسرائيل ، كمثل أمية بن أبي الصلت في هذه الأُمّة .»
٣٩. « مثل منى كالرحم في ضيقه ، فإذا حملت وسعها الله .»
٤٠. « مثل هذه الدنيا مثل ثوب شقّ من أوله إلى آخره ، فبقي متعلّقاً بخيط في آخره ، فيوشك ذلك الخيط أن ينقطع .»

٤١. « مثلي ومثل الساعة كفرسي رهان ، مثلي ومثل الساعة كمثل رجل بعثه قوم طليعة ، فلما خشي أن يسبق ألاح بثويبه : أتيتم أتيتم ، أنا ذاك ، أنا ذاك » .
٤٢. « مثلي ومثلكم كمثل رجل أوقد ناراً ، فجعل الفراش والجنادب يقعن فيها وهو يذُبّهَن عنها ، وأنا أخذ بحجزكم عن النار ، وأنتم تفلتون من يدي » .<sup>(١)</sup>

### الخامس عشر : الأمثال العلوية

كان أمير المؤمنين عليه السلام مشرّع الفصاحة وموردها ، ومنشأ البلاغة ومولدها ، ومنه عليه السلام ظهر مكنونها ، وعنه أخذت قوانينها ، وعلى أمثله هذا كلّ قائل خطيب ، وبكلامه استعان كل واعظ بليغ ، وعلى كلامه مسحة من العلم الإلهي ، وفيه عبقة من الكلام النبوي .

فقد قام غير واحد من رواد الفصاحة والبلاغة بجمع شوارد كلامه ، وكلمه القصار والطوال ، فنافت على اثني عشرة ألف كلمة ، وفيما جمعه عبد الواحد الأمدي ( المتوفى حدود ٥٥٠ هـ ) في كتابه « غرر الحكم ودرر الكلم » غنى وكفاية لطبلاً الحق ولذلك نطوي عنها كشحا .

وأما التمثيل في كلمات سائر الأئمة الاثني عشر فحدّث عنه ولا حرج ، وقد شمّر المحقّق الغروي عن ساعد الجدّ فألف موسوعات في هذا المضمار ، شكر الله مساعيه الجميلة .

---

١ . الجامع الصغير : ٢ / ٥٢٧ . ٥٣٤ .

## السادس عشر : أمثال لقمان الحكيم

اختلفت الأقوال في شخصية لقمان الحكيم ، روى ابن عمر ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لم يكن لقمان نبياً ، ولكن كان عبداً كثير التفكر حسن اليقين ، أحب الله فأحبه ومن عليه بالحكمة » .<sup>(١)</sup>

وقد بلغ سمؤ كلامه إلى حدّ نقل سبحانه وتعالى شيئاً من حكمه في القرآن الكريم ، وأنزل سورة باسمه ، كما قام غير واحد من العلماء بجمع حكمه الماثورة في الكتب ، وقد قام أمين الإسلام الطبرسي بنقل شيء من حكمه في تفسيره ، وقد وصفه الإمام الصادق عليه السلام بقوله : « والله ما أوتي لقمان الحكمة لحسب ولا مال ولا بسط في جسم ولا جمال ، ولكنّه كان رجلاً قوياً في أمر الله ، متورعاً في الله ساكناً سكيناً ، عميق النظر ، طويل التفكر ، حديد البصر ، لم ينم نهاراً قطّ ، ولم يتكى في مجلس قوم قطّ ، ولم يتفل في مجلس قوم قطّ ، ولم يعبث بشيء قطّ ، ولم يره أحد من الناس على بول ولا غائط قطّ ، ولا على اغتسال لشدة تستره وتحفظه في أمره ، ولم يضحك من شيء قطّ ، ولم يغضب قطّ مخافة الإثم في دينه ، ولم يمازح إنساناً قطّ ، ولم يفرح بما أوتيه من الدنيا ، ولا حزن منها على شيء قطّ ، ... ولم يمرّ بين رجلين يقتتلان أو يختصمان إلاّ أصلح بينهما ، ولم يمض عنهما حتى تحاجزا ، ولم يسمع قولاً استحسنته من أحد قطّ ، إلاّ سأله عن تفسيره وعمّن أخذه ، وكان يكثر مجالسة الفقهاء والعلماء ، وكان يعشى القضاة والملوك والسلاطين ، فيرثي للقضاة بما ابتلوا به ، ويرحم الملوك والسلاطين لعزّتهم بالله وطمأنينتهم في ذلك ، ويتعلّم ما يغلب

به

---

١ . مجمع البيان : ٤ / ٣١٥ .

نفسه ويجاهد به هواه ، ويجترز من السلطان ، وكان يداوي نفسه بالتفكر والعبر ، وكان لا يظعن إلا فيما ينفعه ، ولا ينظر إلا فيما يعينه ، فبذلك أوتي الحكمة ومنح القضية <sup>(١)</sup>.

---

١- مجمع البيان : ٤ / ٣١٧-٣١٨.

## سورة البقرة

١

### التمثيل الأو

قال سبحانه : ( وَذَٰرِ لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِ خَلَبُوا إِلَىٰ شَيْطَانِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ نَمًا ۚ بَنَ مُسَبِّهَاتُونَ \* اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ \* وَأَلْتَكِ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالََةَ بِالْهَيْدِ ۚ فَمَا رِيحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ \* مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الْكَلْبِ ۚ اسْتَوَقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَ ۙ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ \* صُبُّكُمْ بَكُمْ عُمْبِي فَهَمْ لَا يَرْجِعُونَ ) . (١)

### تفسير الآيات

الوقود . بفتح الواو . الحطب ، استوقد ناراً ، أو أوقد ناراً ، كما يقال : استجاب بمعنى أجاب .

افتتح كلامه سبحانه في سورة البقرة بشرح حال طوائف ثلاث :

الأولى : المؤمنون ، واقتصر فيهم على آيتين .

الثانية : الكافرون ، واقتصر فيهم على آية واحدة .

الثالثة : المنافقون ، وذكر أحوالهم وسماتهم ضمن اثنتي عشرة آية .

---

١ . البقرة : ١٤ - ١٨ .

وهذا إن دلّ على شيء فإتّما يدل على أنّ النفاق بؤرة الخطر ، وأنّهم يشكّلون خطورة جسيمة على المجتمع الإسلامى . وقد مثل بمثلين يوقفنا على طبيعة نواياهم الخبيثة وما يطنون من الكفر .

بدأ كلامه سبحانه في حقهم بأن المنافقين هم الذين يطنون الكفر ويتظاهرون بالإيمان ( هَذَا لِقَوْلِ الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا بَنَ مُسْتَهْزِئُونَ ) .

ثمّ إنّه سبحانه يردّ عليهم ، بقوله : ( اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ) والمراد أنّه سبحانه يجازيهم على استهزائهم .

ثم وصفهم بقوله : ( وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ وَالنَّجْمِ إِذَا تَوَلَّىٰ سَاجِدًا لِلْكَافِرِينَ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ) ، أي أخذوا الضلالة وتركوا الهدى ، واستبدلوا الكفر بالإيمان ، فلم يكونوا راجحين في هذه التجارة والاستبدال ، ثمّ وصفهم بالتمثيل الآتي :

نفترض أنّ أحداً ، ضلّ في البیداء وسط ظلام دامس وأراد أن يقطع طريقه دون أن يتخبّط فيه ، ولا يمكن أن يهتدي . والحال هذه . إلّا بإيقاد النار ليمشي على ضوءها ونورها ويتجنب المزالق الخطيرة ، وما أن أوقد النار حتى باغته ريح عاصفة أطفأت ما أوقده ، فعاد إلى حيرته الأَوْلى .

فحال المنافقين كحال هذا الرجل حيث إنّهم آمنوا بادئ الأمر واستناروا بنور الإيمان ومشوا في ضوءه ، لكنّهم استبدلوا الإيمان بالكفر فعمّهم ظلام الكفر لا يهتدون سبيلاً . هذا على القول بأنّ المنافقين كانوا مؤمنين ثمّ عدلوا إلى الكفر ، وأمّا على

القول بعدم إيمانهم منذ البداية ، فالنار التي استوقدوها ترجع إلى نور الفطرة الذي كان يهديهم إلى طريق الحق ، ولكنهم أحمدوا نورها بكفرهم بآيات الله تبارك وتعالى .  
والحاصل : أن حال هؤلاء المنافقين لما أظهروا الإيمان وأبطنوا الكفر كحال من ضلَّ في طريقه وسط الظلام في مكان حافل بالأخطار فأوقد ناراً لإنارة طريقه فإذا بریح عاصفة أطفأت النار وتركته في ظلمات لا يهتدي إلى سبيل .

وهذا التمثيل الذي برع القرآن الكريم في تصويره يعكس حال المنافقين في عصر الرسالة ، ومقتضى التمثيل أن يهتدي المنافقون بنور الهداية فترة من الزمن ثم ينطفئ نورها بإذن الله سبحانه ، وبالتالي يكونوا صمّاً بكماً عمياً لا يهتدون ، فالنار التي اهتدى بها المنافقون عبارة عن نور القرآن ، وسنة الرسول ، حيث كانوا يتشرفون بحضرة الرسول ويستمعون إلى كلامه وحججه في بيانه ودلائله في إرشاده وتلاوته لكتاب الله ، فهم بذلك كمن استوقد ناراً للهداية ، فلما أضاءت لهم مناهج الرشد ومعالم الحق تَمَرَدُوا على الله بنفاقهم ، فخرجوا عن كونهم أهلاً للتوفيق والتسديد ، فأوكلهم الله سبحانه إلى أنفسهم الأُمارة وأهوائهم الخبيثة ، وعمتتهم ظلمات الضلال بسوء اختيارهم .

وعلى هذا ابتداء سبحانه بذكر المثل بقوله : ( **مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضْيَاعٌ مَا حَوْلَهُ** ) وتم المثل إلى هنا .

ثم ابتداء بذكر الممثل بقوله : ( **دَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ** ) .  
فإن قلت : فعلى هذا فما هو جواب « لما » في قوله ( **فَلَمَّا أَضْيَاعٌ** ) ؟

قلت : الجواب محذوف ، لأجل الوجازة ، وهو قوله « خمدت » .

فإن قلت : فعلى هذا فبم يتعلّق قوله : ( ذهب الله بنورهم ) ؟

قلت : هو كلام مستأنف راجع إلى بيان حال الممثل ، وتقدير الكلام هكذا : فلمّا أضاءت ما حوله خمدت فبقوا خابطين في ظلام متحيرين متحسّرين على فوات الضوء ، خائبين بعد الكدح من إيقاد النار .

فحال المنافقين كحال هؤلاء ، أشعلوا ناراً ليستضيئوا بنورها لكن ( ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يُبصرون ) .

وبكلمة موجزة : ما ذكرنا من الجمل هو المفهوم من الآية ، والإيجاز بلا تعقيد من شؤون البلاغة .<sup>(١)</sup>

فقوله سبحانه : ( ذهب الله بنورهم ) بمعنى أن ذلك كان نتيجة نفاقهم وتمرّهم وبالتالي تبدّ قابليتهم للاهتداء بنور الحق ( فتبركهم في ظلمات لا يُبصرون ) أي في أهوائهم وسوء اختيارهم يتخبّطون في ظلمات الضلال ، لا يبصرون طريق الحق والرشاد . ترى أنّ التمثيل يحتوي على معاني عالية وكثيرة بعبارة موجزة ، ولو حاول القرآن أن يبين تلك المعاني عن غير طريق التمثيل يلزم عليه بسط الكلام كما بسطناه ، وهذا من فوائد المثل ، حيث يؤدي معاني كثيرة بعبارة موجزة .

ثمّ إنّه سبحانه يصفهم بأنهم لما عطّلوا آذانهم فهم صمّ ، وعطّلوا ألسنتهم فهم بكم ، وعطّلوا عيونهم فهم عمي ، قال : ( صمّ بكم عمي فهم لا يرجعون ) . والمراد من التعطيل أنّهم لم يكونوا ينتفعون بهذه الأدوات التي بها تعرف

١ . لاحظ الكشاف : ١ / ١٥٣ .

الحقائق ، فما كانوا يسمعون آيات الله مجدّ ، ولا ينظرون إلى الدلائل الساطعة للنبوة إلا من خلال الشك. (١)

إلى هنا تمّ استعراض حال المنافقين بحال من أوقد ناراً للاستضاءة ، ولكن باءت مساعيه بالفشل.

ومّا يدل على أن المنافقين آمنوا بالله ورسوله في بدء الأمر ثم طغى عليهم وصف النفاق ، قوله سبحانه : ( ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطَغَعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ) . (٢)

ومّا يدل على أن الإسلام نور ينور القلوب والأنفس قوله سبحانه : ( أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صِدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أَلُتَّكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ) . (٣)

وأما الظلمة التي تحيط بهم بعد النفاق وتجعلهم صمّاً بكماً عمياً ، فالمراد ظلمات الضلال التي لا يبصرون فيها طريق الهدى والرشاد ، يقول سبحانه : ( وَلَئِذِينَ كَفَرُوا وَأَوَلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أَلُتَّكَ أَصْحَابَ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ) . (٤)

وبذلك ظهر أن تفسير الظلمة التي يستعقبها إطفاء النور بظلمة القبر وحياة البرزخ وما بعدها من مواقف الحساب والجزاء غير سديد ، وإن كان هناك ظلمة للمنافق لكنّها من نتائج الظلمة الدنيوية.

١ - انظر مجمع البيان : ١ / ٥٤ ؛ آلاء الرحمن : ١ / ٧٣ .

٢ - المنافقون : ٣ .

٣ - الزمر : ٢٢ .

٤ - البقرة : ٢٥٧ .

فاستشهد صاحب المنار على كون المراد هو ظلمة القبر والبرزخ بقوله سبحانه : ( يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُوا بِآبَائِنَا نَحْنُبِسُ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَآءِكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا ... )<sup>(١)</sup> ليس بأمر صحيح ، والآية ناظرة إلى حياتهم الدنيوية التي يكتنفها الإيمان والنور ، ثم تحيط بهم الظلمة والضلالة ، ولا نظر للآية لما بعد الموت .

#### سؤال وإجابة

إن مقتضى البلاغة هو الإتيان بصيغة الجمع حفظاً للتطابق بين المشبه والمشبه به ، مع أنه سبحانه أفرد المشبه به ( كالذي استوقد ناراً ) وجمع المشبه أعني قوله : ( مثلهم ) ( ذهب الله بنورهم ) ، فما هو الوجه ؟

أجاب عنه صاحب المنار بقوله : إن العرب تستعمل لفظ « الذي » في الجمع كلفظي « ما » و « من » ومنه قوله تعالى : ( وَخُضُّشُمْ كَالَّذِي خَاضِبُوا )<sup>(٢)</sup> وإن شاع في « الذي » الافراد ، لأن له جمعاً ، وقد روعي في قوله ( استوقد ) لفظه ، وفي قوله ( ذهب الله بنورهم ) معناه . والفصيح فيه مراعاة التلغظ أولاً ، ومراعاة المعنى آخراً ، والتفتن في إرجاع الضمائر ضرب من استعمال البلغاء.<sup>(٣)</sup>

ولنا مع هذا الكلام وقفة ، وهي أنّ ما ذكره مبني على أنّ قوله سبحانه : ( ذَهَبَ اللَّهُ بنورهم وَتَبَرَّكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ ) في تنمة المثل ، وأجزاء المشبه به ، ولكنك قد عرفت خلافه ، وإنّ المثل تمّ في قوله : ( فلما أضاءت

١ . الحديد : ١٣ .

٢ . التوبة : ٦٩ .

٣ . تفسير المنار : ١ / ١٦٩ .

ما حوله ) ، وذلك بحذف جواب « لَمَّا » ، لكونه معلوماً في الجملة التالية ، وهو عبارة عن إخماد ناره فبقى في الظلام خائفاً متحيراً .

وإلا فلو كان قوله ( ذهب الله بنورهم ) من أجزاء المشبه به ، وراجعاً إلى مَنْ استوقد ناراً ، يلزم أن تكون الجملة التالية أعني قوله : ( صم بكم عمي ) كذلك ، أي من أوصاف المستوقد ، مع أنّها من أوصاف المنافق دون أدنى ريب ، ولو أردنا أن نصيغ المشبه والمشبه به بعبارة مفصلة ، فنقول :

المشبه به : الذي استوقد ناراً فلَمَّا أضاءت ما حوله أطفأت ناره .

والمشبه : المنافقون الذين استضاءوا بنور الإسلام فترة ثم ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون ، صم بكم عمي فهم لا يرجعون .

وأما وجه الافراد ، فهو أنّه إذا كان التشبيه بين الأعيان فيلزم المطابقة ، لأنّ عين كلّ واحد منهم غير أعيان الآخر . ولذلك إنّما يكون التشبيه بين الأعيان إذا روعي التطابق في الجمع والإفراد ، يقول سبحانه : ( كَأَنَّهُمْ خُشْبٌ مِّنْ سِنْدٍ )<sup>(١)</sup> ، وقوله : ( كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٌ ) .<sup>(٢)</sup>

وأما إذا كان التشبيه بين الأفعال فلا يشترطون التطابق لوحدة الفعل من حيث الماهية والخصوصيات ، يقال في المثل : ما أفعالكم كفعل الكلب . أي ما أفعالكم إلا كفعل الكلب .

وربما يقال : إن الموصول « الذي » بمعنى الجمع ، قال سبحانه : ( وَلَكِنَّ جَاءَ بِالصُّودِ وَصَدَّقَ بِهِ وَأَنتَ لَمُؤْتِنُونَ )<sup>(٣)</sup> (٤)

١ . المنافقون : ٤ .

٢ . الحاقة : ٧ .

٣ . الزمر : ٣٣ .

٤ . انظر التبيان في تفسير القرآن : ١ / ٨٦ .

## سورة البقرة

٢

### التمثيل الثاني

قال سبحانه : ( وَأَكْصَبَ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَعَبْدٌ وَوَيْرٌ يُجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ \* يَكَادُ الْهَرَقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا ضَلُّوا لَمْ يَمَشُوا فِيهِ إِذًا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قِيَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ لِإِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ )<sup>(١)</sup>.

### تفسير الآيات

الصَّيْبُ : المطر ، وكلّ نازل من علوّ إلى أسفل ، يقال فيه : صاب يصوب ، وهو عطف على قوله ( كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا ) ، ولما كان المثل الثاني أيضاً مثلاً للمنافقين ، فمقتضى القاعدة أن يقول « وكصيب » مكان ( أو كصيب ) ولكن ربما يستعمل « أو » بمعنى « و » قال الشاعر :

نال الخلافة أو كانت له قدرا كما أتى ربّه موسى على قدر  
ويحتمل أن يكون « أو » للتخيير ، بأن مثل المنافقين بموقد النار ، أو بمن وقع في المطر.

---

١- البقرة : ١٩-٢٠.

والرعد : هو الصوت الذي يُسَمَع في السحاب أحيانا عند تجمعه .  
والبرق : هو الضوء الذي يلمع في السحاب غالباً ، وربما لمع في الأُفق حيث لا سحاب ، وأسباب هذه الظواهر اتحاد شحنات السحاب الموجبة بالسالبة كما تقرر ذلك في علم الطبيعيات .  
والصاعقة : نار عظيمة تنزل أحيانا أثناء المطر والبرق ، وسببها تفرغ الشحنات التي في السحاب بجاذب يجذبها إلى الأرض .  
والإحاطة بالشيء : الإحداق به من جميع الجهات .  
والخطف : السلب والأخذ بسرعة ، ومنه نهي عن الخطفة بمعنى النهبة .  
قوله : ( **مِذَا أَظْلَمَ** ) بمعنى إذا خفت ضوء البرق .  
إلى هنا تمّ تفسير مفردات الآيات ، فلنرجع إلى بيان حقيقة التمثيل الوارد في الآية ، ليتضح من خلالها حال المنافقين ، فإنّ حال المشبه يعرف من حال المشبه به ، فالمهم هو التعرّف على المشبه به .  
والإمعان في الآيات يثبت بأن التمثيل يتبدأ من قوله ( **أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ** ) وينتهي بقوله : ( **مِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا** ) .  
وأما قوله : ( **مِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا** ) جملة معترضة جيء بها في أثناء التمثيل ، وقوله بعد انتهاء التمثيل : ( **وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ** ) يرجع إلى المشبه .  
هذا ما يرجع إلى مفردات الآيات وكيفية انسجامها ، والمهم هو ترسيم ذلك المشهد الرهيب .

فلنفترض أن قوما كانوا يسيرون في الفلوات وسط أجواء سادها الظلام

الدامس ، فإذا بصيَّب من السماء يتساقط عليهم بغزارة ، فيه رعود قاصفة وبروق لامعة تكاد تخطف الأبصار من شدتها وصواعق مخيفة ، فتولّاهم الرعب والفرع والهلع ممّا حدا بهم إلى أن يجعلوا أصابعهم في آذانهم خشية الموت للحيلولة دون سماع ذلك الصوت المخيف ، فعندئذ وقفوا حيارى لا يدرون أين يولّون وجوهم ، فإذا ببصيص من البرق أضاء لهم الطريق فمشوا فيه هنيئة ، فلما استتر ضوء البرق أحاطت بهم الظلمة مرة أخرى وسكنوا عن المشي . ونستخلص من هذا المشهد أن الهول والرعب والفرع والحيرة قد استولى على هؤلاء القوم لا يدرون ماذا يفعلون ، وهذه الحالة برمتها تصدق على المنافقين ، ويمكن تقريب ذلك ببيانين :

**البيان الأوّ :** التطبيق المفرق لكلّ ما جاء من المفردات في المشبه به ، كالصيّب والظلمات والرعد والبرق ، على المشبّه ، وقد ذكر المفسرون في ذلك وجوهاً أفضلها ما ذكره الطبرسي تحت عنوان الوجه الثالث .

وقال : إنّه مثل للإسلام ، لأنّ فيه الحياة كما في الغيث الحياة ، وشبه ما فيه من الظلمات بما في إسلامهم من إبطان الكفر ، وما فيه من الرعد بما في الإسلام من فرض الجهاد وخوف القتل ، وبما يخافونه من وعيد الآخرة لشكّهم في دينهم ، وما فيه من البرق بما في إظهار الإسلام من حقن دمائهم ومناكحتهم وموارثتهم ، وما فيه من الصواعق كما في الإسلام من الزواجر بالعقاب في العاجل والآجل . ويقوى ذلك ما روي عن الحسن عليه السلام أنّه قال : « مثل إسلام المنافق كصيّب هذا وصفه » .<sup>(١)</sup>

وربّما يقرّر هذا الوجه بشكل آخر ، وهو ما أفاده المحقّق محمد جواد

---

١ . مجمع البيان : ١ / ٥٧ .

البلاغي ( المتوفى ١٣٥٢ هـ ) فقال : الإسلام للناس ونظام اجتماعهم كالمطر الصيِّب فيه حياتهم وسعادتهم في الدارين وزهرة الأرض بالعدل والصلاح والأمن وحسن الاجتماع ، ولكن معاندة المعاندين للحق وأهله جعلت الإسلام كالمطر لا يخلو من ظلمات شدائد وحروب ومعاداة من المشركين ورجوع قتل وقتال وتهديدات مزعجات لغير الصابرين من ذوي البصائر والذين ارحصوا نفوسهم في سبيل الله ونيل السعادة ، وفيه بروق من النصر وآمال الظفر واغتنام الغنائم وعز الانتصار والمنعة والهيبة. فهم إذا سمعوا صواعق الحرب أخذهم الهلع والحذر من القتل وشبهت حالهم في ذلك بأنهم ( يجعلون أصابعهم في آذانهم من ) أجل ( الصواعق حذر الموت ) وخوفاً من أن تخلع قلوبهم من هول أصواتها ، وسفهاً لعقولهم أين يفرون عن الموت وماذا يجديهم حذرهم والله محيط بالكافرين. (١)

وهذان التقريران يرجعان إلى التطبيق المفهرّ كما عرفت.

البيان الثاني : التطبيق المركّب ، وهو إنّ الغاية من وراء هذا التمثيل أمور ثلاثة ترجع إلى بيان حالة المنافقين.

وقبل أن نستوعب البحث عنها نذكر نص كلام الزمخشري في هذا الصدد.

قال الزمخشري : والصحيح الذي عليه علماء البيان لا يتخطونه أن التمثيلين جميعاً من جملة التمثيلات المركبة دون المفردة لا يتكلف لواحد واحد شيء يقدر شبهه به وهو القول الفصل والمذهب الجزل. (٢)

إذا عرفت ذلك ، فإليك البحث في الأمور الثلاثة :

---

١- آلاء الرحمن : ١ / ٧٤.

٢- الكشاف : ١ / ١٦٢-١٦٣.

الأوَّ : إحاطة الرعب والهلع بالمنافقين إثر انتشار الإسلام في الجزيرة العربية ودخول القبائل فيه وتنامي شوكته ، مما أوجد رعباً في قلوبهم وفرعاً في نفوسهم المضطربة ، ويجدون ذلك بلائاً أحاط بهم كالقوم الذين يصيبهم الصيِّب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق وإليه أشار قوله سبحانه : ( **أَوْ كَصَيْبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ رَعْدٌ وَبُرْقٌ** ) .

الثاني : ان النبي ﷺ لما كان يخبرهم عن المستقبل المظلم للكافرين والمدينين عن الإسلام والإيمان خصوصاً بعد الموت صار ذلك كالصاعقة النازلة على رؤوسهم فكانوا يهربون من سماع آيات الله ويحذرون من صواعق براهينه الساطعة ، مع أنّ هذا هو منتهى الحماسة ، لأنّ صم الآذان ليس من أسباب الوقاية من أخذ الصاعقة ونزول الموت وإلى ذلك يشير قوله سبحانه : ( **يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ** ) .

الثالث : كان النبي ﷺ يدعوهم إلى أصل الدين ويتلوا عليهم الآيات البينة ويقيم لهم الحجج القويمة ، فعندئذٍ يظهر لهم الحق ، فرمّا كانوا يعزّون على أتباعه والسير وراء أفكاره ، ولكن هذه الحالة لم تدم طويلاً ، إذ سرعان ما يعودون إلى تقليد الآباء ، وظلمة الشهوات والشبهات ، وإلى ذلك يشير قوله سبحانه : ( **يَكَادُ الْهَرَجُ يَخْطِيفُ أَبْصَارَهُمْ كَمَا ضَلَّ لَمَسُ الْبُحْرِ** ) .

إلى هنا تم التطبيق المركب لكن في مقاطع ثلاثة.

ثم إنّه سبحانه أعقب التمثيل بقوله : ( **وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَدَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ لَإِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ) أي أنّه سبحانه قادر أن يجعلهم صمّاً وعمياً حتى لا ينجع فيهم وعظ واعظ ولا تجدي هداية هاد .

وذهاب سمعهم وأبصارهم نتيجة أعمالهم الطالحة التي توصلت باب التوفيق

أمامهم فيصرون صمًا وبكماً وعمياً.

ثم إن الآيات القرآنية تفسر تلك الحالة النفسانية التي كانت تسود المنافقين في مهجر النبي ﷺ حيث كانوا في حيلة وحذر من أن تنزل عليهم سورة تكشف نواياهم ، كما يشير إليه قوله سبحانه : ( يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَخْفُوا بِأَنَّ اللَّهَ مُخْرِجُ مَا تَخْتَفُونَ ) .<sup>(١)</sup>

ومن جانب آخر يشاهدون تنامي قدرة الإسلام وتزايد شوكته على وجه يستطيع أن يقطع دابرهم من أدم الأرض ، يقول سبحانه : ( لَكِنَّ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَمٌ مَلْمُوحِينَ فِي الْمَدِينَةِ لِنُغْرِبَتِكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا \* مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا تُقْبَلُوا أَخِذُوا وَقْتَهُمْ تَفْتِيلًا ) .<sup>(٢)</sup>

هذا بعض ما يمكن أن يقال حول التمثيل الوارد في حق المنافقين ، ولكن المهم تطبيق هذا التمثيل على منافقي عصرنا ، فدراسة حال المنافقين في عصرنا هذا من أهم وظائف المفسر ، فإن حقيقة النفاق واحدة ، ترجع إلى إظهار الإيمان وإبطان الكفر لغاية الإضرار بالإسلام والمسلمين ، وهم يقيمون في خوف ورعب ، وفي الوقت نفسه صم بكم عمي فهم لا يرجعون.

١ . التوبة : ٦٤ .

٢ . الأحزاب : ٦٠ - ٦١ .

## سورة البقرة

٣

### التمثيل الثالث

قال سبحانه : (إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِيكَ يَصْبِرْ مَثَلًا مَا بَعُوضَةٌ فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ  
آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ  
كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ \* الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ  
وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ) .<sup>(١)</sup>

### تفسير الآيات

الحياء تعير وانكسار يعتري الإنسان من تخوف ما يعاب به ويؤذم ، يقال : فلان يستحي  
أن يفعل كذا ، أي أن نفسه تنقبض عن فعله .

فعلى هذا فالحياء من مقولة الانفعال ، فكيف يمكن نسبته إلى الله سبحانه مع أنه لا  
يجوز عليه التغير والخوف والذم ؟

الجواب : إن إسناد الحياء كإسناد الغضب والرضا إلى الله سبحانه ، فإنها جميعاً تسند إلى  
الله سبحانه متجردة عن آثار المادة ، ويؤخذ بنتائجها ، وقد اشتهر قولهم : « خذوا الغايات  
واتركوا المبادئ » فالحياء يصد الإنسان عن إبراز ما يضمرة

---

١ . البقرة : ٢٦ - ٢٧ .

من الكلام ، والله سبحانه ينفي النتيجة ، أي لا يمنع شيء عن إبراز ما هو حق ، قال سبحانه : ( لِمَا عَمِلْتُمْ أَنبِئُوكُم بِهِ وَأَلَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِن بَعْضِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِوَعْدِ اللَّهِ فَإِيسَتَكُمْ مِنَ اللَّهِ لَا يَسْتَحِي مِنَ الْحَقِّ ) .<sup>(١)</sup>

وأما ضرب المثل فقد مرّ الكلام فيه ، وقلنا : إن لاستخدام كلمة « ضرب المثل » في التمثيل بالأمثال وجوها :

منها : أن ضرب المثل في الكلام يذكر لحال ما يناسبها ، فيظهر من حسنها أو قبحها ما كان خفياً ، وهو مأخوذ من ضرب الدراهم ، وهو حدوث أثر خاص فيها ، كأن ضرب المثل يقرع به أذن السامع قرعاً ينفذ أثره في قلبه ، ولا يظهر التأثير في النفس بتحقيق شيء وتقييمه إلا بتشبيهه بما جرى العرف بتحقيقه ونفور النفوس منه.<sup>(٢)</sup>

البعوضة : حيوان حقير يشبه خرطومه خرطوم الفيل ، أجوف وله قوّة ماصة تسحب الدم ، وقد منح الله سبحانه هذا الحيوان قوة هضم ودفع كما منحه لنا وأجنحة تتناسب تماماً مع وضع معيشته ، وتمتع بحساسية فائقة ، فهي تفر بمهارة عجيبة حين شعورها بالخطر ، وهي مع صغرها وضعفها يعجز عن دفعها كبار الحيوانات. وقد اكتشف علماء الحيوان مؤخراً ان البعوضة قادرة على تشخيص فريستها من مسافة تقرب عن ٦٥ كيلومترا. قال أمير المؤمنين علي عليه السلام في حقها : « كيف ولو اجتمع جميع حيوانها ، مناطيرها وبهايمها ، وما كان من مراحتها وسائمتها ، وأصناف أسناخها وأجناسها ، ومتبلدة أممها وأكياسها ، على إحداث بعوضة ما قدرت على إحداثها ، ولا عرفت

١. الأحزاب : ٥٣ .

٢. تفسير المراغي : ١ / ٧٠ .

كيف السبيل إلى إيجادها ، ولتحيّرت عقولها في علم ذلك وتاهت وعجزت قواها وتناهت ، ورجعت خاسئة حسيرة ، عارفة بأثما مقهورة ، مقرة بالعجز عن إنشائها ، مدعنة بالضعف عن إفنائها». (١)

يقول الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام بشأن خلقه هذا الحيوان الصغير : « إنما ضرب الله المثل بالبعوضة على صغر حجمها خلق الله فيها جميع ما خلق في الفيل مع كبره وزيادة عضوين آخرين ، فأراد الله سبحانه أن ينبّه بذلك المؤمنين على لطيف خلقه وعجيب صنعته». (٢)

إلى هنا تمّ تفسير مفردات الآية ، وأمّا تفسير الآية برمتها فقد نقل المفسرون في سبب نزولها وجهين :

**الأوّل** : أنّ الله تعالى لما ضرب المثلين قبل هذه الآية للمنافقين ، أعني قوله : ( **مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً** ) وقوله : ( **أو كصيب من السماء** ) قال المنافقون : الله أعلى وأجل من أن يضرب هذه الأمثال ، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

**الثاني** : أنّه سبحانه لما ضرب المثل بالذباب والعنكبوت تكلم فيه قوم من المشركين وعابوا ذكره ، فأنزل الله هذه الآية. (٣)

ولا يخفى ضعف الوجه الأوّل ، فإنّ المنافقين لم ينكروا ضرب المثل ، وإنما أنكروا المثلين اللذين مثل بهما سبحانه حال المنافقين ، وعند ذلك لا يكون التمثيل بالبعوضة جواباً لردّ استنكارهم ، لأنهم أنكروا المثلين اللذين وردا في حقهما ، فلا

١. نهج البلاغة : الخطبة ١٨٦.

٢. مجمع البيان : ١ / ٦٧.

٣. مجمع البيان : ١ / ٦٧.

يكون عدم استحيائه سبحانه من التمثيل بالبعوضة رمّ على اعتراضهم.  
وأما الثاني ، فقد ورد ضرب المثل بالذباب والعنكبوت في مكة المكرمة ، لأنّ الأوّل ورد في سورة الحج ، وهي سورة مكية ، والآخر ورد في سورة العنكبوت ، وهي أيضاً كذلك. وهذه الآية نزلت في المدينة ، فكيف تكون الآية النازلة في مهجر النبي ﷺ جواباً على اعتراض المشركين في موطنه ؟

وعلى كل تقدير فالآية بصدد بيان أن الملاك في صحة التمثيل ليس ثقل ما مثّل به أو كبره ، فلا التمثيل بالبعوضة عيب ولا التمثيل بالإبل والفيل كمال ، وإتّما الكمال أن يكون المثل مبيّناً لحقيقة وواقعة غفل عنها المخاطب من دون فرق بين كون الممثل صغيراً أو كبيراً. وبعبارة أخرى : إذا كان الغرض التأثير فالبلاغة تقضي بأن تضرب الأمثال لما يراد تحقيره بحقيقتها ولما يراد التنفير بما اعتادت النفوس النفور منها ، فالملاك هو كون المثل مفيداً لما يريد المتكلم تحقيقه ، من غير فرق بين حقير الأشياء وكبيرها ، وهو سبحانه يشير إلى ذلك المعنى بقوله : (لَيْسَ اللهُ لَّا يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً) (بل) فوقها في الصغر كالجراثيم التي لا ترى إلّا بالمجهر ، كما تقول : فلان لا يبالي أن ييخل بنصف درهم فما فوقه أي مما فوقه في القلة.

ولو رأيد ما فوقه في الكثرة يقول مكانه « فضلا عن الدرهم والدرهمين ». فما في كلام بعض المستشرقين من أن الصحيح أن يقول « فما دونه » غير تام. للفرق بين قوله : « فما فوقه » وقوله « فضلا » والأوّل بقريئة المقام بمعنى فما فوقه في الصغر والحقارة لا بمعنى « فضلا ».

وربما تفسر الآية بأنّه لا يستحيي أن يضرب مثلاً ما بعوضة فما فوقها في

الكبر ، ولكن الأول هو الأوفق لمقصود المتكلم. كما يقال عند لوم المتجرى : بأنيك تقترف جريمة لأجل دينار بل فوقه ، أي نصف دينار ، والمراد من الفوقية هو الفوقية في الحقارة. وقد أورد الزمخشري على نفسه سؤالاً ، وهو : كيف يضرب الله المثل لما دون البعوضة وهي في النهاية في الصغر ؟ ثم أجاب :

إنّ جناح البعوضة أقلّ منها وأصغر بدرجات ، وقد ضربه رسول الله ﷺ مثلاً للدنيا ، وفي خلق الله حيوان أصغر منها ومن جناحها ربما رأيت في تضاعيف الكتب العتيقة دويبة لا يكاد يجليها للبصر الحاد إلاّ تحركها فإذا سكنت ، فالسكون يواربها ، ثمّ إذا لوّحت لها بيدك حادت عنها وتجنبت مضرتها ، فسبحان من يدرك صورة تلك وأعضاءها الظاهرة والباطنة ، وتفصيل خلقتها ، ويصر بصرها ، ويطلع على ضميرها ، ولعل في خلقه ما هو أصغر منها وأصغر سبحان الذي خلق الأزواج كلّها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون. <sup>(١)</sup>

وقال البيضاوي : لما كانت الآيات السابقة متضمنة لأنواع من التمثيل عقب ذلك بيان حسنه ، وما هو الحق له والشرط فيه ، وهو أن يكون على وفق الممثل له من الجهة التي تعلق بها التمثيل في العظم والصغر ، والخسة والشرف ، دون الممثل ، فإنّ التمثيل إنّما يصار إليه لكشف المعنى الممثل له ، ورفع الحجاب عنه وإبرازه في صورة المشاهد المحسوس ، ليساعد فيه الوهم العقل ويصالحه عليه ، فإنّ المعنى الصغر إنّما يدركه العقل مع منازعة من الوهم ، لأنّ من طبعه الميل إلى الحس وحب المحاكاة ، ولذلك شاعت الأمثال في الكتب الإلهية وفشت في عبارات البلغاء ، وإشارات الحكماء ، فيمثل الحقير بالحقير كما يمثّل العظيم

---

١. الكشاف : ١ / ٢٠٥. ٢٠٦.

بالعظيم ، وإن كان المثل أعظم من كلِّ عظيم ، كما مثل في الإنجيل على الصدور بالنخالة ، والقلوب القاسية ، بالحصاة ، ومخاطبة السفهاء ، بإثارة الزنابير ، وجاء في كلام العرب : أسمع من قراد ، وأطيش من فراشة ، وأعز من مخ البعوض.<sup>(١)</sup> وربما يتصور أنّ التمثيل بالأشياء الحقيرة الخسيسة لا يليق بكلام الفصحاء ، وعلى هذا فالقرآن المشتمل على النمل والذباب والعنكبوت والنحل لا يكون فصيحاً فضلاً عن كونه معجزاً.

وأجاب عنه صدر المتألهين الشيرازي ( المتوفى عام ١٠٥٠ هـ ) بقوله : إن الحقارة لا تنافي التمثيل بها ، إذا شرط في المثال أن يكون على وفق الممثل له من الجهة التي يستدعي التمثيل به كالعظم والحقارة ، والشرف والخساسة ، لا على وفق من يوقع التمثيل ويضرب المثال ، لأنّ الغرض الأصلي منه إيضاح المعنى المعقول ، وإزالة الخفاء عند إبرازه في صورة المشاهد المحسوس ، ليساعد فيه الوهم العقل ولا يزاخه ، فإنّ العقل الإنساني مادام تعلقه بهذه القوى الحسيّة لا يمكنه إدراك روح المعنى مجرداً عن مزاحمة الوهم ومحاكاته ، لأنّ من طبعه كالشياطين الدعابة في التخيل وعدم الثبات على صورة.

ولذلك شاعت الأمثال في الكتب الإلهية ، وفشت في عبارات الفصحاء من العرب وغيرهم ، وكثرت في إشارات الحكماء ومرموزاتهم ، وصحف الأوائل ومسفوراتهم ، تميماً للتخيّل بالحس ، فهناك يضاعف في التمثيل ، حيث يمثل أولاً المعقول بالتخيّل ، ثمّ يمثل المتخيّل بالمرسوم المحسوس المهندس المشكل.<sup>(٢)</sup>

ثمّ إنّه سبحانه يذكر أن الناس أمام الأمثال على قسمين :

١. تفسير البيضاوي : ١ / ٤٣ .

٢. تفسير القرآن الكريم : ٢ / ١٩٢ - ١٩٣ .

أ : المؤمنون : وهم الذين قال سبحانه في حقهم : ( فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ ) .

ب : الكافرون : وهم الذين قال سبحانه في حقهم : ( وَمِمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا ) . والظاهر أن قولهم ( أَرَادَ اللَّهُ ) كان على سبيل الاستهزاء بادعاء الرسول أنّ المثل وحي منزل من الله ، وإلاّ فإنّ الكافرين والمنافقين كانوا ينكرون الوحي أصلاً . ولا غرو في أن يكون شيء سبب الهداية لطائفة وسبب الضلال لطائفة أخرى ، وما هذا إلاّ لأجل اختلاف القابليات ، فمن استعد لقبول الحقّ والحقيقة فتصبح الآيات الإلهية سبب الهداية ، وأمّا الطائفة الأخرى المعاندون الذين صمّوا مسامعهم عن سماع كلمة الحق وآياته فينكرون الآيات ويكفرون بذلك .

ثم إن الظاهر أن قوله سبحانه : ( يَضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يَضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ) من كلامه سبحانه ، ولا صلة له بكلام المنكرين ، بل تمّ كلامه بقوله : ( بِهَا مَثَلًا ) وهو ان الأمثال تؤثر في قوم دون قوم .

ثم إنّه يعلّل إضلال غير المؤمنين بفسقهم ويقول : ( وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ) ، والفسق : عبارة عن خروج النواة من التمر ، وفي الاصطلاح : من خرج عن طاعة الله ، سواء أكان مسلماً متجرباً أو كافراً فاسقاً .

وقد أطنب المفسرون الكلام في مفاد الجملة الأخيرة أعني : ( يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا ) فرمما يتوهم أن الآية بصدد الإشارة إلى الجبر ، فحاولوا تفسير الآية بشكل يتلاءم مع الاختيار ، وقد عرفت أنّ الحقّ هو أنّ الآية بصدد بيان أنّ المواعظ الشافية والكلمات الحكّمية لها تأثير معاكس فيؤثر في القلوب المستعدة تأثيراً إيجابياً وفي العقول المتكسدة تأثيراً سلبياً .

هذا هو تفسير الآية.

وربما يحتمل أن الآية ليست بصدد بيان ضرب المثل بالبعوضة كضربه بالعنكبوت والذباب ، بل الآية خارجة عن نطاق ضرب المثل بالمعنى المصطلح ، وإنما الآية بصدد بيان قدرته وعظمته وصفاته الجمالية والجلالية ، والآية بصدد بيان أن الله سبحانه لا يستحي أن يستدل على قدرته وكماله وجماله بخلق من مخلوقاته سواء أكان كبيراً وعظيماً كالسماوات والأرض ، أو صغيراً وحقيقياً كالبعوضة والذباب ، فمعنى ضرب المثل هو وصفه سبحانه بصفات الجلال أو الكمال.

ويدل على ذلك أنه سبحانه استدل على جلاله وكماله بخلق السماوات والأرض وقال :  
( يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَلَدِينِ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ \* الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَإَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا أَنْ تَنْتَهُمُ تَعْلَمُونَ ) .<sup>(١)</sup>

يلاحظ على تلك النظرية بأمرين :

أولاً : لو كان المراد من ضرب المثل وصفه سبحانه بالقدرة العظيمة لكان اللازم أن يأتي بالآية بعد هاتين الآيتين مع أنه فصل بينهما آيات ثلاث تركّز على إعجاز القرآن والتحدي<sup>٥</sup> به ، ثم التركيز على الجنة وثمارها كما هو معلوم لمن راجع المصحف الكريم.  
وثانياً : إنّ القرآن يفسر بعضه بعضاً ، فقد جاء قوله : ( فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ ) في سورة الرعد بعد تشبيه الحق والباطل بمثل

١ - البقرة ٢١ - ٢٢ .

رائع يأتي البحث عنه إن شاء الله ، قال سبحانه : ( أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا ... ) إلى أن قال : ( كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ) ثم قال : ( أَفَمَنْ يَعْلَمُ لَمَّا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنَ الْهَبْلِ الْحَبْلَ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِذَا يَتَذَكَّرُ لَوْ أَلْبَابَ \* الَّذِينَ يُؤْفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ ) .<sup>(١)</sup>

تجد أن الآيات في سورتي البقرة والرعد كسبيكة واحدة يفسر بعضها البعض .  
ففي سورة البقرة ذكر ضرب المثل بالبعوضة ، كما ضرب في سورة الرعد مثلاً للحق والباطل .

ففي سورة البقرة قال سبحانه : ( وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ ) .  
وفي سورة الرعد قال سبحانه : ( أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّ مَا أَتَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَبْلُ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِذَا يَتَذَكَّرُ لَوْ أَلْبَابَ ) .

وفي سورة البقرة قال : ( وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ) ، وفسره بقوله : ( الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ ... ) الخ .

وفي سورة الرعد ، فسّر أُولِي الْأَلْبَابِ بقوله : ( الَّذِينَ يُؤْفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ ) .<sup>(٢)</sup>

فمقارنة هذه الآيات يعلم أن المراد من ضرب المثل هو المعنى المعروف أي التمثيل بالبعوضة لتحقير معبوداتهم أو ما يشبه ذلك .

نعم ما نقلناه عن الإمام الصادق عليه السلام ربما يؤيد ذلك الوجه كما مرّ ، فتدبر .

١ - الرعد : ١٧ - ٢٠ .

٢ - الرعد : ٢٠ .

## سورة البقرة

٤

### التمثيل الرابع

( ثُمَّ قَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَابِ وَأَشَدُّ قَسْبًا وَرَنْ مِنَ الْحِجَابِ لَمَّا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَاءٌ يَشَقُّ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَاءٌ يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ) .<sup>(١)</sup>

### تفسير الآية

جاءت الآية بعد قصة البقرة التي ذبحها بنو إسرائيل ، وقد كانوا يجادلون موسى ﷺ بغية التملص من ذبحها ، ولكن قاموا بذبحها وما كادوا يفعلون . وكان ذبح البقرة لأجل تحديد هوية القتال الذي قام بقتل ابن عمه غيلة واتهم بقتله شخصاً آخر من بني إسرائيل ، فصاروا يتدارأون ويدفعون عن أنفسهم هذه التهمة ، فرجعوا في أمرهم إلى موسى ﷺ ، وشاء الله أن يظهر حقيقة الأمر بنحو معجز ، فقال لهم موسى ﷺ : ( ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة ) ، فلما ذبحوها . بعد مجادلات طويلة . أمر سبحانه أن يضربوا المقتول ببعض البقرة حتى يجي المقتول ويعين هوية القتال . قال سبحانه : ( فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى ويؤيكم آياته

١ . البقرة : ٧٤ .

لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (١).

ومع رؤية هذه المعجزة الكبرى التي كان من المفروض أن تزيد في إيمانهم وانصياعهم لنبينهم موسى ﷺ ، لكن . وللأسف . قست قلوبهم بنحو يحكي سبحانه شدة تلك القساوة ويقول :

( ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارِ وَأَشَدُّ قَسْوَةً ) .

وبما أن الحجر هو المعروف بالصلابة والقساوة شبه سبحانه قلوبهم بالحجارة وقال : إِنَّ قُلُوبَهُمْ ( كَالْحِجَارِ وَأَشَدُّ قَسْوَةً ) أي : بل أشد قسوة ، فكلمة « أو » موضوعة مكان بل .

ثم إن القلوب إما بمعنى النفوس الناطقة ، فعندئذ تكون نسبة القساوة إلى الروح نسبة حقيقية . أو ان المراد منها هو العضو المودع في الجهة اليسرى من الصدر الذي ليس له دور سوى تصفية الدم وإرساله إلى سائر الأعضاء ، وعندئذ تكون النسبة مجازية ، وإنما نسبت القساوة إلى ذلك العضو ، لأنه مظهر من مظاهر الحياة الإنسانية ، وأول عضو يتأثر بالأُمور النفسانية كالفرح والغضب والحزن والجزع ، فلانفاة في أن يكون المدرك هو النفس الناطقة ، ومع ذلك يصح نسبة الإدراك إلى القلب .

ثم إنه سبحانه وصف قلوبهم بأنها أشد قسوة من الحجارة ، وعلل ذلك بأمر ثلاثة :  
الأول : ( وَأَنَّ مِنَ الْحِجَارِ لَمَّا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ ) .  
الثاني : ( وَمَنْ مِنْهَا لَمَّا يَشَقُّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ ) .

---

١ - البقرة : ٧٣ .

الثالث : ( **مِنْ مِّنْهَا لَمَّا يَهْبِطُ مِنَ خَشْيَةِ اللَّهِ** ) .

أما الأول : أي تفجّر الأنهار من الحجارة ، كالعيون الجارية من الجبال الصخرية .  
وأما الثاني : كالعيون الحادثة عند الزلازل المستتعبة للانشقاق والانفجار المستعقب لجريان الأنهار .

وأما الثالث : كهبوط الحجارة من الجبال العالية إلى الأودية المنخفضة من خشية الله .  
ولا مانع من أن يكون للهبوط علة طبيعية كالصواعق التي تحبب بها الصخور وعلّة معنوية التي كشف عنها الوحي ، وهي الهبوط من خشية الله .  
وعلى ضوء ذلك فالحجارة على الرغم من صلابتها تتأثر طبقاً للعوامل السالفة الذكر ،  
وأما قلوب بني إسرائيل فهي صلبة لا تنفعل أمام وحيه سبحانه وبيان رسوله ، فلا تفزع نفوسهم ولا تخشع لأمره ونهيه .

ومن عجيب الأمر أن بني إسرائيل رأوا ولم أعينهم ليونة الحجارة حيث استسقى موسى لقومه ، فأمر بأن يضرب بعصاه الحجر ، فلمّا ضربه انفجرت منه اثنتا عشرة عيناً بعدد الأسباط .

ثم إنّ ظاهر الآية نسبة الشعور إلى الحجارة حيث إنّها تهبط من خشية الله ، وهذه حقيقة علمية كشف عنها الوحي وإن لم يصل إليها الإنسان بأدواته الحسية .  
يقول صدر المتأهلين : إن الكون بجميع أجزائه يسبح لله ويحمده ويثني عليه تعالى عن شعور ، فلكلّ موجود من هذه الموجودات نصيب من الشعور والإدراك بقدر ما يملك من الوجود من نصيب .

وعلى هذا الشعور تسبّح الموجودات كلّها ، خالقها وبارئها وربّها سبحانه وتنزهه عن كلّ نقص وعيب .

ثم يقول : إنّ العلم والشعور والإدراك كلّ ذلك متحقّق في جميع مراتب الوجود ، ابتداءً من « واجب الوجود » إلى النباتات والجمادات ، وإنّ لكلّ موجود يتحلّى بالوجود سهماً من الصفات العامة كالعلم والشعور والحياة . و ... و ... ولا يخلو موجود من ذلك أبداً ، غاية ما في الأمر أن هذه الصفات قد تخفى علينا . بعض الأحيان . لضعفها وضآلتها .

على أن موجودات الكون كلما ابتعدت عن المادة والمادية ، واقتربت إلى التجرد ، أو صارت مجردة بالفعل ازدادت فيها هذه الصفات قوة وشدة ووضوحاً ، وكلّما ازدادت اقتراباً من المادة والمادية ، وتعمّقت فيها ، ضعفت فيها هذه الصفات ، وضوّلت حتى تكاد تغيب فيها بالمرّة ، كأنّها تغدو خلوة من العلم والشعور والإدراك ، ولكنّها ليست كذلك . كما نتوهم . إنّما بلغ فيها ذلك من الضعف ، والضآلة بحيث لا يمكن إدراكها بسهولة وسرعة .<sup>(١)</sup> وليست هذه الآية هي الفريدة في بابها ، بل هناك آيات تؤكّد على جريان الشعور في أجزاء العالم من الذرة إلى الجرّة .

يقول سبحانه : ( تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ) .<sup>(٢)</sup>

وبما أنّنا بسطنا الكلام في سريان الشعور إلى أجزاء العالم برمته في الجزء الأوّل من هذه الموسوعة ، فلنقتصر على ذلك ، ومن أراد التفصيل فليرجع إلى محلّه .

١- الأسفار : ١١٨\١ و ١٣٩\٦ ، ١٤٠ .

٢- الإسراء : ٤٤ .

## سورة البقرة

٥

### التمثيل الخامس

( وَمَثَل الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الْإِنْعِقِ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَتِدَاءً صُمُّ بُكُمْ عُمِّي فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ) .<sup>(١)</sup>

#### تفسير الآية

النعيق : صوت الراعي لغنمه زجرًا ، يقال : نعق الراعي بالغنم ، ينعق نعيقًا ، إذا صاح بها زجرًا.

والنداء : مصدر نادى ينادي مناداة ، وهو أخص من الدعاء ، ففيه الجهر بالصوت ونحوه ، بخلاف الدعاء.

وفي تفسير الآية وجوه :

الأوَّ : أنّ الآية بصدد تشبيه الكافرين بالناعق الذي ينعق بالغنم ، ولا يصح التشبيه عندئذٍ إلا إذا كان الناعق أصم ، ويكون معنى الآية : ان الذين كفروا الذين لا يتفكرون في الدعوة الإلهية ، كمثل الأصم الذي ينعق بما لا يسمع نفسه ولا يميز من مداليل نعاقه معنى معقولا إلا دعاء ونداء وصوتا بلا معنى.

وجه التشبيه : ان الناعق أصم كما أن هؤلاء الكافرين صم بكم عمي لا يعقلون.

---

١ . البقرة : ١٧١ .

وفي هذا المعنى المشبه هو الكافرون الذين لا يفهمون من الدعوة النبوية إلا صوتاً ودعوة فارغة من المعنى.

والمشبه به : هو الناعق الأصم الذي ينطق بالغنم ، ولكن لا يسمع من نعاقه إلا دعاءً ونداءً.

وهذا الوجه وإن كان ينطبق على ظاهر الآية ، ولكنه بعيد من حيث المعنى ، إذ لو كان الهدف هو التركيز على أن الكافرين صم بكم عمي لا يعقلون لكفى تشبيههم بالحيوان الذي هو أيضاً كذلك ، فما هو الوجه لتشبيههم بإنسان عاقل أخذ منه سمعه لا يسمع من نعاقه إلا صوتاً ونداءً ؟

الثاني : ان المشبه هو النبي ﷺ ، والمشبه به هو الناعق للغنم ، والمراد ومثلك أيها النبي في دعاء الذين كفروا كمثل الذي ينطق في البهائم التي لا تسمع من نعيقه إلا دعاءً ونداءً ما ، فتنزجر بمجرد قرع الصوت سمعها من غير ان تعقل شيئاً ، فهم . الكافرون . صم لا يسمعون كلاماً يفيدهم ، وبكم لا يتكلمون بما ينفع ، وعمي لا يبصرون ، فهم لا يعقلون شيئاً ، لأن الطرق المؤدية إلى التعقل موصدة عليهم.

ومن ذلك ظهر أنّ في الكلام قلباً أو عناية أخرى يعود إليه ، فإنّ المثل بالذي ينطق بما لا يسمع إلا دعاءً ونداءً مثل الذي يدعوهم إلى الهدى لا مثل الكافرين المدعويين إلى الهدى ، إلا أنّ الأوصاف الثلاثة التي استنتجت واستخرجت من المثل وذكرت بعده ، وهي قوله : ( صم بكم عمي فهُمْ لا يَعْقِلُونَ ) ، لما كانت أوصافاً للذين كفروا لا لمن يدعوهم إلى الحق استوجب ذلك أن ينسب المثل إلى الذين كفروا لا إلى رسول الله تعالى فأنّج ما أشبه القلب.

(١)

ثم إن صاحب المنار فسّر الآية على الوجه الأوّ وقال : ( مثل الذين كفروا ) أي صفتهم في تقليدهم لأبائهم ورؤسائهم كمثل الذي لا يسمع إلاّ دعاء ونداءً ، أي كصفة الراعي للبهائم السائمة ينعق ويصيح بها في سوقها إلى المرعى ودعوتهما إلى الماء وجزها عن الحمى ، فتجيب دعوته وتنزجر بزجره بما ألفت من نعاقه بالتكرار. شبّه حالهم بحال الغنم مع الراعي يدعوها فتقبل ، ويزجرها فتتنزجر ، وهي لا تعقل مما يقول شيئاً ، ولا تفهم له معنى وإنما تسمع أصواتاً تقبل لبعضها وتدبر للآخر بالتعويد ، ولا تعقل سبباً للإقبال ولا للإدبار. (١)

يلاحظ عليه : أنّ الآية بصدد ذمهم وأنهم لا يعتنقون الإيمان ولا يمثلون الأوامر الإلهية ونواهيها ، وعلى ذلك تصبح الآية نوع مدح لهم ، لأنهم لو كانوا كالبهائم السائمة يجيبون دعوة النبي كقبولها دعوة الراعي وينزجرون بزجره ﷺ كانتهاها عن نهي الراعي ، فيكون ذلك على خلاف المقصود ، فإنّ المقصود بشهادة قوله ( صم بكم عمي ) أنهم لا يسمعون كلام النبي ﷺ ولا ينطقون بالحقّ ولا ينظرون إلى آيات الله وأنهم في واد والنبي ﷺ في واد آخر.

وأين هم من البهائم السائمة التي تقع تحت يد الراعي فتنتهى بنهيه !؟

---

١ . تفسير المنار : ٢ / ٩٣ . ٩٤ .

## سورة البقرة

٦

### التمثيل السادس

( لَمْ أَحْسَبْتُمْ أَنَّا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَبُوا مِن قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلُّوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ مَلَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرَ اللَّهُ أَلَا إِنَّ اللَّهَ نَصِيرٌ ) (١)

نزلت الآية عندما حوَّصر المسلمون واشتد الخوف والفرع بهم في غزوة الأحزاب فحاءت الآية لتثبّت قلوبهم وتعدهم بالنصر.

وقيل : إن عبد الله بن أبي قال للمسلمين عند فشلهم في غزوة أحد : إلى متى تتعرضون للقتل ، ولو كان محمد نبياً لما واجهتم الأسر والتقتيل ؟ ، فنزلت الآية.

#### تفسير الآية

وردت لفظة « أم » للإضراب عما سبق وتتضمن معنى الاستفهام ، والمعنى « بل أحسبتم أن تدخلوا الجنة ».

و ( البأساء ) : هي الشدة المتوجهة إلى الإنسان من خارج نفسه كالمال والجاه والأهل.  
و « الضراء » : هي الشدة التي تصيب نفس الإنسان كالجرح والقتل ، وقيل :

---

١ - البقرة : ٢١٤ .

ان « البأساء » نقيض « النعماء » ، « الضراء » نقيض « السراء » ، و « الزلزلة » شدة الحركة ، والزلزال البلية المزعجة لشدة الحركة والجمع زلازل ، وأصله من قولك زلّ الشيء عن مكانه ، ضوعف لفظه بمضاعف معناه ، نحو صرى وصرصر ، وصلى وصلصل ، فإذا قلت زلزلته ، فمعناه كترت تحريكه عن مكانه.

وقد جاء ما يقرب من مضمون الآية في آيات أخرى ، منها قال سبحانه : ( **مَلْبَأِبْرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْمَاءِ ۗ وَأَلَيْكَ الَّذِينَ صَدَقُوا ۗ وَهُوَ لِلَّهِ كَالَّذِينَ هُمْ الْمُتَّقُونَ** ) .<sup>(١)</sup>  
وقال سبحانه : ( **وَلَقَدْ رَأَوْا سَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَاتَّخَذْنَا هُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ** ) .<sup>(٢)</sup>

وقال سبحانه : ( **مَّا رَمَدْنَا لَمَنَّا ۖ رِيَّةٌ مِّن حِيَا ۖ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ** ) .<sup>(٣)</sup>

تدلُّ مجموع هذه الآيات على دوام الابتلاء والامتحان في جميع الأمم خصوصا في الأمة الإسلامية.

ثم إن الهدف من امتحان أبناء البشر هو تحصيل العلم بكفاءة الممتحن ، لكنّه فيه سبحانه يستهدف إلى إخراج ما بالقوة من الكمال إلى الفعلية مثلا : فان إبراهيم عليه السلام كان يتمتع بموهبة التفاني في الله وبذل ما يملك في سبيله غير أنّه لم تكن لها ظهور وبروز ، فلما وقع في بوتقة الامتحان ظهرت تلك الموهبة إلى الوجود بعد ما كانت بالقوة.

١ . البقرة : ١٧٧ .

٢ . الأنعام : ٤٢ .

٣ . الأعراف : ٩٤ .

وما ذكرنا هو المستفاد من الآيات وقد صرح به الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في بعض خطبه  
: قال :

« لا يقولن أحدكم : اللهم إني أعوذ بك من الفتنة ، لأنه ليس أحد إلا وهو مشتمل  
على فتنة ، ولكن من استعاذ فليستعذ من مضلات الفتن ، فإن الله سبحانه يقول : ( **مَعَلِّمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ ۖ لَا دَرَكُكُمْ فِتْنَةٌ** ) ومعنى ذلك أنه يختبرهم بالأموال والأولاد ليتبين  
الساخط لرزقه والراضي بقسمه ، وإن كان سبحانه أعلم بهم من أنفسهم ، ولكن لتظهر  
الأفعال التي بها يُستحق الثواب والعقاب » .<sup>(١)</sup>

إلى هنا تبين معنى مفردات الآية وسبب نزولها والآيات التي وردت في هذا الصدد في حق  
سائر الأمم .

إذا عرفت ذلك فلنرجع إلى تفسير الآية .

يقول سبحانه : إن الابتلاء بالبأساء والضراء سنة إلهية جارية في الأمم كافة ولا تختص  
بالأمة الإسلامية ، فالتمحيص وتمييز المؤمن الصابر عن غير الصابر رهن الابتلاء . فلا  
يتمحض إيمان المسلم إلا إذا غربل بغرلة الامتحان ليخرج نقياً . ولا يترسخ الإيمان في قلبه إلا  
من خلال الصمود والثبات أمام أعاصير الفتن الهوجاء .

وكأن الآية تسلية لنبيه وأصحابه مما نالهم من المشركين وأمثالهم ، لأن سماع أخبار الأمم  
الماضية يسهل الخطب عليهم ، وإن البلية لا تختص بهم بل تعم غيرهم أيضاً ، ولذلك يقول  
: ( **لَمْ أَحْسِبْتُمْ** ) أي أظننتم وخلصتم أيها المؤمنون أن تدخلوا الجنة ( **وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ**  
**خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ** ) ، أي أن تدخلوا الجنة ولما تبتلوا وتمتحنوا بمثل ما ابتليت به الأمم السالفة  
وامتحنوا به . فعليكم بالصبر والثبات كما صبر هؤلاء وثبتوا .

---

١ . نصح البلاغة : قسم الحكم : الحكمة ٩٣ .

وعلى ضوء هذا فالمثل بمعنى الوصف . وقد تقدم منّا القول . بأن من معاني المثل هو الوصف . فقله : ( **وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مِثْلَ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسْتَهْمِبِينَ وَالضَّرَاءُ** ) ، أي « **لَمَّا يَأْتِكُمْ وَصِفَ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ** » فلا يدخلون حظيرة الإيمان الكامل إلا أن يكون لهم وصف مثل وصف الذين واجهوا المصائب والفتن بصبر وثبات وعانوا الكثير من القلق والاضطراب ، كما قال تعالى في حقّ المؤمنين : ( **وَلَزَلُوا زَلْزَالًا شَدِيدًا** ) ففي خضمّ هذه الفتنة التي تنفذ فيها طاقات البشر ، فإذا بالرحمة تنزل عليهم من خلال دعاء الرسول ﷺ وصالح المؤمنين .

كما قال سبحانه : ( **وَلَزَلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصَرَ اللَّهُ** ) والجملة ليست إلا طلب دعاء للنصر الذي وعد الله به رسله والمؤمنين بهم واستدعاءً له ، كما قال تعالى : ( **وَلَقَدْ سَبَّحْتَ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ \* تَهْمُمُ ۚ بِمِ الْمُنْصُورُونَ** ) <sup>(١)</sup> ، وقال تعالى : ( **كَتَبَ اللَّهُ لأَعْلِينَ أَنَا وَسُلْي** ) . <sup>(٢)</sup>

يقول الزمخشري : ومعناه طلب الصبر وتمنّيه واستطالة زمان الشدة ، وفي هذه الغاية دليل على تناهي الأمر في الشدة ، وتماديّه في العظم ... فإذا لم يبق للرسول صبر حتى ضجّوا ، كان ذلك الغاية في الشدة التي لا مطمح ورائها . وعند ذلك يخاطبون بقوله سبحانه : ( **أَلَا إِنَّ نَصَرَ اللَّهِ قَرِيبٌ** ) أي يقال لهم ذلك إجابة لهم إلى طلبتهم من عاجل النصر . <sup>(٣)</sup>

ثم إن القراءة المعروفة هي الرفع في قوله : ( **حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ** ) ، وعند ذلك تكون الجملة لحكاية حال الأمم الماضية . وقرئ بنصب « يقول » وعلى هذا

١ . الصافات : ١٧١ - ١٧٢ .

٢ . المجادلة : ٢١ .

٣ . الكشاف : ١ / ٢٧٠ في تفسير الآية .

تكون الجملة في محل الغاية لما سبقها وهو قوله ( **مَسَّبْتَهُمُ الْبَأْسَاءَ وَالضَّرَاءَ** ) و ( **زَلَزَلُوا** ) ولعل القراءة الأولى أفضل لبعدها كون الجملة غاية لمس البأساء والضراء والزلال .  
وقد تبين مما ذكرنا أنّ المثل بمعنى التمثيل والتشبيه ، فتشبيه حال الأمة الإسلامية بالأمم السابقة في أنّهم يعمّهم البأساء والضراء والزلال ، فإذا قرب نفاذ طاقاتهم وصمودهم في المعارك يدعو الرسول ومن معه من المؤمنين لهم بالنصر والغلبة والنجاح .  
ثم إن بعض الكتاب ممن كتب في أمثال القرآن جعل الآيات الثلاث التالية من الأمثال القرآنية. <sup>(١)</sup>

أ : ( **لَمَّا تَبَرَّ إِلَى اللَّهِ حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُخَيِّبُ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ** ) . <sup>(٢)</sup>  
ب : ( **وَأَكَالَهُمْ كَأَكَّالِكُمْ مَرًّا عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِبَةٌ عَلَى غُرُوشِهَا قَالَ أُنِيَ يُخَيِّبُ هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى عَمَلِكَ شَخِيبًا ۗ لَئِن لَّبِثْتَ إِلَّا بِسَاعَةٍ وَأَنْتَ مِنَ الْغَافِلِينَ** ) . <sup>(٣)</sup>

١ . الدكتور محمد حسين علي الصغير : الصورة الفنية في المثل القرآني : ١٤٤ ؛ والدكتور إسماعيل إسماعيلي : تفسير أمثال القرآن : ١٩١ .  
٢ . البقرة : ٢٥٨ .  
٣ . البقرة : ٢٥٩ .

ج : ( ذَرَقْنَا لِإِبْرَاهِيمَ آتِيكَ فَجِئْتَنِي لَمُوتِي لَمَّا وَتَبَوَّأَ مِنْ قَالِ بَلَىٰ وَلَكِنْ  
تَطْمَئِنُّ بِلِي لَمَّا خَذَ رُبْعَةً مِنْ طَيْرٍ فَصَبَّرَهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ  
ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا مَعْلَمًا اللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ) .<sup>(١)</sup>

ولا يخفى ما فيها من الضعف.

أمَّا الآية الأولى فالمراد من التمثيل هو التشبيه الذي يصور فيه غالباً غير المحسوس  
بالمحسوس ويقرب المعنى إلى ذهن المخاطب ، ولكن التشبيه في الآية الأولى الذي قام به  
مناظر إبراهيم كان تشبيهاً غير صحيح ، وذلك لأنه لما وصف إبراهيم ربّه بأنه يحيي ويميت  
أراد منه من يضيء الحياة على الجنين ويقبضه عندما يطعن في السن ، ولكن المناظر فسره  
بوجه أعم وقال : أنا أيضاً أحيي وأميت ، فكان إحياءه بإطلاق سراح من كُتِبَ عليه القتل  
، وقتل من شاء من الأحياء ، مع الفرق الشاسع بين الإحياء والإماتة في كلام الخليل وكلام  
المناظر ، فلم يكن هناك أي تشبيه بل مغالطة واضحة فيه .

وأما الآية الثانية ، فلم يكن هناك أي تشبيه أيضاً ، لأنه يشترط في التمثيل الاختلاف  
بين المشبه والمشبه به اختلافاً نوعياً ، كتشبيه الرجل الشجاع بالأسد ومُحَمَّرَ الشقيق بأعلام  
الياقوت ، وأما الآية المباركة فأنما هي من قبيل إيجاد مثل للمشبه ، فالرجل لما مرّ على القرية  
الخاوية على عروشها وقد شاهد بأنّه باد أهلها ورأي عظاما في طريقها إلى البلاء فقال : ( **كيف يحيي هذه الله بعد موتها** ) فأماته الله سبحانه مائة عام ثم أحياه كما هو ظاهر الآية ،  
وعلى ذلك فأوجد مثلاً للمشبه مع الوحدة النوعية وإنما الاختلاف في الصنف ، وقد عرفت  
لزوم وجود التباين النوعي بين المشبه والمشبه به .

---

١ . البقرة : ٢٦٠ .

وأما الآية الثالثة ، فمفادها هو أنّ إبراهيم كان مؤمناً بقدرته على إحياء الموتى ولكن طلب الإحياء ليراه بعينه ، لأنّ للعيان أثراً كبيراً في الاطمئنان ورسوخ العلم في القلب ، فطلب الرؤية ليطمئن قلبه ويزداد يقينه ، فخاطبه سبحانه بقوله : ( فَجِدْ رَأْبَعَةَ مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهِنَّ إِلَيْكَ ) ، أي أملهنّ وأجمعهنّ وضمهنّ إليك. ( ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جِزْءًا ) هذا دليل على أنّه سبق الأمر بقطعهن وذبحهن. ( ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَا تَيْنُكَ سَعِيًا ) ، ولم يذكر في الآية قيام إبراهيم بهذه الأعمال استغناء عنه بالقرائن.

هذا هو مفهوم الآية وأما أنّها ليست مثلاً ، فلعدم توفر شرائط المثل من المشبه والمشبه به ، وإنّما هو من قبيل إيجاد الفرد من الأمر الكلي أي إحياء الموتى سواء أكان إنساناً أم لا . فالأولى عد هذه الآيات من القصص التي حكاهها القرآن الكريم للعبارة والعظة لكن لا في ثوب المثل. فلنتقل إلى التمثيل السابع في سورة البقرة.

## سورة البقرة

٧

### التمثيل السابع

( مَثَل الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَسِعَ عَلِيمٌ \* الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يَتَّبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّْا وَلَا أَدَىٰ هُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ \* قَوْلَ مَعْرُوفٍ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتَّبِعُهَا أَذَىٰ وَاللَّهُ عَنِّي حَلِيمٌ )<sup>(١)</sup>

### تفسير الآيات

وعد سبحانه في غير واحد من الآيات بالجزاء المضاعف ، قال سبحانه : ( مَنِ ذَا الَّذِي يَدْفَعُ اللَّهُ ضَرْأًا سِيئًا لِيُضَاعَفَهُ لِيُضَاعَفَ لَهُ ضِعْفًا عَظِيمًا ) وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ )<sup>(٢)</sup> .  
ولأجل تقريب هذا الأمر أتى بالتمثيل الآتي وهو :

أن مثل الإنفاق في سبيل الله كمثل حبة أنبتت ساقا انشعبت سبعة شعب خرج من كل شعبة سنبله فيها مائة حبة فصارت الحبة سبعمائة حبة ، بمضاعفة الله لها ، ولا يخفى أن هذا التمثيل أبلغ في النفوس من ذكر عدد السبعة ، فإن في

١ - البقرة : ٢٦١ - ٢٦٣ .

٢ - البقرة : ٢٤٥ .

هذه إشارة إلى أنّ الأعمال الصالحة يملئها الله عزّ وجلّ لأصحابها كما يملئ لمن بذر في الأرض الطيبة.

وظاهر الآية أنّ المشبه هو المنفق ، والمشبه به هو الحبة المتبدلة إلى سبعمئة حبة ، ولكن التنزيل في الواقع بين أحد الأمرين :

أ : تشبيه المنفق بزراع الحبة.

ب : تشبيه الإنفاق بالحبة المزروعة.

ففي الآية أحد التقديرين.

ثمّ إنّ ما ذكره القرآن من التمثيل ليس أمراً وهمياً وفرضاً خيالياً بل هو أمر ممكن واقع ، بل ربما يتجاوز هذا العدد ، فقد حكى لي بعض الرُّزَّاع أنّه جنى من ساق واحد ذات سنابل متعددة تسعمائة حبة ، ولا غرو في ذلك فأنّه سبحانه هو القابض والباسط .  
ثمّ إنّّه سبحانه فرض على المنفق في سبيل الله الطالب رضاه ومغفرته أن لا يتبع ما أنفق به بالمن والأذى.

أمّا المنُّ ، فهو أن يتناول المعطي على من أعطاه بأن يقول : « ألم أعطك » « ألم أحسن إليك » كلّ ذلك استطالة عليه ، وأمّا الأذى فهو واضح .

فهؤلاء . أي المنفقون . غير المتبعين إنفاقهم بالمن والأذى ( لهم أجرهم عند ربّهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ) .

ثمّ إنّّه سبحانه يرشد المعوزين بأن يرِدوا الفقراء إذا سألوهم بأحد نحوين :

أ : ( قول معروف ) كأن يتلطف بالكلام في رد السائلين والاعتذار منهم والدعاء لهم .

ب : ( ومغفرة ) لما يصدر منهم من إلهاف أو إزعاج في المسألة.  
فالمواجهة بهاتين الصورتين ( خير من صدقة يتبعها أذى ) .  
وعلى كل حال فالمغني هو الله سبحانه ، كما يقول : ( ولله غني ) ، أي يغني السائل  
من سعته ، ولكنه لأجل مصالحكم في الدنيا والآخرة استقرضكم في الصدقة وإعطاء  
السائل . ( حلیم ) فعليكم يا عباد الله بالحلم والغفران لما بيد من السائل .

## سورة البقرة

٨

### التمثيل الثامن

( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَلَاذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّبَاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَبْفُونَ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ) .<sup>(١)</sup>

الرئى من الرؤىة ، وسمى المرأىى مرأىىاً ، كآئنه يفعل ليرى غيره ذلك .  
والصفون واحده صفوانة ، مثل سعدان وسعدانة ، ومرجان ومرجانة ، وهى الحجر الأملس .

و « الوابل » : المطر الشديء الوقع .

و « الصلء » : الحجر الأملس أى الصلب ، و « الصلء » من الأرض ما لا ينبت فيه شىءا لصلابته .

قء مرّ فى التمثىل السابق أنّ التلطف بالكلام فى رء السائل والاعتذار منه ، والعفو عما يصءر منه من إلحاف وإزعاج ، أفضل من أن ىنفق الإنسان وىتبع عمله بالأذى .  
وأما ما هو سببه ، فقء بىنه سبحانه فى هذا التمثىل ، وذلك بأنّ المنّ والأذى

---

١ . البقرة : ٢٦٤ .

يُعطى الإنفاق السابق ، لأنّ ترتب الأجر على الإنفاق مشروط بترك تعقبه بهما ، فإذا اتبع عمله بأحد الأمرين فقد افتقد العمل شرط استحقاق الأجر .

وبهذا يتبيّن أنّ الآية لا تدلّ على حبط الحسنة بالسيئة ، لأنّ معنى الحبط هو إبطال العمل السيئ الثواب المكتوب المفروض ، والآية لا تدلّ عليه لما قلنا من احتمال أن يكون ترتب الثواب على الإنفاق مشروطاً من أول الأمر بعدم متابعتة بالمرّة والأذى في المستقبل ، فإذا تابع عمله بأحدهما فلم يأت بالواجب أو المستحب على النحو المطلوب ، فلا يكون هناك ثواب مكتوب حتى يزيله المن والأذى .

وأما استخدام كلمة الإبطال ، فيكفي في ذلك وجود المقتضي للأجر وهو الإنفاق ، ولا يتوقف على تحقّق الأجر ومفروضيته على الله بالنسبة إلى العبد .  
ثم إن الحبط باطل عقلاً وشرعاً .

أما الأوّل فلما قرّر في محله من استلزامه الظلم ، لأنّ معنى الحبط أنّ مطلق السيئة يذهب الحسنات وثوابها على وجه الإطلاق مع أنّه مستلزم للظلم ، لأنّ من أساء وأطاع وكانت إساءته أكثر . فعلى القول بالإحباط . يكون بمنزلة من لم يحسن .

وإن كان إحسانه أكثر يكون بمنزلة من لم يسيء ، وإن تساوى يكون مساوياً لمن يصدر عنهما .<sup>(١)</sup>

وأما شرعاً فلقوله سبحانه : ( فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ \* وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ) .<sup>(٢)</sup>

١ . كشف المراد : المقصد السادس ، المسألة السابعة .

٢ . الزلزلة : ٧ . ٨ .

وإلى هذين الوجهين أشار المحقق الطوسي بقوله :  
والإحباط باطل ، لاستلزامه الظلم ولقوله تعالى : ( فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ) .  
(١)

ثم إن العبد بما آتاه لا يملك شيئاً إلا بما أغناه الله وأعطاه ، فهو ينفق من مال الله سبحانه ،  
لأنه وما في يده ملك لمولاه فهو عبد لا يملك شيئاً إلا بتمليكه سبحانه ، فمقتضى تلك  
القاعدة أن ينفق لله وفي سبيل الله ولا يتبع عمله بالمرن والأذى.  
وبعبارة أخرى : أن حقيقة العبودية هي عبارة عن حركات العبد وسكناته لله سبحانه ،  
ومعه كيف يسوع له اتباع عمله بالمرن والأذى.

ولذلك يقول سبحانه : ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صِدْقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى ) .  
ثم إنه سبحانه شبه أصحاب المرن والأذى بالمرائي الذي لا يتبعي بعمله مرضاة الله تعالى ،  
ولا يقصد به وجه الله غير ان المان والمؤذي يقصد بعمله مرضاة الله ثم يتبعهما بما يطله  
بالمعنى الذي عرفت ، والمرائي لا يقصد بأعماله وجه الله سبحانه فيقع عمله باطلاً من رأس  
، ولذلك صحّ تشبيههما بالمرائي مثل تشبيهه الضعيف بالقوي.

وأما حقيقة التمثيل فتوضيحا بالبيان التالي :  
نفترض أرضاً صفواناً أملس عليها تراب ضئيل يخيل لأول وهلة أنها أرض نافعة صالحة  
للنبات ، فأصابها مطر غزير جرف التراب عنها فتركها صلباً

---

١ . المصدر نفسه .

أملس لا تصلح لشيء من الزرع ، كما قال سبحانه : ( كَمَثَلِ صَبْغُونَ عَلَيْهِ تُّرَابٍ فَأَصَابَهُ  
وَابِلٌ فَتَرَكَهٗ صَلْدًا لَا يَنْفُكُهُ ۗ أَنْ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا ) .

فعمل المرثي له ظاهر جميل وباطن رديء ، فالإنسان غير العارف بحقيقة نيّة العامل  
يتخيل أنّ عمله منتج ، كما يتصور الإنسان الحجر الأملس الذي عليه تراب قليل فيتخيل  
أنّه صالح للنبات ، فعند ما أصابه مطر غزير شديد الوقع ونفض التراب عن وجه الحجر تبين  
أنّه حجر أملس لا يصلح للزراعة ، فهكذا عمل المرثي إذا انكشفت الوقائع ورفعت الأستار  
تبين أنه عمل رديء عقيم غير ناتج .

ثم إن المان والمؤذي بعد الإنفاق أشبه بعمل المرثي .

## سورة البقرة

٩

### التمثيل التاسع

( وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ  
صَاعًا نَهَّاءً تَلِيٌّ مَلَكٌ كُلُّهَا حَمِيمٌ وَإِلَىٰ ۖ يُصِيبُهَا مِزِلٌ فَطَلَّ ۗ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ) .<sup>(١)</sup>

### تفسير الآية

« الربوة » : هي التل المرتفع.

و « الطل » : المطر الخفيف ، يقال : أطلت السماء فهي مطلة. وروضة طلة ندية.  
شبهه سبحانه في التمثيل السابق عمل المان والمؤذي بعد الإنفاق والمرائى بعمله بالأرض  
الصلبة التي عليها تراب يصيبها مطر غزير يكتسح التراب فلا يظهر إلا سطح الحجر  
لخشونته وصلابته ، على عكس التمثيل في هذه الآية حيث إنها تشبه عمل المنفق لمرضاة الله  
تبارك وتعالى بجنة خضراء يانعة تقع على أرض مرتفعة خصبة تستقبل النسيم الطلق والمطر  
الكثير النافع ، وقيد المشبه به بيستان مرتفع عن الأرض ، لأن تأثير الشمس والهواء فيه  
أكمل فيكون أحسن منظرًا وأذكى ثمرًا ، أما الأماكن المنخفضة التي لا تصيبها الشمس في  
الغالب إلا قليلا فلا تكون كذلك.

١ . البقرة : ٢٦٥ .

قال الرازي : إن المراد بالريوة الأرض المستوية الجيدة التربة بحيث تربو بنزول المطر عليها وتنمو ، كما قال سبحانه : ( فَكَيْفَ أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَرَّتْ وَبَتَ وَنَبَّتَ ) .  
ويؤيده أن المثل مقابل الصفوان الذي لا يؤثر فيه المطر.  
وعلى كل حال فهذا النوع من الأرض إن أصابها وابل أتت أكلها ضعفين فكان ثمرها مثلي ما كانت تثمر في العادة ، وإن لم يصبها وابل بل أصابها الطلّ تعطي أكلها حسب ما يترقب منها .

فالذين ينفقون أموالهم في سبيل الله أشبه بتلك الجنة ذات الحاصل الوافر المفيد والشمين .  
ثم إن قوله سبحانه : ( ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من أنفسهم ) بيان لدوافع الإنفاق وحواجزه وهو ابتغاء مرضاة الله أولاً ، وتقوية روح الإيمان في القلب ثانياً ، ولعل السرّ في دخول « من » على ( من أنفسهم ) مع كونه مفعولاً لقوله ( تثبيتا ) لبيان أن هذا المنفق ينفق من نفس قد روضها وثبتتها في الجملة على الطاعة حتى سمحت لله بالمال الغزير فهو يجعل من مقاصده في الإنفاق ، تثبيتها على طاعة الله وابتغاء مرضاته في المستقبل .

## سورة البقرة

١٠

### التمثيل العاشر

( أَيَوَّدُ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ) .<sup>(١)</sup>

### تفسير الآية

ود الشيء : أحبه. و « الجنة » هي الشجر الكثير الملتف كالبستان سميت بذلك ، لأنها تجن الأرض وتسترها وتقيها من ضوء الشمس ونحوه.  
و « النخيل » جمع نخل أو اسم جمع.  
و « الأعناب » جمع عنب وهو ثمر الكرم ، والقرآن يذكر الكرم بثمره والنخل بشجره لا بثمره.

و « الإعصار » ريح عاصفة تستدير في الأرض ثم تنعكس عنها إلى السماء حاملة معها الغبار كهيئة العمود ، جمعه أعاصير ، وخصّ الأعاصير بما فيها نار ، وقال : ( إعصار فيه نار ) ، وفيه احتمالات :

أ : أن يكون المراد الرياح التي تكتسب الحرارة أثناء مرورها على الحرائق

---

١ . البقرة : ٢٦٦ .

فتحمل معها النيران إلى مناطق نائية.

ب : العواصف التي تصاحبها الصواعق وتصيب الأرض وتحيلها إلى رماد.

ج : البرد الشديد الذي يطلق على كل ما يتلف الشيء ولو بتجفيف رطوبته.

والمتعين أحد الأولين دون الثالث ، وإلا لكان له سبحانه أن يقول كمثل ربح صرّ وهو البرد الشديد ، قال سبحانه في صدقات الكفار ونفقاتهم في الدنيا : ( **مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ مَخْرَجًا فَأَنْفُسَهُمْ فَاهْلَكْتَهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ** ) .<sup>(١)</sup>

نعم ربما يفسر الصر بالسموم الحارة القاتلة.<sup>(٢)</sup> وعندئذ تتحد الآيتان في المعنى.

وعلى كل حال فالمقصود هو نزول البلاء على هذه الجنة الذي يؤدي إلى إبادة سريعة.

ثم إنه سبحانه بينما يقول : ( **جَنَّةٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ** ) الظاهر في كون الجنة محفوفة

بهما ، يقول أيضاً : ( **فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ** ) ، فكيف يمكن الجمع بين الأمرين؟

والظاهر ان النخيل والأعناب لما كانا أكرم الشجر وأكثرها نفعاً خصبهما بالذكر وجعل

الجنة منهما ، وإن كانت محتوية على سائر الأشجار تغليبا لهما على غيرهما.

إلى هنا تم تفسير مفردات الآية.

---

١. آل عمران : ١١٧ .

٢. مجمع البيان : ١ / ٤٩١ .

وأما التمثيل فيتركب من مشبه ومشبه به .  
أما المشبه فهو عبارة عن عمل عملاً صالحاً ثم يردفه بالسيئة ، كما هو المروي عن ابن عباس ، عندئذٍ يكون المراد من ينفق ويتبع عمله بالمتّ والأذى .  
قال الزمخشري : ضربت الآية مثلاً لرجل غني يعمل الحسنات ، ثمّ بعث الله له الشيطان فعمل بالمعاصي حتى أغرق أعماله كلها .<sup>(١)</sup>

وأما المشبه به فهو عبارة عن رجل طاعن في السن لحقته الشيخوخة وله أولاد صغار غير قادرين على العمل وله جنة مخفوفة بالنخيل والأعناب تجري من تحتها الأنهار وله من كل الثمرات ، وقد عقد على تلك الجنة آمالاً كبيرة ، وفجأة هبت عاصفة محرقة فأحرقتها وأبادتها عن بكرة أبيها فكيف يكون حال هذا الرجل في الحزن والحسرة والخيبة والحرمان بعد ما تلاشت آماله ، فالمنفق في سبيل الله الذي هياً لنفسه أجراً وثواباً أخروياً عقد به آماله ، فإذا به يتبع عمله بالمعاصي ، فقد سلط على أعماله الحسنات تلك أعاصير محرقة تبيد كل ما عقد عليه آماله .

---

١ . الكشاف : ١ / ٢٩٩ .

## سورة البقرة

١١

### التمثيل الحادي عشر

( الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَإِنَّ اللَّهَ لَحَلَّ الْبَيْعِ وَجَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَبَانَتْهَا فَلَهُ مَا سَلَفَ وَمَنْ سَلَفَ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ) .<sup>(١)</sup>

### تفسير الآية

« الربا » الزيادة كما في قولهم ربا الشيء يربو إذا زاد ، والربا هو الزيادة على رأس المال ، فلو أقرض أحد أحدا عشرة إلى سنة فأخذ منه في نهاية الأجل أكثر مما دفع فهو ربا إذا شرطه في العقد.

و « التخبُّط » والخبط بمعنى واحد ، وهو المشي على غير استواء ، يقال : خبط البصير إذا اختلَّت جهة مشيه ، ويقال للذي يتصرف في أمر ولا يهتدي فيه : هو يخبط خبطة عشواء ، أي يضرب على غير اتساق.

وعلى هذا فالمراد من قوله : ( يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ ) أي يخبطه الشيطان ويضربه ، وبالتالي يصرعه.

---

١ . البقرة : ٢٧٥ .

و « السَلَف » أي الماضي يقال سلف يسلف سلوفاً ، ومنه الأمم السالفة أي الماضية .  
وأما قوله ( **مِنِ الْمَسِّ** ) فالظرف متعلق بيقوم ، أي لا يقومون إلا كما يقوم المصروع من  
المس .

وحاصل معنى الآية أنّ أكل الربا لا يقوم إلا كقيام من يخبطه الشيطان فيصرعه ، فكما  
أن قيامه على غير استواء فهكذا أكل الربا .

فالتشبيه وقع بين قيام أكل الربا وقيام المصروع من خبط الشيطان ، فيطرح هنا سؤالان :

الأوّل : ما هو المراد من أن أكل الربا لا يقوم إلا كقيام المصروع ؟

الثاني : ما هو المراد من كون الصرع من مس الشيطان ؟

أما الأوّل : فقد اختلف فيه كلمة المفسرين على وجوه :

١ . ذهب أكثرهم إلى أنّ المراد قيامهم يوم القيامة قيام المتخبطين ، فكأنّ أكل الربا  
يبعث يوم القيامة مجنوناً ، وذلك كالعلامة المخصوصة بأكل الربا ، فيعرفه أهل الموقف أنّه  
أكل الربا في الدنيا .

وعلى ضوء هذا فيكون معنى الآية أنّهم يقومون مجانين كمن أصابه الشيطان بمسّ .

٢ . أنّهم إذا بعثوا من قبورهم خرجوا مسرعين لقوله : ( **يُخْرِجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سُرَاعًا** )

إلا أكلة الربا فإنّهم يقومون ويسقطون ، لأنّه سبحانه أرباه في بطونهم يوم القيامة حتى  
أثقلهم فهم ينهضون ويسقطون ويريدون الإسراع ولا يقدرّون .

ويؤيده ما روي عن النبي ﷺ أنه قال : أُسري بي إلى السماء رأيت رجالاً بطونهم كالبيوت فيها الحيات ترى من خارج بطونهم ، فقلت : من هؤلاء يا جبرئيل ؟ قال : هؤلاء آكلة الربا.

٣. إنّ المراد من المسّ ليس هو الجنون ، وإن كان المسّ يستعمل فيه ، بل المراد من تبع الشيطان وأجاب دعوته ، كما هو الحال في قوله سبحانه : (لِلَّذِينَ اتَّبَعُوا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِنَّهُمْ مُبْصِرُونَ) <sup>(١)</sup> ، وذلك لأنّ الشيطان يدعو إلى طلب اللذات والشهوات والاشتغال بغير الله ، فهذا هو المراد من مسّ الشيطان ، ومن كان كذلك كان في أمر الدنيا متخبطاً ، فتارة يجرّه الشيطان إلى اتّباع النفس والهوى ، وتارة تجرّه الفطرة إلى الدين والتقوى فتضطرب حياته ويسودها القلق.

فلا شك أنّ أكل الربا يكون مفراطاً في حب الدنيا متهاكاً عليها ، ولذلك تكون حياته الدنيوية حياة غير منظمة وعلى غير استواء.

وهناك وجه رابع ذكره السيد الطباطبائي وهو :

إنّ الإنسان الممسوس الذي اختلّت قوته المميزة لا يفرق بين الحسن والقبيح ، والنافع والضار ، والخير والشر ، فهكذا حال المرابي في أخذه للربا فإنّ الذي تدعو إليه الفطرة أن يعامل بمعاوضة ما عنده من المال الذي يستغني عنه مما عند غيره من المال الذي يحتاج إليه. وأمّا إعطاء المال وأخذ ما يمثله بعينه مع زيادة ، فهذا شيء ينهدم به قضاء الفطرة وأساس المعيشة ، فإنّ ذلك ينجرّ من جانب المرابي إلى اختلاس المال من يد المدين وتجمّعه وتراكمه عند المرابي ، فإنّ هذا المال لا يزال ينمو ويزيد ، ولا ينمو إلّا من مال الغير ، فهو بالانتقاص

---

١. الأعراف : ٢٠١.

والانفصال من جانب ، والزيادة والانضمام من جانب آخر .  
وينجر من جانب المدين المؤدي للربا إلى تزايد المصرف بمرور الزمان تزايداً لا يتداركه شيء  
مع تزايد الحاجة ، وكلما زاد المصرف أي نما الربا بالتصاعد زادت الحاجة من غير أمر يجبر  
النقص ويتداركه وفي ذلك انهدام حياة المدين .  
فالربا يضاد التوازن والتعادل الاجتماعي ويفسد الانتظام الحاكم على هذا الصراط  
المستقيم الإنساني الذي هدته إليه الفطرة الإلهية .  
وهذا هو الخبط الذي يتلى به المرابي كخبط الممسوس ، فإنّ المراباة يضطره أن يختل عنده  
أصل المعاملة والمعاوضة فلا يفرّق بين البيع والربا ، فإذا دُعي إلى أن يترك الربا ويأخذ بالبيع ،  
أجاب : أنّ البيع مثل الربا لا يزيد على الربا بمزية ، فلا موجب لترك الربا وأخذ بالبيع ،  
ولذلك استدلّ تعالى على خبط المرابين بما حكاه من قولهم : ( **إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا** ) .<sup>(١)</sup>  
وهناك سؤال : وهو أنّه لماذا قيل البيع مثل الربا بل كان عليهم القول بأن الربا مثل البيع  
، لأنّ الكلام في الربا لا في البيع فوجب عليهم أن يشبهوا الربا بالبيع ، لا على العكس .  
والجواب أنّهم شبهوا البيع بالربا لأجل المبالغة وهو أنّهم جعلوا حلّية الربا أصلاً ، وحلّية  
البيع فرعاً ، فقالوا : إن البيع مثل الربا .  
هذا كلّه حول الأمر الأوّ .

وأما الأمر الثاني وهو كون الجنون معلولاً لوطأة الشيطان ومسنّه ، فنقول :  
إنّ ظاهر الآية أنّ الجنون نتيجة تصرف الجن في المجانين ، مع أنّ العلم

---

١ - الميزان : ٢ / ٤١١ .

الحديث كشف علّة الجنون وهو حدوث اختلالات في الأعصاب الإدراكية ، فكيف يجمع بين مفاد الآية وما عليه العلم الحديث ، وهذا من قبيل تعارض النقل والعقل ؟ وأجاب عنه بعض المفسرين بأنّ هذا التشبيه من قبيل المجازة مع عامّة الناس في بعض اعتقاداتهم الفاسدة حيث كان اعتقادهم بتصريف الجن في المجانين ، ولا ضير في ذلك ، لأنّه مجرد تشبيه خال عن الحكم حتى يكون خطأ غير مطابق للواقع.

فحقيقة معنى الآية هو أن هؤلاء الآكلين للربا حالهم حال الجنون الذي يتخبطه الشيطان من المس ، وأما كون الجنون مستنداً إلى مس الشيطان فأمر غير ممكن ، لأنّ الله سبحانه أعدل من أن يسלט الشيطان على عقل عبده ، أو على عبده المؤمن. <sup>(١)</sup>

وأجاب عنه السيد الطباطبائي بأن الله تعالى أجل من أن يستند في كلامه إلى الباطل ، ولغو القول بأي نحو كان من الاستناد إلّا مع بيان بطلانه وردّه على قائله ، وقد قال تعالى في وصف كلامه : ( **مَنْ نَّهَ لِكِتَابِ عَزِيزٍ \* أَمْ تَهْتَكُ لِبَطْلِ مِّنْ يَدِيهِ وَلَا مِن خَلْفِهِ** ) . <sup>(٢)</sup> وقال تعالى : ( **إِنَّهُ لَقَوْلُ فَصْلٍ \* وَمَا هُوَ بِأَهْرَجٍ** ) . <sup>(٣)</sup>

وأما أنّ استناد الجنون إلى تصرف الشيطان وذهاب العقل ينافي عدله تعالى ، ففيه أنّ الإشكال بعينه مقلوب عليهم في اسنادهم ذهاب العقل إلى الأسباب

---

١ . نقله في الميزان : ٢ / ٤١٣ ولم يذكر المصدر ؛ وفي تفسير المنار : ٣ / ٩٥ ما يقرب من ذلك نقله عن

البيضاوي في تفسيره.

٢ . فصلت : ٤٢ .

٣ . الطارق : ١٣ - ١٤ .

الطبيعية فأنها مستندة أخيراً إلى الله تعالى مع إذهابها العقل. <sup>(١)</sup>  
وهناك كلام آخر للسيد الطباطبائي ولعله يقلع الشبهة : ان استناد الجنون إلى الشيطان ليس على نحو الاستقامة ومن غير واسطة بل الأسباب الطبيعية كاختلال الأعصاب والآفة الدماغية أسباب قريبة وراءها الشيطان ، كما أنّ أنواع الكرامات تستند إلى الملك مع تخلل الأسباب الطبيعية في البين ، وقد ورد نظير ذلك فيما حكاه الله عن أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ إذ قال : ( **يَا سَيِّدِي الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ** ) <sup>(٢)</sup> ، وإذ قال : ( **يَا سَيِّدِي الضُّرُّ مَثَلُ رَأْسِ الْجَمْرِ الرَّجِيمِ** ) <sup>(٣)</sup> والضر هو المرض وله أسباب طبيعية ظاهرة في البدن ، فنسب ما به من المرض المستند إلى أسبابه الطبيعية إلى الشيطان. <sup>(٤)</sup>

---

١ . الميزان : ٤١٢ / ٢ .

٢ . ص : ٤١ .

٣ . الأنبياء : ٨٣ .

٤ . الميزان : ٤١٣ / ٢ .

## آل عمران

١٢

### التمثيل الثاني عشر

(إِنَّمَا مَثَلُ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ \* الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ) .<sup>(١)</sup>

#### تفسير الآية

ذكر سبحانه كيفية ولادة المسيح من أمه « مريم العذراء » وابتدأ بيانه بقوله : ( إِذْ مَكَرَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَلْزِمُوا كَلِمَةَ الْكَاذِبِينَ وَرَبُّنَا اللَّهُ الَّذِي لَمْ يَرْبِحْ مِنْ لَدُنْهُ حَرْماً فَكَلِمَةَ اللَّهِ نَتَمَسَّكُ بِهَا لِلْحَقِّ وَلِالْحَمْدِ إِنَّ أُولَئِكَ هُمُ الْمُضِلُّونَ ) .<sup>(٢)</sup>

وبذلك أثبت ان المسيح مخلوق لله سبحانه مولود من أمه العذراء دون أن يمسيها بشر وأنه على آية من آيات الله سبحانه ، ولما كانت النصراني تتبى ألوهية المسيح وأنه يؤلف أحد أضلاع مثلث الألوهية الرب والابن وروح القدس ، وكانت تؤمن أنه ابن الرب ، لأنه ولد من مريم بلا أب .

ولما احتجوا بهذا الدليل أمام النبي ﷺ وافاه الوحي مجيباً على استدلالهم بأن

١ . آل عمران : ٥٩ . ٦٠ .

٢ . آل عمران : ٤٥ . ٤٧ .

كيفية خلق المسيح يضاهي كيفية خلق آدم. حيث إن آدم خلق من تراب بلا أب وأمّ ، فإذا كان هذا أمراً ممكناً ، فمثله المسيح حيث ولد من أمّ بلا أب فهو أهون بالإمكان. وعبارة أخرى : إنّ المسيح مثل آدم في أحد الطرفين ، ويكفي في المماثلة المشاركة في بعض الأوصاف ، ففي الحقيقة هو من قبيل تشبيهه الغريب بالأغرب ليكون أقطع للخصم وأحسم لمادة الشبهة.

إن من الأسئلة المثارة حول قوله سبحانه : ( **ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ** ) هو ان الأنسب أن يقول : « ثم قال له كن فكان » فلماذا قال : ( **فَيَكُونُ** ) لأن أمره سبحانه بالتحقق أمر يلازم تحقق الشيء دفعة.

والجواب أنّه وضع المضارع مكان الماضي وهو أمر جائز ، والنكتة فيه هي تصوير الحالة الماضية فإن تكوّن آدم كان أمراً تدريجياً لا أمراً دفعياً.

وعبارة أخرى : ان قوله : ( **كُنْ** ) وإن كان دالاً على انتفاء التدرّج ولكنّه بالنسبة إليه سبحانه ، وأمّا بالنسبة إلى المخلوق فهو على قسمين : قسم يكون فاقداً له كالنفوس والعقول الكلية ، وقسم يكون أمراً تدريجياً حاصلاً بالنسبة إلى أسبابها التدريجية ، فإذا لوحظ الشيء بالقياس إليه تعالى فلا تدرّج هناك ولا مهلة . لانتفاء الزمان والحركة في المقام الربوبي ، ولذا قال سبحانه : ( **وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ** )<sup>(١)</sup> وأمّا إذا لوحظ بالقياس إلى وجود الممكن وأسبابه فالتدرّج أمر متحقق ، وبالجملة فقوله ( **فَيَكُونُ** ) ناظر إلى الحالة الماضية.<sup>(٢)</sup>

وهناك وجه آخر ذكره المحقّق البلاغي عند تفسير قوله سبحانه : ( **بَدِيع** )

١. القمر : ٥٠.

٢. الميزان : ٣ / ٢١٢ ؛ المنار : ٣ / ٣١٩.

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) .

إن قوله : ( فيكون ) تفريع على قوله ( يقول ) وليس جزاء لقوله تعالى ( كن ) ، لأنّ الكون بعد الفاء ، هو نفس الكون المأمور به لا جزاء المترتب عليه ، وتوهم أنّه جزاء لذات الطلب أو ملكوت مع الطلب مدفوع ، بأنّه لو صحّ لوجب أن ينصب مع أنّه مرفوع. (١)

وعلى كل تقدير فالقرآن الكريم يستدل على إبطال إلهية المسيح بوجوه مختلفة ، منها هو تشبيه ولادة المسيح بآدم. والتمثيل المذكور يتكفل بيان هذا الأمر أيضاً ، وفي الحقيقة الآية منحلّة إلى حجتين تفي كل واحدة منهما بنفي الإلهية عن المسيح. إحداهما : ان عيسى مخلوق لله . على ما يعلمه الله لا يضل في علمه . خلقه بشر وإن فقد الأب ومن كان كذلك كان عبدا لا ربا.

وثانيهما : أنّ خلقه لا تزيد على خلقه آدم ، فلو اقتضى سنخ خلقه أن يقال بإلهيته بوجه لاقتضى خلق آدم ذلك مع أنّهم لا يقولون بما فيه فوجب أن لا يقولوا بما في عيسى عليه السلام أيضا لمكان المماثلة.

ويظهر من الآية ان خلقه عيسى كخلق آدم خلقه طبيعية كونية وإن كانت خارقة للسنة الجارية في النسل وهي حاجة الولد في تكوّنه إلى والد. (٢)

---

١. آلاء الرحمن : ١ / ١٢٠ .

٢. الميزان : ٣ / ٢١٢ .

التمثيل الثالث عشر

(نِيقَاتٍ فَرَوَانِ نَحْيٍ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا وَا لَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ۗ لَكِ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ \* مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَبِرًا قَوْمًا ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ ) .<sup>(١)</sup>

تفسير الآيات

الصر : الريح الباردة نحو صرصر ، قال الشاعر :

لا تعدلن أتاويين<sup>(١)</sup> تضرهم نكباء صر بأصحاب المحلات

ونقل الطبرسي عن الزجاج أنه قال : الصرّ صوت لهب النار التي كانت في تلك الريح ،

وأضاف : ويجوز أن يكون الصر صوت الريح الباردة الشديدة.

وعلى كلّ تقدير فالمراد هو الريح السامة التي تهلك الحرث.

والمراد من ( حرث قوم ظلموا أنفسهم ) الذين زرعوا في غير موضع الزراعة

١ . آل عمران : ١١٦ . ١١٧ .

٢ . الأتاي : جمع الإتاوة : الخراج .

أو في غير وقتها ، فهبت عليه العواصف فذهب أدراج الرياح ، إذ لا شك أنّ للزمان والمكان تأثيراً بالغاً في نمو الزرع ، فالنسيم الهادئ الذي يهب على الزرع ويلامسه والأرض الخصبة كلها عوامل تزيد في طراوة الزرع ونضارته .

هذا هو المشبه به ، فالكافر إذا أنفق ماله في هذه الحياة الدنيا بغية الانتفاع به ، فهو كمن زرع في غير موضعه أو زمانه ، فلا ينتفع من إنفاقه شيئاً ، فإنّ الكفر وما يتبعه من الهوى يبيد إنفاقه ، ولذلك قال سبحانه : (لِإِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِي عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا وَاٰلَهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا) .

## الأنعام

١٤

### التمثيل الرابع عشر

( وَأَمَّنْ كَانَ مِيتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلَهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِحَاجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ يُزَيِّنُ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ) .<sup>(١)</sup>

#### تفسير الآية

نزلت الآية في حمزة بن عبد المطلب وأبي جهل بن هشام ، وذلك أنّ أبا جهل آذى رسول الله فأخبر بذلك حمزة ، وهو على دين قومه ، فغضب وجاء ومعه قوس فضرب بها رأس أبي جهل وآمن ، وهو المروي عن ابن عباس .  
وقيل : إنّها نزلت في عمار بن ياسر حين آمن وأبي جهل ، وهو المروي عن أبي جعفر ، ولكن الظاهر أنّها عامة في كلّ مؤمن وكافر ، ومع ذلك لا يمنع هذا نزولها في شخصين خاصين .

ففي هذه الآية تمثيلات وتشبيهات جعلتها من قبيل التشبيه المركب نذكرها تباعا :  
١ . يقول سبحانه : ( وَأَمَّنْ كَانَ مِيتًا فَأَحْيَيْنَاهُ ) وقد شبه الكافر ب « الميت » الذي هو مخفف الميت والمؤمن بالحي .

---

١ . الأنعام : ١٢٢ .

وليست الآية نسيحاً وحدها فقد شبه المؤمن في غير واحد من الآيات بالحَيِّ ، والكافر بالميت ، قال سبحانه : ( فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى ) <sup>(١)</sup> ( لِيُبَيِّنَ مَنْ كَانَ حَيًّا ) <sup>(٢)</sup> و ( وَمَا يَسْتَعْمِلُ الْأَحْيَاءِ وَلَا الْأَمْوَاتِ ) . <sup>(٣)</sup>

٢ . يقول سبحانه : ( وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّبَاسِ ) فقد شبه القرآن بالنور ، حيث إن المؤمن على ضوء القرآن يشق طريق السعادة ، قال سبحانه : ( يَا أَيُّهَا النَّبَاسِ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا ) . <sup>(٤)</sup>

وقال سبحانه : ( مَا كُنْتُ بَدْرِي مِمَّا الْكِتَابِ وَلَا الْإِيمَانَ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا ) <sup>(٥)</sup> ، فالقرآن ينورُ الدرب للمؤمن .

٣ . يقول سبحانه ( كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا ) ، فالمراد من الظلمة إما الكفر أو الجهل ، ويؤيد الأول قوله سبحانه : ( اللَّهُ نُورٌ لِيُطْرَقَ لِيُظْهِرَ لِي لِيُظْهِرَهُمُ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ) . <sup>(٦)</sup>

ثم إنَّه سبحانه شبه الكافر بالذي يمكث في الظلمات لا يهتدي إلى شيء بقوله : ( كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ ) ولم يقل : كمن هو في الظلمات ، بل توسط لفظ المثل فيه ، ولعل الوجه هو تبين أنَّه بلغ في الكفر والحيرة غاية يضرب به المثل . هذا هو تفسير الآية على وجه التفصيل .

١ . الروم : ٥٢ .

٢ . يس : ٧٠ .

٣ . فاطر : ٢٢ .

٤ . النساء : ١٧٤ .

٥ . الشورى : ٥٢ .

٦ . البقرة : ٢٥٧ .

وحاصل الآية : ان مثل من هداه الله بعد الضلالة ومنحه التوفيق لليقين الذي يميز به بين الحق والمبطل ، والمهتدي والضال ، . مثله . من كان ميتاً فأحياه الله وجعل له نوراً يمشي به في الناس مستضيئاً به ، فيميز بعضه من بعض.

هذا هو مثل المؤمن ، ولا يصح قياس المؤمن بالباقي على كفره غير الخارج عنه ، الخابط في الظلمات المتحير الذي لا يهتدي سبيل الرشاد.

وفي الحقيقة الآية تشتمل على تشبيهين :

الأول : تشبيه المؤمن بالميت المحيا الذي معه نور.

الثاني : تشبيه الكافر بالميت الفاقد للنور الباقي في الظلمات ، والغرض ان المؤمن من قبيل التشبيه الأول ، دون الثاني.

## الأعراف

١٥

### التمثيل الخامس عشر

(هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ لِيَلِّحَ شِرَارَ لَيْلٍ ۖ يَدُ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقِّنَاهُ لِيَلْبَدَ  
يَتَّأْتِيهِ مِنَ الْمَاءِ فَجَارِبًا بِهِ نَؤُومًا ۖ لَقَدْ نَزَّلْنَا دَلِيلًا ۖ لِيُخْرِجَ الْوَتِي لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ \* وَلِيَلْبَدَ  
الْجَبْرِ يُخْرِجُ مِنْهُ مَاءً لِيَلْبَدَ ۖ لَقَدْ نَزَّلْنَا دَلِيلًا ۖ لِيُخْرِجَ الْوَتِي لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ) (١)

### تفسير الآية

« أقل » من الإقلال ، وهو حمل الشيء بأسره.

والنكد : العسر الممتع من إعطاء الخير ، يقال نكد إذا سئل فبخل ، قال الشاعر :  
وأعطي ما أعطيته طيباً لا خير في المنكود والناكد  
« البلد الطيب » : عبارة عن الأرض الطيب ترابها ، ففي مثلها يخرج الزرع نامياً زاكياً  
من غير كد ولا عناء ، كل ذلك بإذنه سبحانه .

والبلد الحبيث هي الأرض السبخة التي خبت ترابها لا يخرج ريعها إلا شيئاً

---

١ . الأعراف : ٥٧ . ٥٨ .

قليلاً ، وكأَنَّها لا تعطي إلا شيئاً قليلاً وهو بالعسر.

وتصريف الآيات عبارة عن تكررها.

ذكر سبحانه في الآية الأولى بأنَّه يرسل الرياح مباشرة برحمته ، فإذا حملت سحباً ثقالاً

بالماء ساقه سبحانه إلى بلد ميت فتحيا به الأرض وتؤتي ثمراتها.

وعاد سبحانه في الآية الثانية إلى القول بأن هطول المطر وسقي الأرض جزء مما يتوقف

عليه خروج النبات ، وهناك شرط آخر وهو أن تكون الأرض خصبة صالحة للزراعة دونما إذا

كانت خبيثة ، هذا هو حال المشبه به.

وأما المشبه فهو أنَّه سبحانه يُشَبِّهُ المؤمن بأرض طيبة تلين بالمطر ويحسن نباتها ويكثر

ربيعها ، كما تشبه قلب الكافر بالأرض السبخة لا تنبت شيئاً ، فقلب المؤمن كالأرض الطيبة

وقلب الكافر كالأرض السبخة.

## الأعراف

١٦

### التمثيل السادس عشر

( مَثَلٌ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْعَابِدِينَ \*  
وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ  
يَلْهَثُ وَأَ تَتْرَكُهُ يَلْهَثُ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ  
\* سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّ نَفْسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ ) .<sup>(١)</sup>

### تفسير الآيات

النبا: الخبر عن الأمر العظيم ومنه اشتقاق النبوة ، أخلد إلى الأرض أي سكن إليها.  
السلخ: النزع ، وقوله : ( أخلد إلى الأرض ) لصق بها ، واللهث أن يدلح الكلب  
لسانه من العطش ، واللهث حرّ العطش.  
هذا هو تفسير مفردات الآية ، وأما المضمون فالآية تمثيل يتضمن مشبهاً ومشبهاً به ، أما  
الثاني فقد اختلفت كلمة المفسرين في المراد منه ، فالأكثر على أن المراد هو بلعم بن باعوراء  
الذي كان عالماً من علماء بني إسرائيل ، وقيل من

---

١- الأعراف : ١٧٥-١٧٧.

الكنعانيين أوتي علم بعض كتاب الله ، ولكنّه كفر به ونبذ وراء ظهره ، فلحقه الشيطان وصار قرينا له وكان من الغاوين الضالين الكافرين.

والإمعان في الآية يعرب عن بلوغ الرجل مقاماً شامخاً في العلم والدراية ، وعلى الرغم من ذلك فقد سقط في الهاوية ، وإليك ما يدل على ذلك في الآية :

أ : لفظ ( نبأ ) حاك عن أنّه كان خبراً عظيماً لا خبراً حقيراً.

ب : قوله : ( الذي آتينا آياتنا ) حاك عن إحاطته بالحجج والبيّنات وعلم الكتب السماوية.

ج : قوله : ( فانسلخ منها ) يدل على أن الآيات والعلوم الإلهية كانت تحيط به إحاطة الجلد بالبدن إلا أنّه خرج منها.

ويؤيد ذلك أنّه سبحانه يعبر عن التقوى باللباس ، ويقول : ( ولباس التقوى ذلك خير ) . (١)

د : قوله : ( فأتبعه الشيطان ) يدل على أن الشيطان كان آيساً من كفره وقد انقطعت صلته به ، لكنّه لما انسلخ من الآيات لحقه الشيطان واتبعه فأخذ يوسوس له كلّ يوم إلى أن جعله من الضالين.

إلى هنا تم تفسير الآية الأولى ، وأما الآية الثانية فهي تتضمن حقيقة قرآنية ، وهي أنّه سبحانه تبارك وتعالى كان قادراً على رفعه وتنزيهه وتقريبه إليه ، ولكنّه لم يشأ ، لأنّ مشيئته سبحانه لا تتعلق بمهذبة من أعرض عنه واتبع هواه ، إذ كيف يمكن تعلق مشيئته بمهذبة من أعرض عن الله وكذب آياته ، ولذلك يقول :

( وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا ) أي لرفعناه بتلك الآيات « ولكن ما شئنا » وليس

---

١ . الأعراف : ٢٦ .

ذلك للبخل منه سبحانه ، بل لفقدان الأرضية الصالحة ، لأنّه أخلد إلى الأرض ولصق بها ، وكأَنَّها كناية عن الميل والنزوع إلى التمتع بالملاذ الدنياوية ، ومعه كيف تشمله العناية الربانية .  
ثمّ إنّ سبحانه يشير إلى وجه آخر لعدم تعلّق مشيئته بمهاديته ، وهو أنّ هذا الإنسان بلغ في الضلالة والغواية مرحلة صارت سحوية وطبيعة له ، ومزج بها روحه ونفسه وفطرته ، فلا يصدر منه إلاّ التكذيب والإدبار عن آياته ، فلذلك لا يؤثّر فيه نصيحة ناصح ولا وعظ واعظ ، ولتقريب هذا الأمر نأتي بتمثيل في ضمن تمثيل ، ونقول :

( فَمَثَلَهُ كَمِثْلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمَلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ وَأَنْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ) ، وذلك لأنّ اللهث أثر طبيعي لسحيته فلا يمكن أن يخلّص نفسه منها .

هذا هو المشبه به ، وهو يعرب عن أنّ الهداية والضلالة بيد الله تبارك وتعالى ، وقد تعلّقت مشيئته بمهادية الناس بشرط أن تتوفر فيه أرضية خصبة تؤهله لتعلّق مشيئته تعالى به ، فمن أخلد إلى الأرض ولصق بها ، أي أخلد إلى المادة والماديات ، فلا تشمله الهداية الإلهية بل هو محكوم بالضلال لكن ضلالا اختياريا مكتسبا .

هذا هو حال المشبه به ، وقد عرفت أنّ التمثيل يتضمن تمثيلاً آخر .

وأما المشبه فقد اختلفت كلمة المفسرين فيه ، فرمما يقال : إن المراد أمية بن أبي الصلت الثقفي الشاعر ، وكانت قصته أنّه قرأ الكتب وعلم أنّ الله سبحانه يرسل رسولا في ذلك الوقت ، ورجا أن يكون هو ذلك الرسول ، فلمّا بعث سبحانه محمداً حسده ومّرّ على قتلى بدر فسأل عنهم ، فقيل : قتلوا في حريمهم مع النبي ، فقال : لو كان نبياً لما قتل أقرباءه ، وقد ذهب إلى الطائف ومات بها ، فأنت أخته

الفارعة إلى رسول الله ﷺ ، فسألها عن وفاته ، فذكرت له أنه أنشد عند موته :  
 كل عيش وإن تطاول دهرا      صائر مـرة إلى أن يزولا  
 صائر ليتني كنت قبل ما قد بدالي      في قالال الجبال أرعى الوعولا  
 إن يوم الحساب يوم عظيم      شاب فيه الصغير يوما ثقيلًا  
 ثم قال ﷺ لها أنشديني من شعر أخيك فأنشدت :  
 لك الحمد والنعماء والفضل ربنا      ولا شيء أعلى منك جاهًا وأجهد  
 ملك على عرش السماء مهيمن      لعزته تعبوا الوجوه وتسجد  
 ثم أنشدته قصيدته التي يقول فيها :  
 وقف الناس للحساب جميعا      فشقي معبذٌ وسعيد  
 والتي فيها :  
 عند ذي العرش تُعرضون عليه      يعلم الجهر والنيراء الخفيًا

يوم يأتي الرحمن وهو رحيم إنَّه كان وعده مأتياً  
رب إن تعف بالمعافاة ظني أو تُعاقب فلم تعاقب برياً  
فقال رسول الله ﷺ: « إنَّ أخاك آمن شعره ، وكفر قلبه » وأنزل الله تعالى الآية. (١)  
وقيل : إنَّه أبو عامر بن النعمان بن صيفي الراهب الذي سمَّاه النبي الفاسق ، وكان قد  
ترهب في الجاهلية ولبس المسوح ، فقدم المدينة ، فقال للنبي ﷺ : ما هذا الذي جئت به  
، قال : « جئت بالحنيفية دين إبراهيم » ، قال : فأنا عليها ، فقال ﷺ : « لست عليها  
ولكنك أدخلت فيها ما ليس منها » .

فقال أبو عامر : أمارت الله الكاذب منّا طريداً وحيداً ، فخرج إلى أهل الشام وأرسل إلى  
المنافقين أن استعدوا السلاح ، ثم أتى قيصر وأتى بجند ليخرج النبي ﷺ من المدينة ، فمات  
بالشام طريداً وحيداً .

والظاهر أنَّ المشبه ليس خصوص هذين الرجلين ، بل كما قال الإمام الباقر عليه السلام : «  
الأصل في ذلك بلعم ، ثم ضربه الله مثلاً لكل مؤثر هوأه على هدى الله من أهل القبلة » .  
(٢)

وفي الآية دلالة واضحة على أنَّ العبرة في معرفة عاقبة الإنسان هي أحوال حياته ، فرمما  
يكون مؤمناً في شبابه ويرتد عن الدين في شيخوخته وهممه ، فليس

---

١ . مجمع البيان : ٢ / ٤٩٩ . ٥٠٠ .

٢ . مجمع البيان : ٢ / ٥٠٠ .

صلاح الإنسان وفلاحه في عنفوان شبابه دليلاً على صلاحه ونجاته في آخر عمره.  
وبذلك يعلم أن ترضي القرآن عن المهاجرين والأنصار في قوله سبحانه : ( لَقَدْ رَضِيَ  
اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ  
فَتْحًا قَرِيبًا ) . (١)

ويؤيد ما ذكرناه أنه سبحانه حمدَّ ظرف الرضا بقوله : ( فِي يَابِغُونَكَ ) ولا يكون دليلاً  
على رضاه طيلة حياتهم ، فلو دلَّ دليل على زلة واحد منهم ، فيؤخذ بالثاني جمعاً بين  
الدليلين.

وقد يظهر مفاد قوله سبحانه : ( وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ  
اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ  
فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ) . (٢)

فإن الآية دليل على شمول رضى الله لهم ، فيؤخذ بالآية ما لم يدل دليل قطعي على  
خلافها ، فلو ثبت بدليل متواتر أو خبر محفوف بالقرينة ارتداد واحد منهم أو صدور معصية  
كبيرة أو صغيرة ، فيؤخذ بالثاني ، وليس بين الدليلين أي خلاف ، إذ ليس مقام صحابي أو  
تابعي أعلى من مقام ما جاء في هذه الآية ، أعني من آتاه الله سبحانه آياته وصار من  
العلماء الربانيين ولكن اتبع هواه فانسلخ عنها.

فما ربما يتراءى من إجماع غير واحد من المفسرين بهذه الآيات كلى عدالة كافة الصحابة  
فكأنها غفلة عن مفادها وإغماض عما صدر عن غير واحد من الصحابة من الموبقات  
والمعاصي والله العالم.

١. الفتح : ١٨ .

٢. التوبة : ١٠٠ .

## سورة التوبة

١٧

### التمثيل السابع عشر

( لَدُنِّي تَخَدُّوا لِيَ عِجْدًا ۖ يَرَا أَسْفَرًا بِعَثَافٍ ۗ يَنْفِرُهَا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَإِلَٰصَادًا لِّمَن حَبَّرَ ٱللَّهُ  
وَسَبُّوهُ مِن قَبْلِ وَلِيحِلْفِنًا لِإِٰرْوَءِنَا ۖ إِلَّا ٱلْحُسْبَىٰ ۗ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ \* لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا  
لَمَسْجِدَ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِن قَبْلِ يَوْمَ ٱلْحَقِّ ۖ تَقُومُ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ ٱلَّذِينَ يَتَطَهَّرُوا ۗ وَٱللَّهُ  
يُحِبُّ ٱلْمُطَهَّرِينَ \* أَفَمَن أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ مَّن أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ  
شَفَا جُرْفٍ هَارٍ فَٱتَّخَرَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّالِمِينَ ) .<sup>(١)</sup>

### تفسير الآيات

« الضرار » : هو إيجاد الضرر عن عناد.

« الإِرصاد » بمعنى الإعداد.

« البنيان » مصدر بنى.

و « التقوى » خصلة من الطاعة يحتز بها عن العقوبة ، والواو فيه مبدلة من الياء لأَنَّهَا  
من وقيت.

« شفا » : شفا البئر وغيره ، جُرْفَه ، ويضرب به المثل في القرب من الهلاك.

١ . التوبة : ١٠٧ - ١٠٩ .

« الجرف » جرف الوادي جانبه الذي يتحفر أصله بالماء ، وتجرفه السيول فيبقى واهياً .  
قال الراغب : يقال للمكان الذي يأكله السيل فيجرفه ، أي يذهب به ، جرف  
هار البناء وتهوّر : إذا سقط ، نحو : إنهار .

ذكر المفسرون ان بني عمرو بن عوف اتخذوا مسجد قباء ، وبعثوا إلى رسول الله  
ﷺ أن يأتيهم ، فأتاهم وصلى فيه ، فحسداهم جماعة من المنافقين من بني عُم بن عوف  
، فقالوا : نبني مسجداً فنصلي فيه ولا نحضر جماعة محمد وكانوا اثني عشر رجلاً ، وقيل  
خمسة عشر رجلاً ، منهم : ثعلبة بن حاطب ، ومعتب بن قشير ، ونبتل بن الحرث ، فبنوا  
مسجداً إلى جنب مسجد قباء ، فلمّا فرغوا منه ، أتوا رسول الله ﷺ وهو يتجهّز إلى  
تبوك .

فقالوا : يا رسول الله إنّنا قد بنينا مسجداً لذي العلة والحاجة والليله المطيرة والليله الشتيه  
وإنّا نحب أن تأتينا فتصلي فينا فيه لنا وتدعو بالبركه .

فقال ﷺ : « إني على جناح سفر ، ولو قدمنا أتيناكم إن شاء الله فصلينا لكم فيه »  
، فلمّا انصرف رسول الله ﷺ إلى تبوك نزلت عليه الآية في شأن المسجد .  
إنّ الآية تشير إلى الفرق الشاسع بين من بنى بنياناً على أساس محكم ، ومن بناه على  
شفا جرف ، فالأول يبقى عبر العصور ويحتفظ بكيانه في الحوادث المدمره ، بخلاف الثاني  
فإنّه سوف ينهار لا محاله بأدنى ضربه .

فالمؤمن هو الذي يعقد إيمانه على قاعدة محكمة وهو الحق الذي هو تقوى الله ورضوانه ،  
بخلاف المنافق فإنّه يبني إيمانه على أضعف القواعد وأرخاها وأقلها

بناءً وهو الباطل ، فإيمان المؤمن ودينه من مصاديق قوله : ( أَفَمَنْ أُسِّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَىٰ  
مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ ) ولكن دين المنافق كمن ( أُسِّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرْفٍ هَارٍ ) فلا محالة  
ينهار به في نار جهنم.

## سورة يونس

١٨

### التمثيل الثامن عشر

( إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ ۚ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرٌ نَبَأٌ لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ ۚ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ \*  
وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ )<sup>(١)</sup>.

### تفسير الآيات

قوله : ( فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ ) فلو قلنا بأنّ الباء للمصاحبة ، يكون معناه أي اختلط مع ذلك الماء نبات الأرض ، لأنّ المطر ينفذ في خلل النبات ، وإن كانت الباء للسببية يكون المراد أنّه اختلط بسبب الماء بعض النبات ببعض حيث إن الماء صار سببا لرشده والتفاف بعضه ببعض.

قوله : ( اِزَّيَّنَتْ ) أصله تزينت ، فادغمت التاء بالزاي وسكنت الزاي فاجلبت لها ألف الوصل.

فقوله : ( أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ ) تعبير رائع حيث جعلت

١ . يونس : ٢٤ . ٢٥ .

الارض آخذة زحرفها على التمثيل بالعروس إذا أخذت الثياب الفاخرة من كل لون فاكستتها وتزيّنت بغيرها من ألوان الزين.

قوله : ( **قادرين عليها** ) ، أي متمكنون من استثمارها والانتفاع بثبوتها.

قوله : ( **أتاها أمرنا** ) كناية عن نزول بعض الآفات على الجنات والمزارع حيث يجعلها « حصيدا » شبيها بما يحصد من الزرع في استأصاله.

قوله : ( **كأن لم تغن** ) بمنزلة قوله : كأن لم ينبت زرعها.

قوله : ( **دار السلام** ) فهو من أوصاف الجنة ، لأن أهلها سالمون من كل مكروه ، بخلاف المقام فاتّما دار البلاء.

هذا ما يرجع إلى تفسير مفردات الآية.

وأما تفسيرها الجملي ، فنقول :

نفترض أرضا خصبة راوية صالحة لغرس الأشجار وزرع النبات وقد قام صاحبها باستثمارها من خلال غرس كلّ ما ينبت فيها ، فلم يزل يتعاهدا بمياه الأمطار والسواقي ، فغدت روضة غنّاء مكتنظة بأشجار ونباتات متنوعة ، وصارت الأرض كأثما عروس تزيّنت وتبرجت ، وأهلها مزهوون بها يظنون أنّها يجهدهم ازدهرت ، وإبرادتهم تزيّنت وأنهم أصحاب الأمر لا ينازعهم فيها منازع. فيعقدون عليها آمالاً طويلة ، ولكن في خضم هذه الماروادات يباغتهم أمره سبحانه ليلاً أو نهاراً فيجعل الطري يابساً ، كأنّه لم يكن هناك أي جنة ولا روضة.

هذا هو المشبه به والله سبحانه يمثل الدنيا بهذا المثل ، وهو أنّ الإنسان ربما يغتر بالدنيا ويعوّل الكثير من الآمال عليها مع سرعة زوالها وفنائها ، وعدم ثباتها واستقرارها.

يقول مؤيد الدين الاصفهاني المعروف بالطبرسي في لاميته المعروفة بلامية العجم :  
ترجو البقاء بدار لا ثبات لها فهل سمعت بظل غير منتقل  
وقد أسماها سبحانه متاع الحياة الدنيا في مقابل الآخرة التي أسماها بدار السلام في الآية  
التالية ، وقال : ( الله يدعو إلى دار السلام ) .

ثم إنه يبدو من كلام الطبرسي أنّ هذا التمثيل من قبيل التمثيل المفرد ، فذكر أقوالاً :  
أحدها : أنه تعالى شبّه الحياة الدنيا بالماء فيما يكون به من الانتفاع ثم الانقطاع.  
وثانيها : إنه شبهها بالنبات على ما وصفه من الاغترار به ثم المصير إلى الزوال عن الجبائي  
وأبي مسلم .

وثالثها : إنه تعالى شبّه الحياة الدنيا بحياة مقدّرة على هذه الإصاف .<sup>(١)</sup>  
والحق أنّه من قبيل الاستعارة التمثيلية حيث يعبر عن عدم الاعتماد والاطمئنان بالدنيا بما  
جاء في المثل ، وإتّما اللائق بالاعتماد هو دار السلام الذي هو سلام على الإطلاق وليس  
فيها أي مكروه .

وقد قيّد سبحانه في الآية دار السلام ، بقوله : ( عند ربهم ) للدلالة على قرب  
الحضور وعدم غفلتهم عنه سبحانه هناك .  
ويأتي قريب من هذا المثل في سورة الكهف ، أعني : قوله :

---

١ . مجمع البيان : ٣ / ١٠٢ .

(ظ ن ب ° بُم مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ ° فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَّاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا ) .<sup>(١)</sup> وسيوافيك بيانها في محلها.

ويقرب من هذا ما في سورة الحديد ، قال سبحانه :

(عَلِمُوا أَنَّمَا أُحْيَا لَهُمْ دُنْيَا عَجَبٌ \* لَهُمْ رِيبَةٌ وَنِفَاحٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيحُ فَيَذَرُهُ مُجَصَّصًا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْعُرُورِ ) .<sup>(٢)</sup>

---

١ . الكهف : ٤٥ .

٢ . الحديد : ٢٠ .

## سورة هود

١٩

### التمثيل التاسع عشر

( إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ \* مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَىٰ وَالْأَصْمَىٰ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَبَلَا تَذَكَّرُونَ ) . (١)

### تفسير الآيات

يصور سبحانه الكافر كالأعمى والأصم ، والمؤمن بالبصير والسميع ، ثم ينفي التسوية بينهما . كما هو معلوم . غير ان هذا التمثيل يستقي مما وصف به سبحانه كلا الفريقين بأوصاف خاصة .

فقال في حق الكافر : ( مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ ) . (٢)  
والمراد كان لهم أسمعاً وأبصاراً ولكنهم لم يكونوا يستخدمونها في سماع الآيات ورؤية الحقائق ، فنفي الاستطاعة كناية عن عدم استخدام الأسمع ، كما أن نفي الأبصار كناية عنه .

ثم إنه سبحانه وصف المؤمن في الآية التالية بأوصاف ثلاثة :

١ . هود : ٢٣ - ٢٤ .

٢ . هود : ٢٠ .

أ : الإيمان بالله.

ب : العمل الصالح.

ج : التسليم إلى الله حيث قال : ( وَأَخْبِتُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ ) .

فالمؤمن الصالح ثمرة من شجرة الإيمان كما ان التسليم والانقياد والخضوع والاطمئنان لما وعد الله من آثاره أيضا.

فالمؤمن هو الذي يسمع آياته ويبصرها في سبيل ترسيخ الإيمان في قلبه واثماره.

ثم إنه مثل الكافر والمؤمن بالتمثيل التالي ، وقال : ( مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصْمِ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ) .

أي مثل فريق المسلمين كالبصير والسميع . ومثل فريق الكافرين كالأعمى والأصم ، لأنّ المؤمن ينتفع بحواسه بأعمالها في معرفة المنعم وصفاته وأفعاله ، والكافر لا ينتفع بها فصارت بمنزلة المدومة .

ثم إنه وصف الوضع بين الأعمى والأصم كما وصفها بين البصير والسميع ، وذلك لإفادة تعدد التشبيه بمعنى :

أن حال الكافر كحال الأعمى .

وحال الكافر أيضا كحال الأصم .

كما أن حال المؤمن كالبصير .

وحاله أيضا كالسميع .

وحاصل الكلام : أنه لا يستوي البصير والسميع مع الأعمى والأصم ، والمؤمن والكافر أيضا لا يستويان .

## سورة الرعد

٢٠

### التمثيل العشرون

(لَهُ عَوْدَةُ الْحَقِّ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُ وَسَبَّحْتَ لِمَنْ يُشِئُ إِلَّا كِبَاسِنَطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ). (١)

#### تفسير الآية

تقدم الظرف في قوله: ( لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ ) لأجل إفادة الحصر ، ويؤيده ما بعده من نفي الدعوة عن غيره.

كما أنّ إضافة الدعوة إلى الحقّ من قبيل إضافة الموصوف إلى الصفة ، أي الدعوة الحقّة له ، لأنّ الدعوة عبارة عن توجيه نظر المدعو إلى الداعي ، والإجابة عبارة عن إقبال المدعو إليه ، وكلا الأمرين يختصان بالله عز اسمه. وأما غيره فلا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا. وعند ذلك . كيف يمكن أن يجيب دعوة الداعي.

فالنتيجة أنّ الدعوة الحقّة التي تستعقبها الإجابة هي لله تبارك وتعالى ، فهو حي لا يموت ، ومريد غير مكره ، قادر على كلّ شيء ، غني عمّن سواه.

---

١ - الرعد : ١٤ .

وبذلك يعلم أن الدعوة على قسمين : دعوة حقّة ودعوة باطلة ، فالحقّة لله ودعوة غيره دعوة باطلة ، أمّا لأنّه لا يسمع ولا يريد ، أو يسمع ولا يقدر. وأشار إلى القسم الباطل بقوله : ( **مَلَّذِينَ يَدُونَنَّهُ وَنُهُ سَتَجِدُنَ إِيمَ بِشِيءٍ** ) ، وقد عرفت وجه عدم الاستجابة.

ثمّ إنّ سبحانه استثنى صورة واحدة من عدم الاستجابة ، لكنّه استثناء صوري وهو في الحقيقة تأكيد لعدم الاستجابة ، وقال : ( **إِلَّا كَبَّاسِطَ كَفَيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ** ).

فدعوة الأصنام والأوثان وطلب الحاجة منهم ، أشبه بحال الظمآن البعيد من الماء كالجالس على حافة البئر والباسط كفه داخل البئر ليلبغ الماء فاه ، مع البون البعيد بينه وبين الماء.

قال الطبرسي : هذا مثل ضربه الله لكلّ من عبد غير الله ودعا رجاء أن ينفعه ، فإنّ مثله كمثل رجل بسط كفيه إلى الماء من مكان بعيد ليتناوله ويسكن به غلته ، وذلك الماء لا يبلغ فاه لبعده المسافة بينهما ، فكذلك ما كان يعبده المشركون من الأصنام لا يصل نفعها إليهم ولا يستجيب دعاءهم. <sup>(١)</sup>

وربما تفسّر الآية بوجه آخر ، ويقال : لا يستجيبون إلا استجابة الماء لمن بسط كفيه إليه يطلب منه أن يبلغ فاه والماء جماد لا يشعر ببسط كفيه ولا بعطشه وحاجته إليه ولا يقدر أن يجيب دعاءه ويبلغ فاه ، وكذلك ما يدعونه جماد لا يحس بدعائهم ولا يستطيع إجابتهم ولا يقدر على نفعهم. <sup>(٢)</sup>

والظاهر رجحان الوجه الأوّل ، لأنّ الآلهة بين جماد لا يشعر أو ملك أو جن

١. مجمع البيان : ٣ / ٢٨٤.

٢. الكشف : ٢ / ١٦٢.

أو روح يشعر ولكن لا يملك شيئاً ، فهذا الوجه يختص بما إذا كان الإله جماداً لا غير .  
ثم إنّه سبحانه يقول في ذيل الآية : ( وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ) ، فإنّ  
الضلال عبارة عن الخروج عن الطريق وسلوك ما لا يوصل إلى المطلوب ، ودعاء غيره خروج  
عن الطريق الموصل إلى المطلوب ، لأنّ الغاية من الدعاء هو إيجاد التوجّه ثمّ الإجابة ، فالآلهة  
الكاذبة إمّا فاقدة للتوجّه ، وإمّا غير قادرة على الاستجابة ، فأبي ضلال أوضح من ذلك .

## سورة الرعد

٢١

### التمثيل الواحد والعشرون

( أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حُلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلِهِ كَذَلِكَ يُضْرَبُ اللَّهُ الْحَقِّقَ لِبَطْطِلٍ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَمَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ) .<sup>(١)</sup>

### تفسير الآية

« الوادي » : سفح الجبل العظيم ، المنخفض الذي يجتمع فيه ماء المطر ، ولعل منه اشتقاق الدية ، لأنه جمع المال العظيم الذي يؤدي عن القتل.

« القدر » : اقتران الشيء بغيره دون زيادة أو نقصان ، فإذا كانا متساويين فهو القدر ، والقدرُ والقَدْرُ لغتان مثل الشَّبر والشَّبرِ .

والاحتمال : رفع الشيء على الظهر بقوة الحامل .

و « الزيد » : هو خبث الغليان ومنه زيد القدر وزيد السيل .

و « الجفاء » ممدودا يقال : أجفأت القدر بزبدها ، إذا ألقَتْ زبدها .

و « الإيقاد » : إلقاء الحطب في النار .

---

١ . الرعد : ١٧ .

« والمتاع » ما تمتّع به .

و « الحق » في اللغة هو الأمر الثابت ويقابله الباطل ، فالأول بمفهومه الواسع يشمل كلّ موجود أو ناموس ثابت لا يطرأ عليه التحول والتبدل حتى أن القوانين الرياضية والهندسية وكثير من المفاهيم الطبيعية إذا كانت على درجة كبيرة من الثبات فهي حق لا غبار عليها .  
و « المكث » : الكون في المكان عبر الزمان .

إذا عرفت ذلك ، فاعلم أنّ الآية تمثل للحق والباطل مثلاً واحداً يستبطن تمثيلات متعددة :

الأوّل : ان السيل المتدفق من أعالي الجبال الجاري في الوديان يحمل معه في سيره زبدا رابيا عليه ، فالحقّ كماء السيل والباطل الزيد الطافح عليه .

الثاني : إنّ المعادن والفلزات المذابة في القدر إذا أوقدت عليها النار ، تذاب ويعلو عليها الخبث ، فالغاية من الإذابة هو فصل المعادن والفلزات النفيسة عن خبثها وزبدها .

وعندئذ فالحق كالذهب والفضة والمعادن النفيسة والباطل كخبثها وزبدها الطافح .

الثالث : ان ما له دوام وبقاء ومكث وينتفع به الناس كالماء وما يتخذ للحلية أو المتاع يمثّل الحق ، وما ليس كذلك كزبد السيل وخبث القدر الذي يذهب جفاءً يمثّل الباطل .

وأما التفصيل فإليك توضيح الآية :

( أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ ) الواقعة في محل الأمطار المختلفة في

السعة والضيق ، والكبر والصغر ( بقدرها ) أي كلّ يأخذ بقدره ، ففيضه سبحانه عام لا يحدد وإتّما التحديد في الآخذ ، فكلّ يأخذ بقدره وحده ، فقدر النبات يختلف عن قدر الحيوان ، وهو عن الإنسان ، فكلّ ما يفاض عليه الوجود إنّما هو بقدر قابليته ، كما أنّ السيل المنحدر من أعالي الجبال مطلق غير محدد ، ولكن يستوعب كل وادٍ من ماء السيل بقدر قابليته وظرفيته .

( فَأَحْتَمَلِ السَّيْلُ زَيْدًا رَابِعًا ) أي طافيا عاليا فوق الماء .

إلى هنا تمّت الإشارة إلى التمثيل الأوّ .

ثم إنّ الزيد لا ينحصر بالسيل الجارف بل يوجد طافيا على سطح أنواع الفلزات والمعادن المذابة التي تصاغ منها الحلبي للزينة والأمتعة ، كما قال سبحانه ( وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حَلِيبٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلَهُ ) .

إلى هنا تمّت الإشارة إلى التمثيل الثاني ، كما قال : ( كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ ) أي كذلك يوصف الحقّ والباطل ليأخذ طريقه بين الناس ، ثمّ أشار إلى التمثيل الثالث وهو ان من سمات الحق بقاءه وانتفاع الناس به ( فَأَمَّا الزَبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً ) حيث إنّ زيد السيل وزيد ما يوقدون عليه ينطفئ بعد مدة قصيرة كأن لم يكن شيئا مذكورا فيذهب جفاء باطلا متلاشيا .

( وَمِمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فِيمَكِّثُ فِي الْأَرْضِ ) فان الماء الخالص أو المعادن الخالصة التي فيها انتفاع الناس يمكث في الأرض .

ثمّ إنّ سبحانه ختم الآية بقوله : ( كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ) وقد مر في المقدمات معنى ضرب المثل ، وقلنا أنّ المراد هو وصف حال المشبه وبيانه .

هذا ما يرجع إلى تفسير ظاهر الآية ، لكن الآية من غرر الآيات القرآنية التي

تبحث عن طبيعة الحقّ والباطل وتكوّنهما وكيفية ظهورهما والآثار المترتبة عليهما ، ولا بأس بالإشارة إلى ما يمكن الاستفادة من الآية.

١. أنّ الإيمان والكفر من أظهر مصاديق الحق والباطل ، ففي ظل الإيمان بالله تبارك وتعالى حياة للمجتمع وإحياء للعدل ، والعواطف الإنسانية ، فالأمة التي لم تنل حظها من الإيمان يسودها الظلم والأنانية وانفراط الأواصر الإنسانية التي تعصف بالمجتمع الإنساني إلى الهاوية.

٢. أنّ الزيد أشبه بالحجاب الذي يستر وجه الحقّ مدة قصيرة ، فسرعان ما يزول وينطفئ ويظهر وجه الحقيقة أي الماء والفلزات النافعة.

فهكذا الباطل ربما يستر وجه الحقيقة من خلال الدعايات المغرضة ، ولكنّه لا يمكن طويلاً فيزول كما يزول الزيد ، يقول سبحانه : ( وَقِيلَ جَاءَ الْحَقُّ وَوَهَبَ الْبَاطِلُ لِنِيبِ الْبَاطِلِ كَان زَهُوقًا ) .<sup>(١)</sup>

وقال تعالى : ( وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُجِئُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ ) .<sup>(٢)</sup>

٣. أنّ الماء والفلزات منبع البركات والخيرات له ، والزيد حث لا ينتفع منه ، فهكذا الحق والباطل ، فما هو الحقّ كالإيمان والعدل ينتفع به الناس ، وأمّا الباطل كالكفر والظلم لا ينتفع منه الناس.

٤. أنّ الماء فيض مادي يفيضه الله سبحانه إلى السماء على الوديان والصحاري ، فكل يأخذ بمقدار سعته ، فالوادي الكبير يستوعب ماء كثيراً بخلاف الوادي الصغير فلا يستوعب سوى قليلا من الماء وهكذا الحال في الأرواح والنفوس فكل نفس تنال حظها من المعارف الإلهية حسب قابليتها ، فهناك نفس

١. الإساءة : ٨١ .

٢. الشورى : ٢٤ .

كعرش الرحمن ونفس أخرى من الضيق بمكان يقول سبحانه : ( **وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ أَطْوَارًا** ) .  
وفي الحديث النبوي : « الناس معادن كمعادن الذهب والفضة » .<sup>(١)</sup>  
وقال أمير المؤمنين **عليه السلام** لكميل : « إن هذه القلوب أوعية وخيرها أوعاها » .<sup>(٢)</sup>  
فالمعارف الإلهية كالسيل المتدفق والقلوب كالأودية المختلفة .  
ويمكن أن يكون قوله ( **بقدرها** ) إشارة إلى نكتة أخرى ، وهي أنّ الماء المتدفق هو ماء الحياة الذي ينبت به الزرع والأشجار المثمرة في الأراضي الخصبة . دون الأراضي السبخة التي لا ينبت فيها إلا الأشواك .  
٥ . ان الماء يمكث في الأرض وينفذ في أعماقها ويبقى عبر القرون حتى ينتفع به الناس من خلال استخراجة ، فهكذا الحقّ فهو ثابت لا يزول ، ودائم لا يضمحل ، على طرف النقيض من الباطل ، فللحقّ دولة وللباطل جولة .  
٦ . أنّ الباطل ينجلي بأشكال مختلفة ، كما أنّ الزبد يطفو فوق الماء والمعدن المذاب بأنحاء مختلفة ، فالحقّ واحد وله وجه واحد ، أمّا الباطل فله وجوه مختلفة حسب بعده من الحقّ وتضادّه معه .  
٧ . أنّ الباطل في وجوده رهن وجود الحقّ ، فلولا الماء لما كان هناك زبد ، فالآراء والعقائد الباطلة تستمد مقوماتها من العقائد الحقّة من خلال إيجاد تحريف في أركانها وتزييفها ، فلو لم يكن للحقّ دولة لما كان للباطل جولة ، وإليه يشير سبحانه : ( **فَأَخْتَمَلِ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا** ) .

١ . بحار الأنوار : ٤ / ٤٠٥ .

٢ . نهج البلاغة : قسم الحكم ، برقم ١٢٧ .

٨. أنّ في تشبيه الحقّ بالماء والباطل بالزبد إشارة لطيفة إلى أنّ الباطل كالزبد ، فكما أنّه ينعقد في الماء الذي له هيجان واضطراب والذي لا يجري على منوال هادئ ، فهكذا الباطل إنّما يظهر في الإضّاع المضطربة التي لا يسودها أي نظام أو قانون.

٩. أنّ حركة الباطل وإن كانت مؤقتة إنّما هي في ظل حركة الحقّ ونفوذه في القلوب ، فالباطل يركب أمواج الحق بغية الوصول إلى أهدافه ، كما أنّ الزبد يركب أمواج الماء ليحتفظ بوجوده.

١٠. أنّ الباطل بما أنّه ليس له حظ في الحقيقة ، فلو خلص من الحقيقة فليس بإمكانه أن يظهر نفسه ، ولو في فترة قصيرة ، ولكنّه يتوسم من خلال مزجه بالحقّ حتى يمكن له الظهور في المجتمع ، ولذلك فالزبد يتكون من أجزاء مائية ، فلو خلص منها لبطل ، فهكذا الباطل في الآراء والعقائد.

قال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام :

« فلو أنّ الباطل خلص من مزاج الحق لم يخف على المرتادين ، ولو أنّ الحقّ خلص من لبس الباطل انقطعت عنه ألسن المعاندين ، ولكن يؤخذ من هذا ضعف ، ومن هذا ضعف فيمزجان ، فهناك يستولي الشيطان على أوليائه وينجو الذين سبقت لهم من الله الحسنى .»<sup>(١)</sup>

ثم إن بعض من كتب في أمثال القرآن جعل قوله سبحانه : ( **مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ**

١. نهج البلاغة ، الخطبة ٤٩ .

اتَّقُوا وَعُمَّيَ الْكَافِرِينَ النَّارَ) .<sup>(١)</sup> من الأمثال.

ولكن الظاهر أنه ليس من باب التمثيل ، لأنه فرع وجود مشبه ومشبه به مع أنّ الآية هي بصدد بيان جزاء المتقين والكافرين ، فقال : إن جزاء المتقين هو أنهم يسكنون الجنة التي تجري من تحتها الأنهار وأكلها وظلها دائم.

وهذا بخلاف الكافرين فإنّ عقابهم النار ، وليست هاهنا أمور أربعة بل لا تتجاوز الاثنین ، وعلى ذلك فيكون المثل بمعنى الوصف ، أي حال الجنة ووصفها التي وعد المتقون هو هذا.

نعم ذكر الطبرسي وجهاً ربما يصح به عدّ الآية مثلاً ، فلاحظ.<sup>(٢)</sup>

---

١ . الرعد : ٣٥ .

٢ . مجمع البيان : ٣ / ٢٩٦ .

## سورة إبراهيم

٢٢

### التمثيل الثاني والعشرون

( مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ البَعِيدُ ) .<sup>(١)</sup>

#### تفسير الآية

« العصف » : شدة الريح ، يوم عاصف أي شديد الريح ، وإنما جعل العصف صفة لليوم مع أنه صفة للريح لأجل المبالغة ، وكأنّ عصف الريح صار بمنزلة جعل اليوم عاصفاً ، كما يقال : ليل غائم ويوم ماطر .

أنه سبحانه يشبه عمل الكافرين في عدم الانتفاع به برماد في مهب الريح العاصف ، فكما لا يقدر أحد على جمع ذلك الرماد المتفرق ، فكذلك هؤلاء الكفار لا يقدرون مما كسبوا على شيء فلا ينتفعون بأعمالهم البتة .

وقال سبحانه في آية أخرى : ( وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِن عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا ) .<sup>(٢)</sup>

والمراد من أعمالهم ما يعد صالحاً في نظر العرف كصلة الأرحام وعتق الرقاب

١ - إبراهيم : ١٨ .

٢ - الفرقان : ٢٣ .

وفداء الأسارى وإغاثة المهوفين ، لأنهم بنوا أعمالهم على غير معرفة الله والإيمان به فلا يستحقون شيئاً عليه .

وأما الأعمال التي تعد من المعاصي الموبقة ، فهي خارجة عن مصب الآية لوضوح حكمها.والآية دليل على أنّ الكافر لا يثاب بأعماله الصالحة يوم القيامة إذا أتى بها لغير وجه الله .

نعم لو أتى بها طلباً لرضاه ورضوانه فلا غرو في أن يثاب به ويكون سبباً لتخفيف العذاب .

## سورة إبراهيم

٢٣

### التمثيل الثالث والعشرون

( لَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ \* تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضُرُّ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ) .<sup>(١)</sup>

#### تفسير الآيات

إنه سبحانه تبارك وتعالى مثل للحق والباطل ، أو الكفر والإيمان بتمثيلات مختلفة ، وقد جاء التمثيل في هذه الآية بأن مثل الإيمان كشجرة لها الصفات التالية :

أ : أمها طيبة : أي طاهرة ونظيفة في مقابل الخبيثة ، فإن الشجر على قسمين : منها ما هو طيب الثمار كالتين والنخل والزيتون وغيرها ، ومنها ما هو خبيث الثمار كالخنظل .

ب : أصلها ثابت ، أي لها جذور راسخة في أعماق الأرض لا تززعها العواصف الهوجاء ولا الأمواج العاتية .

ج : فرعها في السماء ، أي لها أغصان مرتفعة ، فهي بجذورها الراسخة تحتفظ بأصلها وبنفروعها في السماء وتنتفع من نور الشمس والهواء والماء .

---

١ - إبراهيم : ٢٤ - ٢٥ .

وهذه الفروع والأغصان من الكثرة بحيث لا يزاحم أحدها الآخر ، كما أنّها لا تتلوث بما على سطح الأرض.

د : ( تعطى أكلها كل حين ) أي في كلّ فصل وزمان ، لا بمعنى كلّ يوم وكل شهر حتى يقال بأنّه ليس على وجه البسيطة شجرة مثمرة من هذا النوع. وعبارة أخرى : أنّ مثل هذه الشجرة لا تبخس في عطائها ، بل هي دائمة الأثمار في كل وقت ووقته الله لا ثمارها.

هذا حال المشبه به ، وأمّا حال المشبه ، فقد اختلفت كلمتهم إلى أقوال لا يدعمها الدليل ، والظاهر أنّ المراد من المشبه هو الاعتقاد الحقّ الثابت ، أعني التوحيد والعدل وما يلازمهما من القول بالمعاد.

فهذه عقيدة ثابتة طيبة لا يشوبها شيء من الشرك والضلال ولها ثمارها في الحياتين. والذي يدل على ذلك هو أنّه سبحانه ذكر في الآية التالية ، قوله : ( يُنَبِّئُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ )<sup>(١)</sup> ، وهذا القول الثابت عبارة عن العقيدة الصالحة التي تمثلها كلمة التوحيد والشهادة بالمعاد وغيرهما ، قال السيد الطباطبائي : القول بالوحدانية والاستقامة عليه ، هو حقّ القول الذي له أصل ثابت محفوظ عن كلّ تغير وزوال وبطلان ، وهو الله عزّ اسمه أو أرض الحقائق ، وله فروع نشأت ونمت من غير عائق يعوقه عن ذلك من عقائد حقة فرعية وأخلاق زاكية وأعمال صالحة يجيا بها المؤمن حياته الطيبة ويعمر بها العالم الإنساني حق

---

١ - إبراهيم : ٢٧ .

عمارته ، وهي التي تلائم سير النظام الكوني الذي أدى إلى ظهور الإنسان بوجوده المنظور على الاعتقاد الحق والعمل الصالح. <sup>(١)</sup>

ثم إنه سبحانه ختم الآية بقوله : ( وَيُضَيِّرُ اللهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ) ، أي ليرجعوا إلى فطرتهم فيتحققوا من أن السعادة رهن الاعتقاد الصحيح المثمر في الحياتين.

وبذلك يعلم ان ما ذكره بعض المفسرين بأن المراد كلمة التوحيد لا يخالف ما ذكرنا ، لأن المراد هو التمثل بكلمة التوحيد لا التلفظ بها وحده حتى أن قوله سبحانه : ( لِلَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ) <sup>(٢)</sup> يراد منه التحقق بقوله ( رَبُّنَا اللهُ ) لا التلفظ بها ، وقد أشار سبحانه إلى العقيدة الصحيحة ، بقوله : ( إِلَيْهِ يَصْبَعُ الْكَلِمَ الطَّيِّبَ وَالْعَمَلُ الصَّالِحَ يَرْفَعُهُ ) <sup>(٣)</sup>.

فالكلم الطيب هو العقيدة ، والعمل الصالح يرفع تلك العقيدة.

وبذلك يعلم أن كل عقيدة صحيحة لها جذور في القلوب ، ولها فروع وأغصان في حياة الإنسان وهذه الفروع ثمار ، فالاعتقاد بالواجب العادل الحكيم المعيد للإنسان بعد الموت يورث الثبت في الحياة والاجتناب عن الظلم والعبث والفساد إلى غير ذلك من العقائد الصالحة التي لها فروع.

إلى هنا تم المثل الأوّل للمؤمن والكافر أو للإيمان والكفر.

١. الميزان : ١٢ / ٥٢.

٢. الأحقاف : ١٣.

٣. فاطر : ١٠.

وربما يقال : الرجال العظام من المؤمنين هم كلمة الله الطيبة ، وحياتهم أصل البركة ، ودعوتهم توجب الحركة ، آثارهم وكلماتهم وأقوالهم وكتبهم وتلاميذهم وتاريخهم ... وحتى قبورهم جميعها ملهمة وحيّة ومريّة.

ولكن سياق الآيات لا يؤيده ، لأنّه سبحانه يفسر الكلمة الطيبة بما عرفت ، أعني قوله : ( يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ) .

والمراد من القول الثابت هو الكلمة الطيبة ، وقلب المؤمن هو الأرض الطيبة التي ترسخ فيها جذور تلك الشجرة.

## سورة إبراهيم

٢٤

### التمثيل الرابع و العشرون

( وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ ) .<sup>(١)</sup>

#### تفسير الآية

مثّل سبحانه تبارك وتعالى للعقيدة الصالحة بالمثل السابق ومقتضى الحال أن يمثل للعقيدة الباطلة ب ضد المثل السابق ، فهي على طرف النقيض مما ذكر في الآية السابقة ، وإليك البيان :

فالكفر كشجرة لها هذه الأوصاف :

أ : أنّها خبيثة مقابلة الطيبة ، أي لا يطيب ثمارها كشجرة الحنظل .

ب : ( اجتثت من فوق الأرض ) في مقابل قوله ( أصلها ثابت ) وحقيقة الاجتثاث

هي اقتلاع الشيء من أصله ، أي اقتطعت واستؤصلت واقتلعت جذورها من الأرض .

ج : ( ما لها من قرار ) أي ليس لتلك الشجرة من ثبات ، فالريح تنسفها وتذهب بها

، وبالتالي ليس لها فروع وأغصان أو ثمار .

---

١ - إبراهيم : ٢٦ .

هذا هو المشبه به ، وأما المشبه فهو عبارة عن العقيدة الضالة الكافرة التي لا تعتمد على برهان ولا دليل ، يزعمها أدنى شبهة وشك.

فينطبق صدر الآية التالية على التمثيل الأول ، وذيله على التمثيل التالي ، أعني : قوله :  
( يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ) هذا هو المنطبق على التمثيل الأوّل

وأما المنطبق على التمثيل الثاني فهو قوله : ( وَيُضِلُّ اللهُ الظالمين ويفعل الله ما يشاء ) أي يضل أهل الكتاب مجرماتهم من الهداية ، وذلك لأجل قصورهم في الاستفادة عن الهداية العامة التي هي متوفرة لكل إنسان ، أعني : الفطرة ودعوة الأنبياء .  
وقوله : ( يفعل الله ما يشاء ) بمعنى أنه تعلقت مشيئته بتثبيت المؤمنين وتأييدهم وإضلال الظالمين وحذلائهم ، ولم تكن مشيئته عبثاً وإنما نابعة من حكمة بالغة.

## سورة إبراهيم

٢٥

### التمثيل الخامس والعشرون

( أَلَدْرِ لَقَلَّ - وَوم أَنَّهُمْ لَعَلَبُ مُيَمُولُ لَدِينِ - لَمُوا بِمَا خَرَّبُوا إِلَى جَلِّ رَبِّكَ - أُبِ  
دَعْوَتِكَ وَتَبَّ لِمِثْلٍ - وَ - تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلِ مَا لَكُمْ مِنْ زَالٍ \* وَسَبَّكْتُمْ فِي مَسَاكِينِ  
الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ \* وَقَدْ مَكَرُوا مَكَرَهُمْ  
وَعِنْدَ اللَّهِ مَكَرُهُمْ مُبِينٌ - كَانَ مَكَرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ ) .<sup>(١)</sup>

### تفسير الآيات

إن الآية تمثل حال قوم شاهدوا نزول جزء من العذاب والبلاء فعادوا يظهرن الندم على أعمالهم البغيضة ويطلبون الإمهال حتى يتلافوا ما فاتهم من الإيمان والعمل الصالح ، كما يحكي عنه سبحانه ، ويقول : ( وأنذر الناس يوم يأتيهم العذاب ) أي مشاهدة نزول العذاب في الدنيا بشهادة استمهالهم ، كما في قوله تعالى : ( فيقول الذين ظلموا ربنا أخرنا إلى أجل قريب نجب دعوتك وتبعب الرسل ) .

فيرد دعوتهم بأن هذا الطلب ليس طلباً صادقاً وإنما ألجأهم إليه رؤية

١ - إبراهيم : ٤٤ - ٤٦ .

العذاب .

فيخاطبهم سبحانه بقوله : ( أو لم تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم من زوال ) .  
وعلى ما ذكرنا يكون مفاد الآية : حلفتكم قبل نزول العذاب بأنه ليس لكم زوال من  
الراحة إلى العذاب ، وضمنتم انكم بما تمتلكون من القوة والسطوة أمة خالدة مالكة لزمان  
الأمور ، فلماذا تستمهلون ؟ ثم يخاطبهم بجواب آخر وهو قوله : ( وسكنتم في مساكن  
الذين ظلموا أنفسهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم وضربنا لكم الأمثال ) أي سكنتم ديار من  
كذب الرسل فأهلكهم الله وعرفتم ما نزل بهم من البلاء والهلاك والعذاب كقوم عاد وثمود ،  
وضربنا لكم الأمثال وأخبرناكم بأحوال الماضين ليعتبروا فلم تتعظوا .  
وعلى ذلك فالمشبه به هو حال الأمم الهالكة بأفعالهم الظالمة .  
والمشبه هو الأمم اللاحقة لهم الذين رأوا العذاب فاستمهلوا الأجل وندموا ولات حين  
مناص .

## النحل

٢٦

### التمثيل السادس والعشرون

( وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصيباً مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ تَاللَّهِ لَتَسْأَلَنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَفْتَرُونَ \* وَيَجْعَلُونَ لِبَيْتِكَ مِحْرَاباً لَّهُمْ مَا يَشْتَهُونَ \* وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوِراً وَهُوَ كَظِيمٌ \* يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيَسْكُرُ عَلَىٰ هَبُونِ لَمْ يَدْسُهُ فِي التُّرَابِ إِلَّا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ \* لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ) .  
(١)

### تفسير الآيات

إن الله سبحانه هو الواجب الغني عن كل من سواه ، قال سبحانه : ( يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ) (٢) فلا يصح وصفه بما يستشتم منه الفقر والحاجة ، لكن المشركين غير العارفين بالله كانوا يصفونه بصفات فيها وصمة الفقر والحاجة ، وقد حكاها سبحانه في غير واحد من الآيات ، فقال : ( وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِثْلًا رَأً أَنْ الْحَيِّرُ وَلَا نِعَامٌ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا اللَّهُ بَرَعَمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ) . (٣)

١. النحل : ٥٦ . ٦٠ .

٢. فاطر : ١٥ .

٣. الأنعام : ١٣٦ .

فقد أخطأوا في أمرين :

أ : فرز نصيب الله من الحرث والأنعام ، وكأته سبحانه فقير يجعلون له نصيباً مما يحرثون ويرثون من أنعامهم .

ب : الجور في التقسيم والقضاء ، فيعطون ما لله إلى الشركاء دون العكس ، وما هذا إلا لجهلهم بمنزلته سبحانه وأسمائه وصفاته .

وقد أشار إلى ما جاء تفصيله في سورة الأنعام على وجه موجز في المقام ، وقال : ( وَجَعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَفَعْنَا لَهُمْ تَاللَّهِ لَتَسْتَأْذِنَنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَفْتَرُونَ ) .

ونظير ما سبق أنهم كانوا يبغضون البنات ويجعلونها لله ، ويجبون البنين ويجعلونهم لأنفسهم ، وإليه يشير سبحانه بقوله : ( يَجْعَلُونَ لِبَيْتِهِ حُجَّةً لَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ ) والمراد من الموصول في ( ما يشتهون ) هو البنون ، وبذلك تبين معنى قوله سبحانه : ( لِلْبَنِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مِثْلُ الْسُّوءِ ) أي ان المشركين المنكرين للآخرة يصفونه سبحانه بصفات السوء التي يستقبحها العقل ويدمها ، وقد عرفت كيفية وصفهم له فوصفوه عند التحليل بالفقر والحاجة والنقص والإمكان ، والله سبحانه هو الغني المطلق ، فهو أعلى من أن يوصف بأمثال السوء ، ولكن الموحد يصفه بالكمال كالحياة والعلم والقدرة والعزة والعظمة والكبرياء ، والله سبحانه عند المؤمنين ( هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُبِينُ مِنَ الْمُهَيَّبِينَ الْعَزِيزِ الْجَبَّارِ الْمُتَكَبِّرِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ \* هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ) (١) ويقول سبحانه : ( وَهُوَ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي

١ . الحشر : ٢٣ . ٢٤ .

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ (١) وقال : ( لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ) . (٢)

ومنه يظهر جواب سؤال طرحه الطبرسي في « مجمع البيان » ، وقال : كيف يمكن الجمع بين قوله سبحانه ( وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى ) وقوله : ( فَلَا تَضْبِرُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ لِلَّهِ يَعْزَمُ وَنُتْمَ لَا تَعْلَمُونَ ) . (٣)

والجواب ان المراد من ضرب الأمثال هو وصفه بما يدل على فقره وحاجته أو تشبيهه بأشياء مادية ، وقد تقدم أنّ المشركين جعلوا له نصيباً من الحرث والأنعام ، كما جعلوا الملائكة بناتاً له ، يقول سبحانه : ( وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا ) ، (٤) ويقول سبحانه : ( جَعَلُوا آيَاتِهِ يُنْفِرُ الْجِنَّةَ نَسْبًا ) . (٥) إلى غير ذلك من الصفات التي يتنزه عنها سبحانه ، فهذا النوع من التمثيل أمر محظور ، وهو المراد من قوله ( فَلَا تَضْبِرُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ ) .

وأما التمثيل لله سبحانه بما يناسبه كالعزّ والكبرياء والعلم والقدرة إلى غير ذلك ، فقد أحاب عليه القرآن ولم ير فيه منعاً وحظراً ، بشهادة أنّه سبحانه بعد هذا الحظر أتى بتمثيلين لنفسه ، كما سيتضح في التمثيل الآتي .

وربما يذكر في الجواب بأن الأمثال في الآية جمع « المثل » بمعنى « الند » ، فوزان قوله ( لا تضربوا لله الأمثال ) كوزان قوله : ( فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْهَادًا ) (٦) ، ولكنّه معنى بعيد ، فإنّ المثل بفتح العين يستعمل مع الضرب ، دون المثل بسكون

١ - الروم : ٢٧ .

٢ - طه : ٨ .

٣ - النحل : ٧٤ .

٤ - الزخرف : ١٩ .

٥ - الصافات : ١٥٨ .

٦ - البقرة : ٢٢ .

العين بمعنى الند فلم يشاهد اقتترانه بكلمة الضرب.

ويقرب ممّا ذكرنا كلام الشيخ الطبرسي حيث يقول :

إنّ المراد بالأمثال الأشباه ، أي لا تشبّهوا الله بشيء ، والمراد بالمثل الأعلى هنا الوصف الأعلى الذي هو كونه قديما قادرا عالما حيا ليس كمثله شيء.

وقيل إن المراد بقوله : ( المثل الأعلى ) : المثل المضروب بالحق ، وبقوله : ( فلا

تضربوا لله الأمثال ) : الأمثال المضروبة بالباطل.<sup>(١)</sup>

وفي الختام نوّد أن نشير إلى نقطة ، وهي أنّ عدّ قوله سبحانه ( لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مِثْلُ السُّوءِ وَلِلَّهِ الْمِثْلُ الْأَعْلَى وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ) من قبيل الأمثال القرآنية لا يخلو من غموض ، لأنّ الآية بصدد بيان نفي وصفه بصفات قبيحة سيئة دون وصفه بصفات عليا فأين التمثيل ؟

إلا أن يقال : إنّ التشبيه ينتزع من مجموع ما وصف به المشركون ، حيث شبّهوه بإنسان له حاجة ماسّة إلى الزرع والأنعام وله بنات ونسبة مع الجن إلى غير ذلك من أمثال السوء ، فالآية بصدد ردّ هذا النوع من التمثيل ، وفي الحقيقة سلب التمثيل ، أو سوق المؤمن إلى وصفه سبحانه بالأسماء الحسنى والصفات العليا.

---

١. مجمع البيان : ٣ / ٣٦٧.

## النحل

٢٧

### التمثيل السابع والعشرون

( وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ \* فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَإِنَّكُمْ لَا تَعْلَمُونَ \* ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَقْنَاهُ مِنْهَا نَوْفًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ) .<sup>(١)</sup>

#### تفسير الآيات

ندد سبحانه بعمل المشركين الذين يعبدون غير الله سبحانه ، بأنّ معبوداتهم لا تملك لهم رزقاً ولا نفعاً ولا ضرراً ، فكيف يعبدونها مع أنّها أشبه بجماد لا يرجى منها الخير والشر ، وإتّما العبادة للإله الرازق المعطى الجيب للدعوة ؟ هذا هو المفهوم من الآية الأولى .

ثم إنّ سبحانه يمثّل لمعبود المشركين والمعبود الحق بالتمثيل التالي :  
افرض مملوكاً لا يقدر على شيء ولا يملك شيئاً حتى نفسه ، فهو بتمام معنى الكلمة مظهر الفقر والحاجة ، ومالكاً يملك الرزق ويقدر على التصرف فيه ، فيتصرف في ماله كيف شاء وينعم كيف شاء . فهل هذان متساويان ؟ كلا .

١ . النحل : ٧٣ - ٧٥ .

وعلى ضوء ذلك تتبيل معبوداتهم الكاذبة مثل العبد الرق المملوك غير المالك لشيء ،  
ومثله سبحانه كمثل المالك للنعمة البازل لها المتصرف فيها كيف شاء .  
وذلك لأن صفة الوجود الإمكانى . أي ما سوى الله . نفس الفقر والحاجة لا يملك شيئاً  
ولا يستطيع على شيء .  
وأما الله سبحانه فهو المحمود بكلّ حمد والمنعم لكلّ شيء ، فهو المالك للخلق والرزق  
والرحمة والمغفرة والإحسان والإنعام ، فله كلّ ثناء جميل ، فهو الربّ ودونه هو المربوب ،  
فأيّهما يصلح للخضوع والعبادة ؟  
ويدل على ما ذكرنا أنّه سبحانه حصر الحمد لنفسه ، وقال : الحمد لله أي لا لغيره ،  
فالحمد والثناء ليس إلاّ لله سبحانه ، ومع ذلك نرى صحة حمد الآخرين بأفعالهم المحمودة  
الاختيارية ، فنحمد المعطي بعطائه والمعلم لتعليمه والوالد لما يقوم به في تربية أولاده .  
وكيفية الجمع أنّ حمد هؤلاء تحميد مجازي ، لأنّ ما بذله المنعم أو المعلم أو الوالد لم يكن  
مالكاً له ، وإنّما يملكه سبحانه فهو أقدرهم على هذه الأعمال ، فحمد هؤلاء يرجع إلى  
حمده وثنائه سبحانه ، ولذلك صح أن نقول : إن الحمد منحصر بالله لا بغيره . ولذلك يقول  
سبحانه في تلك الآية : ( **وَلِحَمْدِ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ** ) أي الشكر لله على نعمه ،  
يقول الطبرسي : وفيه إشارة إلى أن النعم كلّها منه .<sup>(١)</sup>

١ . مجمع البيان : ٣ / ٣٧٥ .



يصر ، إذ لو أبصر لا يصح في حقه أنه لا يقدر على شيء.

ج : ( كَلْ عَلَى مَوْلَاهُ ) : أي ثقل ووبال على وليه الذي يتولى أمره.

د : ( يَنْهَى وَجْهَهُ نَهْيًا ) لعدم استطاعته أن يجلب الخير ، فلا ينفع مولاة ،

فلو أرسل إلى أمر لا يرجع بخير.

فهذا الرق الفاقد لكل كمال لا يرجى نفعه ولا يرجع بخير.

وهناك إنسان حرٌّ له الوصفان التاليان :

أ : يأمر بالعدل.

ب : وهو على صراط مستقيم.

أما الأول ، فهو حاك عن كونه ذا لسان ناطق ، وإرادة قوية ، وشهامة عالية يريد إصلاح المجتمع ، فمثل هذا يكون مجعاً لصفات عليا ، فليس هو أبكم ولا جباناً ولا ضعيفاً ولا غير مدرك لما يصلح الأمة والمجتمع. فلو كان يأمر بالعدل فهو لعلمه به فيكون معتدلاً في حياته وعبادته ومعاشرته التي هي رمز الحياة.

وأما الثاني : أي كونه على صراط مستقيم ، أي يتمتع بسيرة صالحة ودين قويم.

فهذا المثل يبيّن موقف المؤمن والكافر من الهداية الإلهية ، وقد أشار سبحانه إلى مغزى

هذا التمثيل في آية أخرى ، وقال : ( أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ مَنْ لَا يَهْدِي إِلَّا

نَظْرًا ) ( ١ ) .

هذا التفسير مبني على أن التمثيل بصدد بيان موقف الكافر والمؤمن غير ان هناك

احتمالاً آخر ، وهو أنّ التمثيل تأكيد للتمثيل السابق وهو تبيين موقف الآلهة الكاذبة والإله

الحق.

---

١ . يونس : ٣٥ .

## التمثيل التاسع والعشرون

( وَفُواْ بِعَهْدِكُمْ إِذْ عٰهَدْتُمْ لَآءِىَ الْاٰيٰتِ بَانَ بَعْدَ تَوْكِيْدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمْ اللّٰهَ عَلَيْكُمْ كَفِيْلًا ۗ اللّٰهُ يَعْصِمُ مَا تَصْعَلُوْنَ \* لَآ كُوْنُواْ لِلّٰهِ قَدِيْتًا ۗ زَهَابًا مِّنْ بَعْدِ قُوَّةٍ اَنْ كَاثًا تَتَّخِذُوْنَ بِبَآئِنٰتِكُمْ دَخٰلًا بَيْنَكُمْ لَآ تَكُوْنُ اُمَّةٌ هِيَ رَاەى مِّنْ اُمَّةٍ اِنَّمَا يَبْلُوْكُمْ اللّٰهُ بِهِ وَلِيُبَيِّنَ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ مَا كُنْتُمْ فِيْهِ تَخْتَلِفُوْنَ ) . (١)

## تفسير الآيات

التوكيد : التشديد ، يقال أوكدها عقدك ، أي شدك ، وهي لغة أهل الحجاز و « الأنكاث » : الأنقاض ، وكلّ شيء نقض بعد الفتح ، فقد انكاث حبلاً كان أو غزلاً .  
و « الدخل » ما أدخل في الشيء على فساد ، وربما يطلق على الخديعة ، وإنما استعمل لفظ الدخل في نقض العهد ، لأنه داخل القلب على ترك البقاء ، وقد نقل عن أبي عبيدة ، أنه قال : كلّ أمر لم يكن صحيحاً فهو دخل ، وكلّ ما دخله عيب فهو مدخول .  
هذا ما يرجع إلى تفسير لغات الآية وجملها .

١ - النحل : ٩١ - ٩٢ .

وأما شأن نزولها فقد نقل عن الكلبي أنها امرأة حمقاء من قريش كانت تغزل مع جواربها إلى انتصاف النهار ، ثم تأمرهن أن ينقضن ما غزلن ولا يزال ذلك دأبها ، واسمها « ربطة » بنت عمرو بن كعب بن سعد بن تميم بن مرة ، وكانت تسمى فرقاء مكة. <sup>(١)</sup>

إن لزوم العمل بالميثاق من الأمور الفطرية التي جُبل عليها الإنسان ، ولذلك نرى أنّ الوالد إذا وعد ولده شيئاً ، ولم يف به فسوف يعترض عليه الولد ، وهذا كاشف أنّ لزوم العمل بالمواثيق والعهود أمر فطر عليه الإنسان.

ولذلك صار العمل بالميثاق من المحاسن الأخلاقية التي اتفق عليها كافة العقلاء. وقد تضافرت الآيات على لزوم العمل به خصوصاً إذا كان العهد لله ، قال سبحانه : ( **وَوَفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا** ) <sup>(٢)</sup>

وقال تعالى : ( **وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ** ) . <sup>(٣)</sup>

وفي آية ثالثة : ( **وَوَفُوا بِعَهْدِكُمْ وَأُفِّ بِعَهْدِكُمْ** ) . <sup>(٤)</sup>

وفيما نحن فيه يأمر بشيء وينهى عن آخر.

أ : فيقول ( **وَوَفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا لَهُمْ مِيثَاقٌ** ) فيأمر بالوفاء بعهد الله ، أي العهود التي يقطعها الناس مع الله تعالى. ومثله العهد الذي يعهده مع النبي ﷺ وأئمة المسلمين ، فكل ذلك عهود إلهية وبيعة في طريق طاعة الله سبحانه.

١ . الميزان : ١٢ / ٣٣٥ .

٢ . الإسراء : ٣٤ .

٣ . المؤمنون : ٨ .

٤ . البقرة : ٤٠ .

ب : ( وَلَا تَنْفُضُوا الْإِيمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا ) فالإيمان جمع يمين.

فيقع الكلام في الفرق بين الجملتين ، والظاهر اختصاص الأولى بالعهود التي يبرمها مع الله تعالى ، كما إذا قال : عاهدت الله لأفعلته ، أو عاهدت الله أن لا أفعله.

وأما الثانية فالظاهر ان المراد هو ما يستعمله الإنسان من يمين عند تعامله مع عباد الله. وبملاحظة الجملتين يعلم أنه سبحانه يؤكد على العمل بكلّ عهد يبرم تحت اسم الله ، سواء أكان لله سبحانه أو لخلقه.

ثم إنه قيّد الإيمان بقوله : بعد توكيدها ، وذلك لأنّ الإيمان على قسمين : قسم يطلق عليه لقب اليمين ، بلا عزم في القلب وتأكيد له ، كقول الإنسان حسب العادة والله وبالله. والقسم الآخر هو اليمين المؤكّد ، وهو عبارة عن تغليظه بالعزم والعقد على اليمين ، يقول سبحانه : ( يُخَالِفُكُمْ اللَّهُ بِالْعُوقِي أُولَئِكَ مَأْكُوفُونَ يُؤْخَذُكُمْ بِهِمْ لِما قَدَّمْتُمُ الْإِيمَانَ ) .<sup>(١)</sup>

ثم إنّه سبحانه يعلّل تحريم نقض العهد ، بقوله : ( وَقد جَعَلْتُمُ اللهُ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً ان الله يعلم ما تَفْعَلُونَ ) أي جعلتم الله كفيلاً بالوفاء فمن حلف بالله فكأنّه أكفل الله بالوفاء. فالحالف إذا قال : والله لأفعلنّ كذا ، أو لأتركنّ كذا ، فقد علّق ما حلف عليه نوعاً من التعليق على الله سبحانه ، وجعله كفيلاً عنه في الوفاء لما عقد عليه

---

١ . المائدة : ٨٩ .

اليمين ، فإن نكث ولم يفِ كان لكفيله أن يؤدبه ، ففي نكث اليمين ، إهانة وإزرار بساحة العزة .

ثم إنه سبحانه يرسم عمل ناقض العهد بامرأة تنقض غزلها من بعد قوة أنكاثاً ، قال : ( **وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا** ) مشيراً إلى المرأة التي مضى ذكرها وبيان عملها حيث كانت تغزل ما عندها من الصوف والشعر ، ثم تنقض ما غزلته ، وقد عرفت في قوله بـ « الحمقاء » فكذلك حال من أبرم عهداً مع الله وباسمه ثم يقدم على نقضه ، فعمله هذا كعملها بل أسوأ منها حيث يدل على سقوط شخصيته والمحطات منزلته .

ثم إنه سبحانه يبين ما هو الحافز لنقض اليمين ، ويقول إنَّ الناقض يتخذ اليمين واجهة لدخله وحيلته أولاً ، ويبغي من وراء نقض عهده ويمينه أن يكون أكثر نفعاً مما عهد له ولصالحه ثانياً ، يقول سبحانه : ( **تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَالًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ** ) فقوله « أربى » من الربا بمعنى الزيادة ، فالناقض يتخذ أيمانه للدخل والغش ، ينتفع عن طريق نقض العهد وعدم العمل بما تعهد ، ولكن الناقض غافل عن ابتلائه سبحانه ، كما يقول سبحانه : ( **إِنَّمَا يَلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ وَلِيَبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ** ) .

أي انّ ذلك امتحان إلهي يمتحنكم به ، وأقسم ليبيّنن لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون فتعلمون عند ذلك حقيقة ما أنتم عليه اليوم من التكالب على الدنيا وسلوك سبيل الباطل لإماطة الحق ، ودحضه وتبين لكم يومئذ من هو الضال ومن هو المهتدي .<sup>(١)</sup>

---

١ . الميزان : ١٢ / ٣٣٦ .

## النحل

٣٠

### التمثيل الثلاثون

( وَضَرِبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا زَفِيرًا رَغْدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرُوا بِدُعَى اللَّهِ فَجَاءَهُمْ مِنَ الْغَيْبِ نُزُورٌ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ) .<sup>(١)</sup>

### تفسير الآيات

« رغد » عيش رغد ورغيد : طيب واسع ، قال تعالى : ( وكلا منها رغدا ) .

يصف سبحانه قرية عامرة بصفات ثلاث :

أ : آمنة : أي ذات أمن يأمن فيها أهلها لا يغار عليهم ، ولا يُشَنُّ عليهم بقتل النفوس وسي الذراري ونهب الأموال ، وكانت آمنة من الحوادث الطبيعية كالزلازل والسيول .  
ب : مطمئنة : أي قارة ساكنة بأهلها لا يحتاجون إلى الانتقال عنها بخوف أو ضيق ، فإنّ ظاهرة الاغتراب إنما هي نتيجة عدم الاستقرار ، فترك الأوطان وقطع الفيافي وركوب البحار وتحمل المشاق رهن عدم الثقة بالعيش الرغيد فيه ، فالاطمئنان رهن الأمن .

---

١ - النحل : ١١٢ - ١١٣ .

ج : ( يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ ) ، الضمير في يأتيتها يرجع إلى القرية ، والمراد منها حاضرة ما حولها من القرى ، والدليل على ذلك ، قوله سبحانه حاكياً عن ولد يعقوب : ( وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا مِنَ الْغَيْرِ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا مِنْ نَبَا لَصَادِقُونَ ) .<sup>(١)</sup> والمراد من القرية هي مصر الحاضرة الكبيرة يومذاك .

وعلى ذلك فتلك القرية الواردة في الآية بما أنّها كانت حاضرة لما حولها من الأصقاع فينقل ما يزرع ويحصد إليها بغية بيعه أو تصديره .

هذه الصفات الثلاث تعكس النعم المادية الوافرة التي حظيت بها تلك القرية .

ثم إنّ سبحانه يشير إلى نعمة أخرى حظيت بها وهي نعمة معنوية ، أعني عبث الرسول إليها ، كما أشار إليه في الآية الثانية ، بقوله : ( وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ ) .

وهؤلاء أمام هذه النعم الظاهرة والباطنة بدل أن يشكروا الله عليها كفروا بها .

أما النعمة المعنوية ، أعني : الرسول فكذبوه . كما هو صريح الآية الثانية . وأما النعمة

المادية فالآية ساكتة عنها غير ان الروايات تكشف لنا كيفية كفران تلك النعم .

روى العياشي ، عن حفص بن سالم ، عن الإمام الصادق عليه السلام ، أنه قال : « إن قوما

في بني إسرائيل تؤتى لهم من طعامهم حتى جعلوا منه تماثيل بمدن كانت في بلادهم يستنجون

بها ، فلم يزل الله بهم حتى اضطروا إلى التماثيل يبيعونها

---

١ . يوسف : ٨٢ .

ويأكلونها ، وهو قول الله : ( ضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون )<sup>(١)</sup> .

وفي رواية أخرى عن زيد الشحام ، عن الصادق عليه السلام قال : كان أبي يكره أن يمسه في المنديل وفيه شيء من الطعام تعظيماً له إلا أن يمصّها ، أو يكون إلى جانبه صبي فيمصّها ، قال : فإني أجد اليسير يقع من الخوان فأتفقده فيضحك الخادم ، ثم قال : إن أهل قرية ممن كان قبلكم كان الله قد وسع عليهم حتى طغوا ، فقال بعضهم لبعض : لو عمدنا إلى شيء من هذا النقي فجعلناه نستنجي به كان ألين علينا من الحجارة .

قال عليه السلام : فلما فعلوا ذلك بعث الله على أرضهم دواباً أصغر من الجراد ، فلم تدع لهم شيئاً خلقه الله إلا أكلته من شجر أو غيره ، فبلغ بهم الجهد إلى أن أقبلوا على الذي كانوا يستنجون به ، فأكلوه وهي القرية التي قال الله تعالى : ( ضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون )<sup>(٢)</sup> .

وبذلك يعلم أن ما يقوم به الجيل الحاضر من رمي كثير من فتات الطعام في سلة المهملات أمر محذور وكفران بنعمة الله . حتى أنّ كثيراً من الدول وصلت بها حالة البطر بمكان أنّها ترمي ما زاد من محاصيلها الزراعية في البحار حفظاً لقيمتها السوقية ، فكلّ ذلك كفران لنعم الله .

ثمّ إنّ سبحانه جزاهم في مقابل كفرهم بالنعم المادية والروحية ، وأشار إليها

١ - تفسير نور الثقلين : ٣ / ٩١ ، حديث ٢٤٧ .

٢ - تفسير نور الثقلين : ٣ / ٩٢ ، حديث ٢٤٨ .

بأيتين :

الأولى : ( فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون ) .  
الثانية : ( فأخذهم العذاب وهم ظالمون ) .

فلنرجع إلى الآية الأولى ، فقد جزاهم بالجوع والخوف نتيجة بطرهم .

وهناك سؤال مطروح منذ القدم وهو أنه سبحانه جمع في الآية الأولى بين الذوق واللباس ، فقال : ( فَذُوقَهَا اللَّهُ لِبَاسِ الْجُوعِ ) مع أن مقتضى استعمال الذوق هو لفظ طعم ، بأن يقول : « فأذاقها الله طعم الجوع » .

ومقتضى اللفظ الثاني أعني : اللباس ، أن يقول : « فكساهم الله لباس الجوع » فلماذا عدل عن تلك الجملتين إلى جملة ثالثة لا صلة لها . حسب الظاهر . بين اللفظين ؟  
والجواب : ان للإتيان بكل من اللفظين وجهها واضحاً .

أما استخدام اللباس فليبين شمول الجوع والخوف لكافة جوانب حياتهم ، فكأنّ الجوع والخوف أحاط بهم من كلّ الأطراف كإحاطة اللباس بالملبوس ، ولذلك قال : ( لباس الجوع والخوف ) ولم يقل « الجوع والخوف » لفوت ذلك المعنى عند التجريد عن لفظ اللباس .  
وأما استخدام الذوق فليبين شدة الجوع ، لأنّ الإنسان يذوق الطعام ، وأما ذوق الجوع فأنّما يطلق إذا بلغ به الجوع والعطش والخوف مبلغاً يشعر به من صميم ذاته ، فقال : ( فَذُوقَهَا اللَّهُ لِبَاسِ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ ) .

هذا ما يرجع إلى تفسير الآية ، وأما ما هو المراد من تلك القرية بأوصافها الثلاثة ، فقد عرفت من الروايات خصوصياتها .

نعم ربما يقال بأن المراد أهل مكة ، لأنهم كانوا في أمن وطمأنينة ورفاه ، ثم أنعم الله عليهم بنعمة عظيمة وهي محمد ﷺ فكفروا به وبالغوا في إيذائه ، فلا حرم أن سلب عليهم البلاء.

قال المفسرون : عذبهم الله بالجوع سبع سنين حتى أكلوا الجيف والعظام.  
وأما الخوف ، فهو أنّ النبي ﷺ كان يبعث إليهم السرايا فيغيرون عليهم.  
ويؤيد ذلك الاحتمال ما جاء من وصف أرض مكة في قوله : ( لَمْ يَكُنْ بِمُ حَرَمًا  
أَمِنًا يُجِيئُ إِلَيْهِ تَمَرَاتٌ كُلُّ شَيْءٍ )<sup>(١)</sup>.

ومع ذلك كله فتطبيق الآية على أهل مكة لا يخلو من بُعد.  
أما أولاً : فلأنّ الآية استخدمت الأفعال الماضية مما يشير إلى وقوعها في الأزمنة الغابرة.  
وثانياً : لم يثبت ابتلاء أهل مكة بالقحط والجوع على النحو الوارد في الآية الكريمة ، وإن كان يذكره بعض المفسرين.

وثالثاً : إنّ الآية بصدد تحذير المشركين من أهل مكة من معبة تماديهم في كفرهم ،  
والسورة مكية إلا آيات قليلة ، ونزولها فيها يقتضي أن يكون للمثل واقعية خارجية وراء تلك  
الظروف ، لتكون أحوال تلك الأمم عبرة للمشركين من أهل مكة وما والاها.

---

١ . القصص : ٥٧ .

## التمثيل الواحد والثلاثون

( وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا جُلًّا الْبَسِطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا \* وَإِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الْيَدَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ) .<sup>(١)</sup>

تفسير الآيات « الغلُّ » : ما يقيد به ، فيجعل الأعضاء وسطه ، وجمعه أغلال ، ومعنى قوله : ( مغلولة إلى عنقك ) أي مقيدة به .

« الحسرة » : الغم على ما فاته والندم عليه ، وعلى ذلك يكون محسوراً ، عطف تفسير لقوله « ملوما » ، ولكن الحسرة في اللغة كشف الملابس عما عليه ، وعلى هذا يكون بمعنى العريان .

أما الآية فهي تتضمن تمثيلاً لمنع الشحيح وإعطاء المسرف ، والأمر بالاعتقاد الذي هو بين الإسراف والتقتير ، فشبهه منع الشحيح بمن تكون يده مغلولة إلى عنقه لا يقدر على الإعطاء والبذل ، فيكون تشبيهه لغاية المبالغة في النهي عن الشح والإمساك ، كما شبهه إعطاء المسرف بجميع ما عنده بمن بسط يده حتى لا يستقر فيها شيء ، وهذا كناية عن الإسراف ، فيبقى الثالث وهو المفهوم من الآية

---

١ . الإسراء : ٢٩ - ٣٠ .

وإن لم يكن منطوقاً ، وهو الاقتصاد في البذل والعطاء ، فقد تضمنته آية أخرى في سورة الفرقان ، وهي : ( **مَلَا إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا لَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا** ) .<sup>(١)</sup> وقد ورد في سبب نزول الآية ما يوضح مفادها .

روى الطبري أن امرأة بعثت ابنها إلى رسول الله ﷺ وقالت : قل له : إن أمي تستكسيك درعاً ، فإن قال : حتى يأتينا شيء . ، فقل له : إنما تستكسيك قميصك . فأتاه ، فقال ما قالت له ، فنزع قميصه فدفعه إليه ، فنزلت الآية .

ويقال أنه **عائلاً** بقي في البيت إذ لم يجد شيئاً يلبسه ولم يمكنه الخروج إلى الصلاة فلامه الكفار ، وقالوا : إن محمداً اشتغل بالنوم واللهو عن الصلاة ( **لِئَلَّا رَبَّكَ يَسِطَ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ** ) أي يوسع مرة ويضيق مرة ، بحسب المصلحة مع سعة خزائنه .<sup>(٢)</sup>

روى الكليني عن عبد الملك بن عمرو الأحول ، قال : تلا أبو عبد الله هذه الآية : ( **مَلَا إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا** ) .

قال : فأخذ قبضة من حصي وقبضها بيده ، فقال : هذا الإقتار الذي ذكره الله في كتابه ، ثم قبض قبضة أخرى ، فأرخصي كفه كلها ، ثم قال : هذا الإسراف ، ثم قبض قبضة أخرى فأرخصي بعضها ، وقال : هذا القوام .<sup>(٣)</sup>

١ . الفرقان : ٦٧ .

٢ . مجمع البيان : ٣ / ٤١٢ .

٣ . البرهان في تفسير القرآن : ٣ / ١٧٣ .

هذا ما يرجع إلى تفسير الآية ، وهذا الدستور الإلهي تمخض عن سنة إلهية في عالم الكون ، فقد جرت سنته سبحانه على وجود التقارن بين أجزاء العالم وأن كل شيء يبذل ما يزيد على حاجته إلى من ينتفع به ، فالشمس ترسل ٤٥٠ ألف مليون طن من جرمها بصورة أشعة حرارية إلى أطراف المنظومة الشمسية وتنال الأرض منها سهمًا محدودًا فتتبدل حرارة تلك الأشعة إلى مواد غذائية كامنّة في النبات والحيوان وغيرها ، حتى أنّ الأشجار والأزهار ما كان لها أن تظهر إلى الوجود لولا تلك الأشعة.

إنّ النحل يمتصّ رحيق الأزهار فيستفيد منه بقدر حاجته ويبدل الباقي عسلًا ، كل ذلك يدل على أنّ التعاون بل بذل ما زاد عن الحاجة ، سنة إلهية وعليها قامت الحياة الإنسانية. ولكن الإسلام حدّد الإنفاق ونبذ الإفراط والتفريط ، فمنع عن الشح ، كما منع عن الإسراف في البذل.

وكأنّ هذه السنة تجلت في غير واحد من شؤون حياة الإنسان ، ينقل سبحانه عن لقمان الحكيم أنّه نصح ابنه بقوله : ( **وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاعْضُبْ مِنْ صَبَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ** ) .<sup>(١)</sup>

بل يتجلى الاقتصاد في مجال العاطفة الإنسانية ، فمن جانب يصرح النبي ﷺ بأن عنوان صحيفة المؤمن حب علي بن أبي طالب عليه السلام .<sup>(٢)</sup>

ومن جانب آخر يقول الإمام علي عليه السلام : « هلك في اثنان : محب غال ، ومبغض قال » .<sup>(٣)</sup>

١- لقمان : ١٩ .

٢- حلية الأولياء : ١ / ٨٦ .

٣- بحار الأنوار : ٣٤ / ٣٠٧ .

فالإمعان في مجموع ما ورد في الآيات والروايات يدل بوضوح على أن الاقتصاد في الحياة هو الأصل الأساس في الإسلام ، ولعله بذلك سميت الأمة الإسلامية بالأمة الوسط ، قال سبحانه : ( وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ) .<sup>(١)</sup>  
وهناك كلمة قيمة للإمام أمير المؤمنين عليه السلام حول الاعتدال تأتي بنصها :  
دخل الإمام علي العلاء بن زياد الحارثي وهو من أصحابه يعوده ، فلما رأي سعة داره ،  
قال :

« ما كنت تصنع بسعة هذه الدار في الدنيا ، وأنت إليها في الآخرة كنت أحوج ؟  
بلى إن شئت بلغت بها الآخرة ، تقرى فيها الضيف ، وتصل فيها الرّحم ، وتطلع منها  
الحقوق مطالعها ، فإذا أنت قد بلغت بها الآخرة .»  
فقال له العلاء : يا أمير المؤمنين ، أشكو إليك أخي عاصم بن زياد . قال : « وماله؟ »  
قال : لبس العباءة وتخلّى عن الدنيا . قال : « علي به .» فلما جاء قال :  
« يا عدي نفسك : لقد استهام بك الخبيث ! أما رحمت أهلك وولدتك ! أترى الله أحل  
لك الطيبات ، وهو يكره أن تأخذها ؟! أنت أهون على الله من ذلك .»  
قال : يا أمير المؤمنين ، هذا أنت في خشونة ملبسك وجشوبة مأكلك !  
قال : « ويحك ، إني لست كأنت ، إنّ الله تعالى فرض على أئمة العدل ( الحق ) أن  
يقدّروا أنفسهم بضعفة الناس ، كيلا يتبيغ بالفقير فقره ! »<sup>(٢)</sup>

١ - البقرة : ١٤٣ .

٢ - نهج البلاغة ، الخطبة ٢٠٩ .



أطافا به ، فقوله في الآية ( فَحَقَّقْنَا هُمَا بِنَجْلِ ) أي جعلنا النخل مطيفاً بهما ، وقوله : ( ما أظن أن تبيد ) فهو من باد الشيء ، يبيد بياداً إذا تفرق وتوزع في البيداء أي المغازة. « حسباناً » : أصل الحسبان السهام التي ترمى ، الحسبان ما يحاسب عليه ، فيجازى بحسبه فيكون النار والريح من مصاديقه ، وفي الحديث أنه قال ﷺ في الريح : « اللهم لا تجعلها عذاباً ولا حسباناً ».

« الصعيد » يقال لوجه الأرض « زلق » أي دحضاً لا نبات فيه ويرادفه الصلد ، كما في قوله سبحانه : ( فتركه صلداً )<sup>(١)</sup> هذا ما يرجع إلى مفردات الآية.

وأما تفسيرها ، فهو تمثيل للمؤمن والكافر بالله والمنكر للحياة الأخروية ، فالأول منهما يعتمد على رحمته الواسعة ، والثاني يركن إلى الدنيا ويطمئن بها ، ويتبين ذلك بالتمثيل التالي :

قد افتخر بعض الكافرين بأموالهم وأنصارهم على فقراء المسلمين ، فضرب الله سبحانه ذلك المثل بين فيها بأنه لا اعتبار بالغنى المؤقت وأنه سوف يذهب سدى ، أما الذي يجب المفاخرة به هو تسليم الإنسان لربه وإطاعته لمولاه. وحقبة ذلك التمثيل ان رجلين أخوين مات أبوهما وترك مالا وافرا فأخذ أحدهما حقه منه وهو المؤمن فتقرب إلى الله بالإحسان والصدقة ، وأخذ الآخر حقه فتملك به ضياعاً بين الجنتين فافتخر الأخ الغني على الفقير ، وقال : ( أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا ) ، وما هذا إلا لأنه كان يملك جنتين من أعناب ونخل مطيفا

---

١ . البقرة : ٢٦٤ .

بهما وبين الجنتين زرع وافر ، وقد تعلقت مشيئته بأن تأتي الجنتان أكلها ولم تنقص شيئاً وقد تخللها نهر غزير الماء وراح صاحب الجنتين المثمرتين يفتخر على صاحبه بكثرة المال والخدمة . وكان كلما يدخل جنته يقول : ما أظن أن تفتي هذه الجنة وهذه الثمار . أي تبقى أبداً . وأخذ يكذب بالساعة ، ويقول : ما أحسب القيامة آتية ، ولو افترض صحة ما يقوله الموحّدون من وجود القيامة ، فلئن بعثت يومذاك ، لآتاني ربي خيراً من هذه الجنة ، بشهادة أعطائي الجنة في هذه الدنيا دونكم ، وهذا دليل على كرامتي عليه . هذا ما كان يتفوّه به وهو يمشي في جنته مختالاً ، وعند ذلك يواجهه أخوه بالحكمة والموعظة الحسنة .

و يقول : كيف كفرت بالله سبحانه مع أنّك كنت تراباً فصرت نطفة ، ثم رجلاً سوياً ، فمن نقلك من حال إلى حال وجعلك سوياً معتدل الخلقة ؟ وبما أنه ليس في عبارته إنكار للصانع صراحة ، بل إنكار للمعاد ، فكأنه يلازم إنكار الرب .

فإن افتخرت أنت بالمال ، فأنا أفتخر بأبي عبد من عباد الله لا أشرك به أحداً . ثم ذكره بسوء العاقبة ، وأتاك لماذا لم تقل حين دخولك البستان ما شاء الله ، فإنّ الجنتين نعمة من نعم الله سبحانه ، فلو بذلت جهداً في عمارتها فإنما هو بقدرة الله تبارك وتعالى .

تمّ أشار إلى نفسه ، وقال : أنا وإن كنت أقل منك مالاً وولداً ، ولكن أرجو

أن يجزي ربي في الآخرة خيراً من جنتك ، كما أترب أن يرسل عذاباً من السماء على جنتك فتصبح أرضاً صلبة لا ينبت فيها شيء ، أو يجعل ماءها غائراً ذاهباً في باطن الأرض على وجه لا تستطيع أن تستحصله.

قالها أخوه وهو يندب به ويجزده من معبّة تماديه في كفره وغيته ويتكهن له بمستقبل مظلم .  
فعندما جاء العذاب وأحاط بثمره ، ففي ذلك الوقت استيقظ الأخ الكافر من رقدته ، فأخذ يقلب كفيه تأسفاً وتحسراً على ما أنفق من الأموال في عمارة جنتيه ، وأخذ يندم على شركه ، ويقول : يا ليتني لم أكن مشركاً بري ، ولكن لم ينفعه ندمه ولم يكن هناك من يدفع عنه عذاب الله ولم يكن منتصراً من جانب ناصر .

هذه حصيلة التمثيل ، وقد بيّنه سبحانه على وجه الإيجاز ، بقوله : ( المال والبنون زينة الحياة الدنيا ولباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخيراً أملاً ) .<sup>(١)</sup>

وقد روى المفسرون أنه سبحانه أشار إلى هذا التمثيل في سورة الصافات في آيات أخرى ، وقال : ( قال قائل منهم إني كان لي قيرين \* يقول أئبئك لمن المصدّقين \* إيا متنا وكُتبا تُراباً وعظاماً إنا لمدبّون \* قال هل أنتم مُطلعون \* فاطلع فراه في سواء الجحيم ) .<sup>(٢)</sup>  
إلى هنا تبين مفهوم المثل ، وأما تفسير مفردات الآية وجملها ، فالإمعان فيما ذكرنا يغني الباحث عن تفسير الآية ثانياً ، ومع ذلك نفسرها على وجه الإيجاز .

١ . الكهف : ٤٦ .

٢ . الصافات : ٥١ . ٥٥ .

( واضرب لهم ) أي للكفار مع المؤمنين ( مثلا رجلين جعلنا لأحدهما ) أي للكافر ( جنتين ) أي بستانين ( من أعناب وحفناهما ) أحدقناهما بنخل ( وجعلنا بينهما زرعاً ) يقتات به ( كلتا الجنتين آتت أكلها ) ثمها ( لم تظلم ) تنقص ( منه شيئاً وفجّرنا خلالهما نهرًا ) يجري بينهما ( وكان له ) مع الجنتين ( ثمر فقال لصاحبه ) المؤمن ( وهو يحاوره ) يفاخره ( أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا ) عشيرة ( ودخل جنته ) بصاحبه يطوف به فيها ويريه ثمارها. ( وهو ظالم لنفسه ) بالكفر ( قال ما أظن أن تبعد ) تنعدم ( هذه أبدا وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت إلى ربي ) في الآخرة على زعمك ( لأجدن خيرا منها منقلبا ) مرجعا ( قال له صاحبه وهو يحاوره ) يجادله ( أكفرت بالذي خلقك من تراب ) لأن آدم خلق منه ( ثم من نطفة ثم سمك ) عدلك وصبرك ( رجلا ) . أمّا أنا فأقول ( لكيا هو الله ربي ولا أشرك بربي أحدا ولولا إذ دخلت جنتك قلت ) عند اعجابك بها ( ما شاء الله لا قوة إلا بالله ) . ( إن ترن أنا أقل منك مالا وولدا فعسى ربي أن يؤتين خيرا من جنتك ويرسل عليها حسبانا ) وصواعق ( من السماء فتصبح صعيدا زلقا ) أي أرضا ملساء لا يثبت عليها قدم ( أو يصبح ماؤها غورا ) بمعنى غائرا ( فلن تستطيع له طلبا ) حيلة تدركه بها ( وأحيط بثمره ) مع ما جنته بالهلاك فهلكت ( فأصبح يقلب كفيه ) ندما وتحسرا ( على ما أنفق فيها ) في عمارة جنته ( وهي حاوية ) ساقطة ( على عروشها ) دعائمها للكرم بأن سقطت ثم سقط الكرم ( ويقول يا ليتني ) كأنه تذكّر موعظة أخيه ( لم أشرك بربي أحدا ولم تكن له فئة ) جماعة ( ينصرونه من دون الله ) عند هلاكها و ( ما كان منتصرا ) عند هلاكها بنفسه ( هنالك ) أي يوم القيامة ( الولاية ) الملك ( لله الحق ) .<sup>(١)</sup>

١ . السيوطي : تفسير الجلالين : تفسير سورة الكهف .

## الكهف

٣٣

### التمثيل الثالث والثلاثون

(ظُيِبَ ۞ ۞ مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَبَاحْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْوُهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا) .<sup>(١)</sup>

#### تفسير الآيات

« الهشيم » : ما يكسر ويحطم في يبس النبات ، و « الذر » والتذرية : تطير الريح الأشياء الخفيفة في كل جهة.

تحدّث التمثيل السابق عن عدم دوام نعم الدنيا التي ربما يعتمد عليها الكافر ، ولأجل التأكيد على تلك الغاية المنشودة أتى القرآن بتمثيل آخر يجسم فيها حال الحياة الدنيوية وعدم ثباتها بتمثيل رائع يتضمن نزول قطرات من السماء على الأراضي الخصبة المستعدة لنمو البذور الكامنة فيها ، فعندئذٍ تبتدئ الحركة فيها بشقها التراب وإنباتها وانتفاعها من الشمس إلى أن تعود البذور باقات من الأزهار الرائحة ، وربما يتخيل الإنسان بقاءها ودوامها ، فإذا بالأعاصير والعواصف المدمّرة تهب عليها فتصيرها أعشاباً يابسة ، وتبيدها عن بكرة أبيها وكأنّها لم تكن موجودة قط. فتنتشر الرياح رمادها إلى الأطراف ، فهذا النوع من الحياة والموت يتكرر

---

١ . الكهف : ٤٥ .

على طول السنة ويشاهده الإنسان بأبصار عينه ، دون أن يعتبر بها ، فهذا ما صيغ لأجله التمثيل.

يقول سبحانه : ( طَلَبُ ۞ ۞ مِثْلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ ) على وجه يلتف بعضه ببعض ، يروق الإنسان منظره ، فلم يزل على تلك الحال إلى أن ينتقل إلى حالة لا نجد فيها غضاضة ، وهذا ما يعبر عنه القرآن ، بقوله : ( فَأَصْبَحَ هَشِيمًا ) أي كثيرا مفتتا تذوره الرياح فتقله من موضعه إلى موضع ، فانقلاب الدنيا كانقلاب هذا النبات ( وكان الله على كل شيء مقتدرا ) .

ثم إنَّه سبحانه يشبّه المال والبنين بالورود والأزهار التي تظهر على النباتات ووجه الشبه هو طروء الزوال بسرعة عليها ، فهكذا الأموال والبنون .

وإنما هي زينة للحياة الدنيا ، فإذا كان الأصل مؤقتاً زائلاً ، فما ظنك بزينة ، فلم يكتب الخلود لشيء مما يرجع إلى الدنيا ، فالاعتماد على الأمر الزائل ليس أمراً صحيحاً عقلاً ، قال سبحانه : ( الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ) .

نعم ، الخلود للأعمال الصالحة بما لها من نتائج باهرة في الحياة الأخروية ، قال سبحانه : ( مَلَبَّاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرْمً )<sup>(١)</sup> .  
ثم إنَّه سبحانه يؤكد على زوال الدنيا وعدم دوامها من خلال ضرب أمثلة ، فقد جاء روح هذا التمثيل في سورة يونس الماضية.<sup>(٢)</sup>

١- مريم : ٧٦ .

٢ . انظر التمثيل الرابع عشر وسورة يونس ٢٥ ، كما يأتي مضمونها عند ذكر التمثيل الوارد في سورة الحديد ، الآية ٢٠ .

## ابقاظ

ثم إنّه ربما يُعدُّ من أمثال القرآن قوله : ( وَلَقَدْ صَرَفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ  
وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ) .<sup>(١)</sup>

والحق أنّه ليس تمثيلاً مستقلاً وإنما يؤكّد على ذكر نماذج من الأمثال خصوصاً فيما يرجع  
إلى حياة الماضين التي فيها العبر .

ومعنى قوله : ( وَلَقَدْ صَرَفْنَا ) أي بيّنا في هذا القرآن للناس من كل مثل وإنّما عبر عن  
التبيين بالتصريف لأجل الإشارة إلى تنوّعها ليتفكر فيها الإنسان من جهات مختلفة ومع  
ذلك ( وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ) أي أكثر شيء منازعة ومشاجرة من دون أن  
تكون الغاية الاهتداء إلى الحقيقة .

---

١ . الكهف : ٥٤ .

## الحج

٣٤

### التمثيل الرابع والثلاثون

( يَا أَيُّهَا النَّاسُ صَبِرْ مِثْلَ مَا سَمِعْتُمْ لَهُ لِيِ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ لَن يُسَلِّبُهُمْ الذُّبَابُ شَيْئًا لَّا يَسْتَنْقِذُ هُ مِنْهُ ضِعْفِ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ \* مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ لِيِ اللَّهِ لَعْنَةُ اللَّهِ لِّلْعَافِينَ عَزِيزٌ )<sup>(١)</sup>

### تفسير الآيات

كان العرب في العصر الجاهلي موحدين في الخالقية ، ويعربون عن عقيدتهم ، بأنه لا خالق في الكون سوى الله سبحانه ، وقد حكاه سبحانه عنهم في غير واحد من الآيات ، قال سبحانه : ( وَلَقَدْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لِيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ) .<sup>(٢)</sup>

ولكنهم كانوا مشركين في التوحيد في الربوبية ، وكأنه سبحانه . بزعمهم . خلق السماوات والأرض وفوض تديرهما إلى الآلهة المزعومة ، ويكشف عن ذلك إطلاق المشركين لفظ الإرباب في جميع العهود على آلهتهم المزعومة ، يقول سبحانه : ( أَلرَّبَّابِ مُتَّفَقُونَ خَيْرٌ لِّمِ اللَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ )<sup>(٣)</sup> والآية وإن كانت تفصح عن

١ . الحج : ٧٣ - ٧٤ .

٢ . الزخرف : ٩ .

٣ . يوسف : ٣٩ .

عقيدة المشركين في عهد يوسف إلا أنّها تماثل إلى حد كبير عقيدة المشركين في مكة ، بشهادة أنّ الآية نزلت للتنديد بهم والخطّ من عقيدتهم الفاسدة.

وهناك آيات أخرى تكشف عن شركهم في الربوبية :

يقول سبحانه : ( وَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ )<sup>(١)</sup> فقد كانوا يعبدون آلهتهم في سبيل نصرتهم في ساحات الوغى ، قال سبحانه : ( وَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا ) .<sup>(٢)</sup>

فكان الهدف من الخضوع لدى الآلهة هو طلب العزّ منهم في مختلف المجالات ، إلى غير ذلك من الآيات التي تدل على أن مشركي عصر الرسول لم يكونوا موحدين في الربوبية ، وإن كانوا كذلك في مجال الخالقية.

وهناك آيات كثيرة تصف الأصنام والأوثان بأنّها لا تملك كشف الضرّ ، كما لا تملك النفع والضرّ ، ولا النصر في الحرب ، ولا العزة في الحياة ، كل ذلك يدل على أنّ المشركين كانوا يعتقدون أنّ في آلهتهم قوة وسلطاناً يكشف عنهم الضرّ ويجلب إليهم النفع ، وهذه عبارة أخرى عن تدبيرهم للحياة الإنسانية ، يقول سبحانه : ( قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ رَزَعْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضَّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ) .<sup>(٣)</sup> وقال تعالى : ( وَلَا تَلْعَبْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّ ) .<sup>(٤)</sup>

وقال تعالى : ( لِيُذَكِّرَ الَّذِينَ لَا يَسْمَعُونَ دُعَاءَكُمْ )<sup>(٥)</sup> إلى غير ذلك من الآيات التي تبطل تدبير الآلهة المزيفة.

١- يس : ٧٤ .

٢- مريم : ٨١ .

٣- الإسراء : ٥٦ .

٤- يونس : ١٠٦ .

٥- فاطر : ١٤ .

إذا عرفت ذلك ، فاعلم أنه سبحانه ضرب في المقام أمثالاً أبطل بها ربوبية الأصنام ،  
بالبیان التالي :

أما الذباب ، فهو عندهم أضعف الحيوانات وأوهنها ، ومع ذلك فآلهتهم عاجزون عن  
خلق الذباب ، وإن سلب الذباب منهم شيئاً لا يستطيعون استنقاذه منه .

فقد روي أن العرب كانوا يطلون الأصنام بالزعفران ورؤوسها بالعسل ويغلقون عليها  
الأبواب ، فيدخل الذباب من الكوى فيأكله ، يقول سبحانه : ( يا أيُّها الناس ضرب مثل  
فاستمعوا له انّ الذين تدعون من دون الله ) أي يعبدونه والدعاء هنا بمعنى العبادة ، كما في  
قوله سبحانه : ( وقال ربُّكم ادعوني أستجب لكم إنّ اللّٰن ساء مجرّبون انّ عین عبادتي  
سيبدخلون جهنم داخرين )<sup>(١)</sup> فدعاؤه سبحانه عين عبادته كما أن دعاء الآلهة المزيفة . بما  
أثما أرباب عند الداعي . عبادة لها .

( لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له ) مع صغره وضعفه ( وان يسلبهم الذباب شيئا لا  
يستنقذوه ) كما عرفت من أن الذباب ربما يأكل العسل الموجود على رؤوس الأصنام .

( ضعف الطالب والمطلوب ) وفيها احتمالات :

الأوّل : انّ المراد من الطالب والمطلوب هو العابد والمعبود ، فالإنسان ضعيف كما هو  
واضح ، وقال سبحانه : ( وخلق الإنسان ضعيفا ) والمطلوب ، أعني : الأصنام مثله لأنيّه  
جماد لا يقدر على شيء .

---

١ . غافر : ٦٠ .

الثاني : ويحتمل أن يكون المراد من الطالب هو الذباب الذي يطلب ما طليت به الأصنام ، والمطلوب هي الأصنام التي تريد استنقاذ ما سلب منها .

الثالث : المراد من الطالب الآلهة فإنهم يطلبون خلق الذباب فلا يقدرّون على استنقاذ ما سلبهم ، والمطلوب الذباب حيث يطلب للاستنقاذ منه ، والغاية من التمثيل بيان ضعف الآلهة لتنزيلها منزلة أضعف الحيوانات في الشعور والقدرة .

ثمّ إنّه سبحانه يعود ليعين منشأ إعراضهم عن عبادة الله وانكبابهم على عبادة الآلهة ، بقوله : ( مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنْ اللَّهَ لَقَوْا الْعَزِيزُ ) أي ما نزلوه المنزلة التي يستحقها ولم يعاملوه بما يليق به ، فلذلك أعرضوا عن عبادة الخالق وانصرفوا إلى عبادة المخلوق الذي لا ينفع ولا يضر ، فلو كان هؤلاء عارفين بالله وأسمائه الحسنى وصفاته العليا ، لاعترفوا بأنّه لا خالق ولا رب سواه ، وعلى ضوء ذلك لا معبود سواه ، ولكن لم يقدرّوا الله بما يليق به ، فلذلك شاركوه أضعف المخلوقات وأذلّهم ، مع أنّه سبحانه ( هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ) بخلاف الآلهة فاتّهم الضعفاء والأذلاء .

## التمثيل الخامس والثلاثون

( اللهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ ۖ وَوَهَّ ۖ تَمَسَّهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْجَأُ اللهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْبِرُ اللهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ ۗ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ )<sup>(١)</sup>

## تفسير الآية

المشكاة : كوة غير نافذة ، وتُتخذ في جدار البيت لوضع بعض الأثاث ومنها المصباح وغيره ، وربما تكون الكوة مشرفة على ساحة الدار وتجعل بينها زجاجة ، لتحفظ المصباح من الرياح ، ولتضيء الساحة والغرفة معاً .

ومنه حافظة المصباح ، وهي ما تصنع على شكل مخروطي توضع على المصباح لتحفظه من الرياح ، وفي أعلاها ثقب يخرج منه الدخان .

« المصباح » : السراج ، وهو آلة يتألف من أمور أربعة :

أ : وعاء للزيت ، ب : فتيل يشتعل بالزيت ، ج : زجاجة منصوبة عليه ، د : آلة التحكم بالفتيل .

١ . النور : ٣٥ .

ثم إن أفخر أنواع الزيوت هو المأخوذ من شجرة الزيتون المغروسة في مكان تشرق عليه الشمس من كل الجوانب حيث تكون في غاية الصفاء وسريعة الاشتعال ، بخلاف المغروسة في جانب الشرق أو جانب الغرب ، فأنها لا تتعرض للشمس إلا في أوقات معينة .

قال العلامة الطباطبائي :

والمراد بكون الشجرة لا شرقية ولا غربية ، أنها ليست نابتة في الجانب الشرقي ، ولا في الجانب الغربي حتى تقع الشمس عليها في أحد طرفي النهار ، ويضيء الظل عليها في الطرف الآخر ، فلا تنضج ثمرتها ، فلا يصفو الدهن المأخوذ منها ، فلا تجود الإضاءة. (١)

إلى هنا تم ما يرجع إلى مفردات الآية ، فعلى ذلك فالمشبه به عبارة عن مشكاة فيها مصباح وعليها زجاجة ، يوقد المصباح من زيت شجرة الزيتون المغروسة المتعرضة للشمس طول النهار على وجه يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسه نار ، لأن الزيت إذا كان خالصاً صافياً يرى من بعيد كأن له شعاعاً فإذا مسته النار ازداد ضوءاً على ضوء.

فالمشبه به هو النور المشرق من زجاجة مصباح ، موقد من زيت جيد صافٍ موضوع على مشكاة ، فإن نور المصباح يجمع المشكاة وتعكسه فيزداد إشراقاً.

وأما قوله في آخر الآية : ( نور على نور ) بمعنى تضاعف النور وأن نور الزجاجة

مستمد من نور المصباح في إنارتها .

قال العلامة الطباطبائي :

---

١ - الميزان : ١٥ / ١٢٤ .

فأخذ المشكاة ، لأجل الدلالة على اجتماع النور في بطن المشكاة وانعكاسه إلى جو البيت .

واعتبار كون الدهن من شجرة زيتونة لا شرقية ولا غربية للدلالة على صفاء الدهن وجودته المؤثر في صفاء النور المشرق عن اشتعاله .

وجوده الضياء على ما يدل عليه كون زيتته يكاد يضيء ولو لم تمسسه نار .  
واعتبار كون النور على النور للدلالة على تضاعف النور أو كون نور الزجاجه مستمد من نور المصباح .<sup>(١)</sup>

هذا هو حال المشبه به ، وإنَّ ما الكلام في المشبه أو الممثل له ، فقد طبقت كل طائفة ذلك الممثل على ما ترومه ، وإليك الأقوال :

القول الأوَّ : المشبه به هداية الله ، إذ قد بلغت في الظهور والجلاء إلى أقصى الغايات وصارت بمنزلة المشكاة التي تكون فيها زجاجة صافية وفي الزجاجه مصباح يتقد بزيت بلغ النهاية في الصفاء .

وأما عدم تشبيهها بضوء الشمس مع أنه أبلغ ، فلأجل أنّ المراد وصف الضوء الكامل وسط الظلمة ، لأنّ الغالب على أوهام الخلق وخيالاتهم إنما هي الشبهات التي هي كالظلمات ، وهداية الله تعالى فيما بينها كالضوء الكامل الذي يظهر فيما بين الظلمات .

القول الثاني : المراد من النور : القرآن ، ويدل عليه قوله تعالى : ( قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ) .<sup>(٢)</sup>

---

١- لميزان : ١٥ / ١٢٥ .

٢- المائدة : ١٥ .

القول الثالث : المراد هو الرسول ، لأنّه المرشد ، ولأنّه تعالى قال في وصفه : ( **وسراجاً مُبِيناً** ) .<sup>(١)</sup> ولعلّ مرجع القولين الأخيرين هو الأول ، لأنّ القرآن والرسول من شعب هداية الله سبحانه .

القول الرابع : إنّ المراد ما في قلب المؤمنين من معرفة الشرائع ، ويدل عليه أنّه تعالى وصف الإيمان بأنّه نور والكفر بأنّه ظلمة ، فقال : ( **أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صِدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ** ) .<sup>(٢)</sup>

وقال تعالى : ( **لِيُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ** )<sup>(٣)</sup> . وحاصله ان إيمان المؤمن قد بلغ في الصفاء عن الشبهات والامتياز عن ظلمات الضلالات مبلغ السراج المذكور . وعلى هذا فالتمثيل مفردا وهو تشبيه الهداية وما يقرب منها بنور السراج ، ولا يجب أن يكون في مقابل كل ما للمشبه به من الأمور موجود في المشبه بخلاف الوجه التالي .  
القول الخامس : إنّ المراد هو القوى المدركة ومراتبها الخمس ، وهي : القوة الحسّاسة ، القوة الخيالية ، القوة العقلية ، القوة الفكرية ، القوة القدسية .

وإليها أشارت الآية الكريمة : ( **وَكَذَلِكَ وَحَيْنَا إِلَيْكَ وَرُحَا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا** ) .<sup>(٤)</sup>  
فإذا عرفت هذه القوى فهي بجملتها أنوار ، إذ بها تظهر أصناف

١ . الأحزاب : ٤٦ .

٢ . الزمر : ٢٢ .

٣ . إبراهيم : ١ .

٤ . الشورى : ٥٢ .

الموجودات ، وهذه المراتب الخمس يمكن تشبيهها بالأُمور الخمسة التي ذكرها الله تعالى ، وهي : المشكاة ، والزجاجة ، والمصباح ، والشجرة ، والزيت .

وعلى هذا فالتمثيل مركبا نظير القول الآتي :

القول السادس : إنّ النفس الإنسانية قابلة للمعارف والإدراكات المجردة ، ثم إنّه في أوّ الأمر تكون خالية عن جميع هذه المعارف ، فهناك تسمى عقلاً هيولانياً ، وهي المشكاة . وفي المرتبة الثانية يحصل فيها العلوم البديهية التي يمكن التوصل بتركيباتها إلى اكتساب العلوم النظرية . ثم إن أمكنه الانتقال إن كانت ضعيفة فهي الشجرة ، وإن كانت أقوى من ذلك فهي الزيت ، وإن كانت شديدة القوة فهي الزجاجة التي كأثما الكوكب الدرّي ، وإن كانت في النهاية القصوى وهي النفس القدسية التي للأنبياء فهي التي ( يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار ) .

وفي المرتبة الثالثة يكتسب من العلوم الضرورية العلوم النظرية ، إلا أنّها لا تكون حاضرة بالفعل ، ولكنها تكون بحيث متى شاء صاحبها استحضارها قدر عليه ، وهذا يسمّى عقلاً بالفعل وهو المصباح .

وفي المرتبة الرابعة أن تكون تلك المعارف حاصلة بالفعل ، وهذا يسمّى عقلاً مستفاداً ، وهو نور على نور ، لأنّ الحكمة ملكة نور وحصول ما عليه الملكة نور آخر . ثم إن هذه العلوم التي تحصل في الأرواح البشرية ، إنّما تحصل من جوهر روحاني يسمى بالعقل الفعال وهو مدبر ما تحت كرة القمر وهو النار .

القول السابع : إنّ سبجانه شبّه الصدر بالمشكاة ، والقلب بالزجاجة ، والمعرفة بالمصباح ، وهذا المصباح إنّما يوقد من شجرة مباركة وهي إلهامات الملائكة . وإنّما شبّه الملائكة بالشجرة المباركة لكثرة منافعهم ، ولكنّه وصفها بأثما

لا شرقية ولا غربية لأتّما روحانية ، ووصفهم بقوله : ( يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار ) لكثرة علومهم وشدة اطلاعهم على أسرار ملكوت الله تعالى .

القول الثامن : إن المراد من ( مثل نوره ) ، أي مثل نور الإيمان في قلب محمد ﷺ كمشكاة فيها مصباح ، فالمشكاة نظير صلب عبد الله ، والزجاجة نظير جسد محمد ﷺ ، والمصباح نظير الإيمان في قلب محمد أو نظير النبوة في قلبه .

القول التاسع : إن « المشكاة » نظير إبراهيم عليه السلام ، والزجاجة نظير إسماعيل عليه السلام ، والمصباح نظير جسد محمد ﷺ ، والشجرة النبوة والرسالة .

القول العاشر : إن قوله : ( مثل نوره ) يرجع إلى المؤمن .<sup>(١)</sup>

إن المشبه هو نور الله المشرق على قلوب المؤمنين ، والمشبه به النور المشرق من زجاجة ، وقوله سبحانه : ( يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ ) استئناف يعلّل به اختصاص المؤمنين بنور الإيمان والمعرفة وحرمان غيرهم ، ومن المعلوم من السياق أنّ المراد بقوله : ( من يشاء ) هم الذين يذكّرهم الله سبحانه بقوله بعد هذه الآية : ( رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن دِكْرِ اللَّهِ )<sup>(٢)</sup> فالمراد بمن يشاء المؤمنون بوصف كمال إيمانهم . والمعنى ان الله إنّما هدى المتلبسين بكمال الإيمان إلى نوره دون المتلبسين بالكفر .<sup>(٣)</sup>

وقوله : ( يضرب الله الأمثال للناس والله بكل شيء عليم ) إشارة إلى أن المثل المضروب تحته طور من العلم ، وإنّما اختيار المثل لكونه أسهل الطرق لتبين الحقائق والدقائق ، ويشترك فيه العالم والعامي فيأخذ منه كلّ ما قسم له ، قال تعالى : ( وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ لِنَصْرِحٍهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ) .<sup>(٤)</sup>

١ . تفسير الفخر الرازي : ٢٣ / ٢٣١ - ٢٣٥ .

٢ . النور : ٣٧ .

٣ . الميزان : ١٨ / ١٢٥ - ١٢٦ .

٤ . العنكبوت : ٤٣ .

## التمثيل السادس والثلاثون

( يَلْبَسُونَ نَجْوًا أَعْمَلْتُمْ وَسِرَابًا بُقِيعَةً يُسَبِّحُ بِهَا ظَمِيمًا مُطْحَقًا إِذْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ شَيْئًا )  
 وَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ فَوْقَاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ . (١)

## تفسير الآية

« السراب » : ما يرى في الفلاة من ضوء الشمس وقت الظهيرة يسرب على وجه الأرض كأنه ماء يجري ، و « البقعة » : بمعنى القاع أو جمع قاع ، وهو المنبسط المستوي من الأرض ، والظمان هو العطشان.

يشبه سبحانه أعمال الكفار تارة بالسراب كما في هذه الآية ، وأخرى بالظلمات كما في التمثيل الآتي ، ولعل المشبه في الأول هو حسناتهم ، وفي الثاني قبائح أعمالهم.

وإليك توضيح التمثيل الوارد في الآية :

قال سبحانه : ( **مَلَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالَهُمْ** ) أي ما يعملون من الطاعات ويقدمون من قرابين وأذكار يتقربون بها إلى آلهتهم ، مثلها كـ ( **سراب بقية يحسبه الظمان ماء** ) .

---

١ - النور : ٣٩ .

فقد وصف الظمآن بصفات عديدة :

الأولى : حسيان السراب ماءً ، كما قال سبحانه : ( كَسْرَابٍ بَقِيْعَةٌ يَحْسِبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً ) .

الثانية : إذا وصل إلى السراب لم يجده شيئاً نافعاً ، كما قال سبحانه ( حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ) وإنما خصّ الظمآن به مع أنّ السراب يتراءى ماء لكلّ راءٍ ، لأن المقصود هو مجيء الرائي إلى السراب ، ولا يجيئه إلاّ الظمآن ليرتوي ويرفع عطشه .

الثالثة : عند ما يشرف على السراب لا يجد فيه ماءً ، ولكن يجد الله سبحانه عنده ، كما قال سبحانه : ( وَوَجَدَ اللهُ عنده ) .

وهذا خبر عن الظمآن ، ولكن المقصود منه في هذه الجملة هو الكافر ، والمعنى وجد أمر الله ووجد جزاء الله ، وذلك عند حلول أجله وشرافه على الآخرة .

فالكافر يتصوّر أنّ ما يقدم من قرابين وأذكار سوف ينفعه عند موته وبعده ، وسوف تقوم الآلهة بالشفاعة له ، ولكن يتجلّى له خلاف ذلك وان الأمر أمر الله لا أمر غيره فلا يجدون أثراً من ألوهية آلهتهم .

فعند ذلك يجدون جزاء أعمالهم ، كما يقول سبحانه : ( فَوَقَّاهُمْ اللهُ حَسَابِهِمْ ) .

ثم إنّه سبحانه يصف نفسه بقوله : ( وَلِلَّهِ سَرِيْعُ الحِسَابِ ) .

وبذلك تبين ان الآية المباركة لبيان حال الظمآن الحقيقي إلى قوله : ( لم يجده شيئاً ) ، كما أنّها من قوله ( ووجد ... ) يرجع إلى الظمآن لكن بالمعنى المجازي وهو الكافر .

وحاصل التمثيل هو أنّ الطاعة والعبادة والقربات كلها لله تبارك وتعالى ، فمن قدمها إليه وقام بها لأجله فقد بذر بذرة في أرض خصبة سوف ينتفع بها في لقاءه سبحانه .  
وأما من عبد غيره وقدم إليه القربات راجياً الانتفاع به ، فهو كرجاء الظمان الذي يتصور السراب ماء فيحييه لينتفع به ولكنه سرعان ما يرجع خائباً .  
إلى هنا تمّ ما يشترك فيه الظمان والكافر ، أي المشبه به والمشبه ، ولكن المشبه ، أعني : الكافر الذي شبه بالظمان فهو يختص بأمور أخرى .  
أولاً : أنّه عند مجيئه إلى الانتفاع بأعماله يجد الله هو المجازي لا غير .  
وثانياً : أنّه سبحانه يجزيه بأعماله .  
وثالثاً : فيوفيه حسابه .  
وما ذلك إلا لأن الله سريع الحساب .  
وعلى ضوء ما ذكرنا فقد رأيد من الظمان الاسم الظاهر الظمان الحقيقي ، وأريد من الضمائر الثلاثة في « وجد » « وقاه » « حسابه » الظمان المجازي أعني الكافر الخائب .

## التمثيل السابع والثلاثون

( وَأَكْظَلُّمَاتٍ فِي بَحْرِ الْجَبِّي يَعْتَشَاهُ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا  
 قَدْ بَغَضَتْ لِأَخْرَجَ يَدَهُمْ كَدًّا رَهَطًا مِّنْ ۚ يَجْعَلُ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ ) .<sup>(١)</sup>  
 تفسير الآية

« اللجي » : منسوب إلى اللجة ، وهي في اللغة البحر الواسع العميق ، ولكنه استخدم في لازم معناه وهو تردد أمواجه ، فإنّ البحر كلما كان عميقاً وواسعاً تزداد أمواجه ، وعلى ذلك فيكون المراد من قوله ( بحر لجي ) أي بحر متلاطم.  
 و « السحاب » : عبارة عن الغيوم الممطرة ، بخلاف الغيم فهو أعم ، وأما استخدم كلمة السحاب ليكون سبباً لزيادة الظلم.

هذا ما يرجع إلى تفسير مفردات الآية ، وأما المقصود فهو كالتالي .  
 أنّ سبحانه شبه في الآية السابقة أعمال الكافرين ، لأجل عدم الانتفاع بها بالسراب الذي يحسبه الظمان ماء ، ولكنّه تعالى شبه أعمالهم في هذه الآية بالظلمة وخلوها من نور الحق ببحر لجي فوقه سحابة سوداء ممطرة ويعلو ماءه

---

١ . النور : ٤٠ .

موج فوق موج ، فراكب هذا البحر تغمره ظلمة دامسة لا يرى أمامه شيئاً حتى لو أخرج يده فأنه لا يراها مع قريها منه .

هذا هو المشبه به ، وأما المشبه فالأعمال التي يقوم بها الكافر باطلة محضة ليس فيها من الحق شيء مثل هذا البحر اللجي المحيط به عتمة الظلام الذي ليس فيه نور .  
ثم إن الآية تشير إلى ظلمات ثلاث .

الأولى : ظلمة البحر المحجوب من النور .

الثانية : ظلمة الأمواج المتلاطمة .

الثالثة : السحاب الأسود الممطر .

فتراكم هذه الظلمات يحجب كل نور من الوصول ، وهكذا الحال في الكافر ففي أعماله ظلمات ثلاث يمكن بيانها بأجزاء مختلفة :

النحو الأولى : ظلمة الاعتقاد ، ظلمة القول ، ظلمة العمل .

النحو الثاني : ظلمة القلب ، ظلمة البصر ، ظلمة السمع .

النحو الثالث : ظلمة الجهل ، ظلمة الجهل بالجهل ، ظلمة تصوّر الجهل علماً .<sup>(١)</sup>

ويمكن أن تكون هذه الظلمات المتراكمة إشارة إلى أمر آخر وهو إصرار الكافر المتزايد على كفره وقبائح أعماله .

ولذلك يصفه سبحانه بقوله : ( ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور ) .

---

١ . انظر تفسير الفخر الرازي : ٢٤ / ٨ - ٩ .

## إيقاظ

ثم إنَّ بعض المؤلفين في أمثال القرآن ذكروا الآية التالية واعتبروها من الأمثال ، قال سبحانه : ( وَقَالُوا مَا لِهَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا \* وَأَلَّا يُلْقَىٰ إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنَّا تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا \* انظر كيف ضَرَبُوا لك الأمثال فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ) . (١)

ولكن الآية رغم ما جاء فيها من لفظ الأمثال ليست من قبيل التمثيل ، وإنما هي بصدد نقل ما وصف به النبي ﷺ في لسان الكفار ، حيث وصفوه بأنه يأكل الطعام ، ويمشي في الأسواق ، فلا يصلح للرسالة.

ثم نعموا منه بأننا سلمنا أنه رسول ، ولكنَّه لماذا لا ينزل إليه ملك فيكون معه نذيراً ليتصل إنذاره بالغيب بتوسط الملك ؟

ثم نعموا منه أيضاً بأنه لماذا لم يُلقَ إليه كنز من السماء حتى يصرفه في حوائجه المادية ، أو لماذا لا تكون له جنة يأكل منها ، ثم في الختام وصفوه بأنه مسحور.

فقال سبحانه اعتراضاً وتنديداً بوصفهم النبي ﷺ إيجاباً وسلباً بقوله ( انظر كيف ضَرَبُوا لك الأمثال ) أي انظر كيف وصفوك تارة بأنك تأكل وتمشي في الأسواق ، وأخرى بعدم اقترانك بملك ، وثالثة بالفقر ، ورابعة بكونك مسحوراً بتخييل أنه رسول يأتيه ملك الوحي بالرسالة والكتاب.

وليس هاهنا مشبه ولا مشبه به ولا تمثيل ليعين موقف الرسول ، ولأجل ذلك صرَّحنا في المقدمة أنه ليس من الأمثال القرآنية.

---

١ . الفرقان : ٩ - ٧ .

## العنكبوت

٣٨

### التمثيل الثامن والثلاثون

( مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بِعَبَثٍ رِجْلًا خَفِيًّا وَمَنْ يَدْعُنَا إِلَى تَبَعِنَا وَإِنَّا لَآتُونَكَ الْبُيُوتَ لَبِيتٍ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ \* وَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ \* وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ) .<sup>(١)</sup>

### تفسير الآيات

ضرب سبحانه لآلهة المشركين مثلاً بالذباب تارة ، وبيت العنكبوت أخرى ، أما الأول فقد مضى البحث عنه ، وأما الثاني فهو ما تضمنته الآية من تشبيه آلهة المشركين ومعبوداتهم المزيفة بأوهن البيوت وهو بيت العنكبوت .

وقد مرَّ أنَّ التشبيه يترك تأثيراً بالغاً في النفوس مثل تأثير الدليل والبرهان ، فتارة ينهى عن الغيبة ويقول : لا تغتب فإنه يوجب العذاب ويورث العقاب ، وأخرى يمثل عمله بالمثل التالي : وهو ان مثل من يغتاب مثل من يأكل لحم الميت ، لأنك نلت من هذا الرجل وهو غائب لا يفهم ما تقول ولا يسمع حتى يجيب ، فكان نيلك منه كعمل من يأكل لحم الميت وهو لا يعلم ما يفعل به ولا

١ . العنكبوت : ٤١ - ٤٣ .

يقدر على الدفع.

ثم إنّ الغرض من تشبيه الآلهة المزيفة بهوام وحشرات الأرض كالبعوض والذباب والعنكبوت هو الحط من شأنها والاستهزاء بها.

إنّ العنكبوت حشرة معروفة ذكورها أصغر أجساداً من إناثها ، وهي تتغذى من الحشرات التي تصطادها بالشبكة التي تمدّها على جدران البيوت ، فتصنع تلك الشبكة من مادة تفرزها لها غدد في باطنها محتوية على سائل لزج تخرجه من فتحة صغيرة ، فيتجدد بمجرد ملامسته للهواء ويصير خيطاً في غاية الدقة ، وما أن تقع الفريسة في تلك الشبكة حتى تنقض عليها وتنفت فيهما سماً يوقف حركاتها ، فلا تستطيع الدفاع عن نفسها. <sup>(٦)</sup>

ومع ذلك فما نسجته بيتاً لنفسها من أوهم البيوت ، بل لا يليق أن يصدق عليه عنوان البيت ، الذي يتألف من حائط هائل ، وسقف مظلّ ، وباب ونوافذ ، وبيتها يفقد أبسط تلك المقومات هذا من جانب ، ومن جانب آخر فإنّ بيتها يفتقد لأدنى مقاومة أمام الظواهر الجوية والطبيعية ، فلو هبّ عليه نسيم هادئ لمزق النسيج ، ولو سقطت عليه قطرة من ماء لتلاشى ، ولو وقع على مقربة من نار لاحترق ، ولو تراكم عليه الغبار لمزق.

هذا هو حال المشبه به ، والقرآن يمثل حال الآلهة المزيفة بهذا المثل الرائع. وهو أنّها لا تنفع ولا تضرّ ، لا تخلق ولا ترزق ، ولا تقدر على استجابة أي طلب.

بل حال الآلهة المزيفة الكاذبة أسوأ حالاً من بيت العنكبوت ، وهو أنّ العنكبوت تسج بيتها لتصطاد به الحشرات ولولاه لماتت جوعاً ، ولكن الأصنام والأوثان لا توفر شيئاً للكافر.

---

١ . انظر دائرة معارف القرن الرابع عشر : ٦ / ٧٧٢ .

وبذلك تقف على عظمة التمثيل الوارد في قوله : ( **هِنَّ وَأَهْنُ الْبُيُوتِ لَبِيَّتِ الْعَنْكَبُوتِ  
لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ** ) .

ثم إن قوله : ( **لو كانوا يعلمون** ) ليس قيّداً لقوله : ( **وَأَهْنُ الْبُيُوتِ لَبِيَّتِ الْعَنْكَبُوتِ** ) ، لأنه من الواضح لكلّ أحد أنّ بيت العنكبوت في غاية الوهن ، وأنّما هو من متمّمات قوله : ( **اتخذوا** ) أي لو علموا أنّ عبادة الآلهة كاتخاذ العنكبوت بيتاً سخيفاً ، ربما أعرضوا عنها .

ثمّ إنّ سبحانه أردف المثل بآية أخرى ، وقال : ( **لِإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** ) والظاهر ان « ما » في قوله : ( **ما يدعون** ) موصولة ، أي أنّه يعلم ما يعبد هؤلاء الكفار وما يتخذونه من دونه أرباباً . ولكن علمهم لا يضر إذ هو العزيز الذي لا يغالب فيما يريد والحكيم في جميع أفعاله .

ثم قال سبحانه : ( **وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ** ) أي نذكر تلك الأمثال ، وما يفهمها إلاّ العلماء العاقلون .

## التمثيل التاسع والثلاثون

( وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ مِثْلَ مِثْلِ الْأَرْضِ كُلُّ لَهُ قَانِتُونَ \* وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَىٰ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ \* ضَبْرٌ لَكُمْ مِثْلًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَفَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَجَافَوْنَهُمْ كَخَيْفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ) .<sup>(١)</sup>

« القانت » : هو الخاضع ، الطائع ، فقلوه : ( كل له قانتون ) أي خاضعون وطائعون له في الحياة والبقاء والموت والبعث ، وبالجملة كل ما في الكون مقهور لله سبحانه .  
ثم إن هذه الآيات تتضمن برهانا على إمكان المعاد وتمثيلا على بطلان الشرك في العبادة ، أمّا البرهان فقلوه سبحانه : ( وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ مِثْلَ مِثْلِ الْأَرْضِ كُلُّ لَهُ قَانِتُونَ ) واللام في قوله « وله » للملكية ، والمراد منه الملكية التكوينية ، كما أنّ قنوطهم وخضوعهم كذلك ، ومفاد الآية أنّ زمام ما في الكون بيده سبحانه ، والكل مستسلمون لمشيئته سبحانه دون فرق بين الصالحين والطالحين ، وذلك لأنه سبحانه

---

١ - الروم : ٢٦ - ٢٨ .

هو الخالق الذي يدبر العالم كيفما يشاء ، والمربوب مستسلم لربه .  
ثم إنَّه سبحانه ربُّ على ذلك مسألة إمكان المعاد ، بقوله : ( وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ  
ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَىٰ عَلَيْهِ ) .

وحاصل البرهان : إنَّه سبحانه قادر على الخلق من العدم . كما هو المفروض . فالقادر  
على ذلك قادر على الإعادة ، إذ ليس هو إعادة من العدم ، بل إعادة لصورة الأجزاء  
المتماسكة وتنظيم المتفرقة ، فالخالق من لا شيء أولى من أن يكون خالقاً من شيء .  
ثم إنَّ هذه الأولوية حسب تفكيرنا ورؤيتنا ، وإلا فالأُمور الممكنة أمام مشيئته سواء ،  
قال على ؑايشيلا :

وما الجليل واللطيف ، والثقيل والخفيف ، والقوى والضعيف في خلقه إلا سواء .<sup>(١)</sup>  
ولأجل توضيح هذا المعنى ، قال سبحانه : ( وَلِيَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ  
وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ) والمراد من المثل الوصف ، والمراد من المثل الأعلى هو الوصف الأتم  
والأكمل ، الذي له سبحانه ، فهو علم كله ، قدرة كله ، حياة كله ، ليس لأوصافه حد .  
إلى هنا تمَّ ما ذكره القرآن من البرهان على إمكانية قيام المعاد بجشر الأجسام .  
وإليك بيان الأمر الثاني وهو التنديد بالشرك في العبادة من خلال التمثيل الآتي .

---

١ . نهج البلاغة : الخطبة ١٨٥ .

ألقى سبحانه المثل بصورة الاستفهام الإنكاري ، وحاصله : هل ترضون لأنفسكم أن تكون عبيدكم وإماؤكم شركاء لكم في الأموال التي رزقناكم إياها على وجه تخشون التصرف فيها بغير إذن هؤلاء العبيد والإماء ورضاً منهم ، كما تخشون الشركاء الأحرار. والجواب : لا ، أي لا يكون ذلك أبداً ولا يصير المملوك شريكاً لمولاه في ماله ، فعندئذٍ يقال لكم : كيف تجوزون ذلك على الله ، وأن يكون بعض عبيده المملوكين كالملائكة والجن شركاء له ، أما في الخالقية أو في التدبير أو في العبادة.

والحاصل : ان العبد المملوك وضعاً لا يصح أن يكون في رتبة مولاه على نحو يشاركه في الأموال ، فهكذا العبد المملوك تكويناً لا يمكن أن يكون في درجة الخالق المدبر فيشاركه في الفعل ، كأن يكون خالقاً أو مدبراً ، أو يشاركه في الصفة كأن يكون معبوداً. فالشيء الذي لا ترضونه لأنفسكم ، كيف ترضونه لله سبحانه ، وهو رب العالمين؟ وإلى ذلك المثل أشار ، بقوله :

( ضَبْرَ ٱللّٰهَ لَكُمْ مِثْلًا مِّنْ ٱنْفُسِكُمْ ) أي ضرب لكم مثلاً متخذاً من أنفسكم منتزعا من حالاتكم ( هَلْ لَّكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ ٱيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَآءٍ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ ) فقوله : ( هل لكم ) شروع في المثل المضروب ، والاستفهام للإنكار ، وقوله « ما » في ( مما ملكت ) إشارة إلى النوع أي من نوع ما ملكت أيمانكم من العبيد والإماء.

فقوله : ( من شركاء فيما رزقناكم فأنتم فيه سواء ) مبين للشركة ، فقوله شركاء مبتدأ والظرف بعده خبره ، أي شركاء فيما رزقناهم على وجه تكونون فيه سواء ، وعلى ذلك يكون من في شركاء ، زائدة.

فقوله : ( تخافونهم كخيفتكم أنفسكم ) بيان للشركة ، أي يكون العبيد كسائر الشركاء الأحرار ، فكما أنّ الشريك يخاف من شركائه الأحرار ، كذلك يخاف من عبده الذي يعرف أنّه شريك كسائر الشركاء .

ثمّ إنّ يتم الآية ، بقوله : ( كذلك نُفَصِّلُ الآياتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ) ، وعلى ذلك فالمشبهه هو جعل المخلوق في درجة الخالق ، والمشبه به جعل المملوك وضعاً شريكاً للمالك .

التمثيل الأربعون

( وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمَنْ كَلَّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حَلِيَّةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاحِرَ لَتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ) .<sup>(١)</sup>

تفسير الآية

« الفرات » : الماء العذب ، يقال للواحد والجمع ، قال سبحانه : ( وَأَسْبَقِينَاكُمْ مَاءِ فُرَاتًا ) ، وعلى هذا يكون عذب قيداً توضيحياً .  
 « الأُجَاج » : هو شديد الملوحة والحرارة من قولهم أجيح النار .  
 « مواخر » من مخر ، يقال مخرت السفينة مخرأً ، إذا شقت الماء بجوئها مستقبلة له .  
 فالآية بصدد ضرب المثل في حق الكفر والإيمان ، أو الكافر والمؤمن .  
 وحاصل التمثيل : انّ الإيمان والكفر متميزان لا يختلط أحدهما بالآخر ، كما أنّ الماء العذب الفرات لا يختلط بالملح الأُجَاج .  
 وفي الوقت نفسه لا يتساويان في الحسن والنفع ، قال سبحانه : ( وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ) بل ان

١ . فاطر : ١٢ .

الكافر أسوأ حالا من البحر الأجاج الذي يشاطر البحر الفرات في أمرين :  
أ : يستخرج من كلّ منهما لحماً طرياً يأكله الإنسان ، كما قال سبحانه : ( وَمَنْ كَلَّ  
تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا ) .

ب : يستخرج من كلّ منهما اللآلئ التي تخرج من البحر بالغوص وتلبسونها وتزينون بها .  
إلى هنا تمّ التمثيل ، ثمّ إنّه سبحانه شرع لبيان نعمه التي نزلت لأجلها السورة ، وقال :  
( وَتَرَى الْفَلَكَ فِيهِ مَوَاحِرَ لَتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ) ، والدليل على أنّه ليس  
جزء المثل تغير لحن الكلام ، حيث إنّ المثل ابتداء بصيغة الماضي ، وقال : ( وَمَا يَسْتَوِي  
البحران ) ولكن ذيله جاء بصيغة المخاطب ( وترى الفلك ) وهذا دليل على أنّه ليس  
جزء المثل .

مضافاً إلى أنّ مضمون الجملة جاء في سورة النحل ، وقال : ( وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ  
لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حَبْلًا حَلِيَّةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفَلَكَ مَوَاحِرَ فِيهِ وَلَتَبْتَغُوا مِنْ  
فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ) .<sup>(١)</sup>

وبذلك يظهر أنّ وزن الآية ، وزان قوله سبحانه : ( ثُمَّ قَسَبْتَ قُلُوبَكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ  
فَهِىَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَأَنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ  
فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ) .<sup>(٢)</sup>  
فكما أنّ الحجارة ألين من قلوبهم ، فهكذا الملح الأجاج أفضل من الكافر ، حيث إنّّه  
يفيد .

١ - النحل : ١٤ .

٢ - البقرة : ٧٤ .

التمثيل الواحد والأربعون

( وَمَا يَسْتَجِوِبُ الْأَعْمَىٰ وَلَبَصِيرٍ \* وَلَا الظُّلُمَاتِ وَلَا النُّورِ \* لَا يَظْلِمُ لُ لَا لِحَرُورٍ \* وَمَا يَسْتَجِوِبُ الْأَحْيَاءِ وَلَا الْأَمْوَاتِ لِلَّهِ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ و مَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَن فِي الْقُبُورِ ) .<sup>(١)</sup>

تفسير الآيات

« الحرور » : شدة حرّ الشمس ، وقيل : هو السموم. وقال الراغب : الحرور : الريح الحارة.

هذا تمثيل للكافر والمؤمن ، أما الكافر فقد شبّهه بالصفات التالية :

١ . الأعمى ، ٢ . الظلمات ، ٣ . الحرور ، ٤ . الأموات .

كما شبّه المؤمن بأضدادها التالية :

١ . البصير ، ٢ . النور ، ٣ . الظل ، ٤ . الأحياء .

وما ذلك إلاّ لأنّ الكافر لأجل عدم إيمانه بالله سبحانه وصفاته وأفعاله ، فهو أعمى البصر تغمره ظلمة دامسة لا يرى ما وراء الدنيا شيئاً ، وتحيط به نار ،

---

١ . فاطر : ١٩ - ٢٢ .

قال سبحانه : ( ان جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ )<sup>(١)</sup> وظاهر الآية انّ النار محيطة بهم في هذه الدنيا وإن لم يشعروا بها ، كما أنّه ميت لا يسمع نداء الأنبياء وإن كان حياً يمشي ، وهذا بخلاف المؤمن فأنّه يبصر بنور الله يغمره نور زاهر. يرى دوام الحياة إلى ما بعد الموت ، فهو في ظل ظليل رحمته ، وأنّه يسمع نداء الأنبياء ويؤمن به.  
وبعبارة واضحة : الكافر مجالد مكابر ، والمؤمن واعٍ متدبر.

---

١ . التوبة : ٤٩ .

## التمثيل الثاني والأربعون

(ظ ن ب ° بَم مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ \* ذَرِّبْنَا لَكُمْ شَيْئًا ۚ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَبَّوْنَا بِهَذَا فَمَا لَكُمُ الْمُرْسَلُونَ \* قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ نَبِيٍّ إِلَّا تَكْذُوبٌ \* قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ \* وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ \* لَمَّا طَرَ يَاسِرٌ كُفْرًا ۚ تَنْتَهُوْا لِنَرْجِمَنَّكُمْ مِثْلًا مِثْلُنَا أَلَيْسَ بِالْعَاقِبَةِ لَكُمْ ۙ كَيْدٌ ۚ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ \* وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ \* اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْئَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُّهْتَدُونَ \* وَمَالِي لَا أُعْبِدُ الَّذِي فَطَرَنِي هَلْ يَكُنْ لِي شُرَكَاؤُا \* تَخَذُوا مِنْهُ وَلَهُ لَهْبَةٌ ۚ بَلَىٰ الرَّحْمَنُ بِضُرِّي لَا تُغْنِي عَنْي شِفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُون \* إِنِّي إِذًا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ \* إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمِعُون \* قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ \* بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ \* وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُودٍ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ \* نَبِيٌّ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَيَا أَيُّهَا خَامِدُونَ \* يَا حَسْبَ عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (١) .

## تفسير الآيات

« التعزيز » : النصره مع التعظيم ، يقول سبحانه في وصف النبي ﷺ ( قَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ )<sup>(١)</sup>

« طير » : تطير فلان وإطير ، أصله التناول بالطير ، ثم يستعمل في كل ما يتفائل به ويتشام ، فقله ( إِنَّا تَطِيرُنَا بِكُمْ ) أي تشاءمنا بكم .

وبذلك يظهر معنى قوله : ( إِنَّمَا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ ) أي ان الذي ينبغي أن تتشاموا به هو معكم ، أعني : حالة إعراضكم عن الحق الذي هو التوحيد وإقبالكم على الباطل .

« الرجم » : الرمي بالحجارة .

« الصيحة » : رفع الصوت .

هذا التمثيل تمثيل إخباري يشرح حال قوم بعث الله إليهم الرسل ، فكذبوهم وجادلوهم بوجوه واهية .

ثم أقبل إليهم رجل من أقصى المدينة يدعوهم إلى متابعة الرسل بحجة ان رسالتهم رسالة حقّة ، ولكنّ القوم ما أمهلوه حتى قتلوه ، وفي هذه الساعة عمّت الكاذبين الصيحة فأهلكتهم عامة ، فإذا هم خامدون .

هذا إجمال القصة وأما تفصيلها :

فقد ذكر المفسرون ان المسيح عيسى بعث إلى قرية انطاكية رسولين من الحواريين باسم : شمعون ويوحنا ، فدعيا إلى التوحيد ونّدا بالوثنية ، وكان القوم وملكهم غارقين في الوثنية .

---

١ . الأعراف : ١٥٨ .

وناديا أهل القرية بأنّا إليكم مرسلون ، فواجهها تكذيب القوم وضربهما ، فعززهما سبحانه برسول ثالث ، واختلف المفسرون في اسم هذا الثالث ، ولا يهمننا تعيين اسمه ، وربما يقال أنّه « بولس » . فعند ذلك أخذ القوم بالمكابرة والمجادلة والعناد ، محتجين بوجوه واهية :

أ : أنّكم بشر مثلنا ولا مزية لكم علينا ، وما تدعون من الرسالة من الرحمن ادّعاء كاذب ، فأجابهم الرسل بأنّه سبحانه يعلم أنّا لمرسلون إليكم ، وليس لنا إلاّ البلاغ كما هو حق الرسل .

ب : أنّنا نتشاءم بكم ، وهذه حجة العاجز التي لا يستطيع أن يحتج بشيء ، فيلوذ إلى اتّهامهم بالتشاؤم والتطيّر .

ج : التهديد بالرجم إذا أصرّ على إبلاغ رسالتهم والدعوة إلى التوحيد والنهي عن عبادة الأوثان ، وقد أجاب الرسل بجوابين :

الأوّل : أنّ التشاؤم والتطيّر معكم ، أي أعمالكم وأحوالكم ، وابتعادكم عن الحق ، وانكبابكم على الباطل هو الذي يجز إليكم الويل والويلات .

الثاني : انكم قوم مسرفون ، أي متجاوزون عن الحد .

كان الرسل يحتجون بدلائل ناصعة وهم يردون عليهم بما ذكر ، وفي خضمّ هذه الأجواء جاء رجل من أقصى المدينة نصر وعزّز قول الرسل ودعوتهم محتجاً بأنّ هؤلاء رسل الحقّ ، وذلك للأُمور التالية :

أوّلا : أنّ دعوتهم غير مرفقة بشيء من طلب المال والجاه والمقام ، وهذا دليل على إخلاصهم في الدعوة ، وقد تحمّلوا عناء السفر وهم لا يسألون شيئاً .

ثانيا : أنّ اللاتق بالعبادة من يكون خالفاً أو مديراً للعالم ، ومن بيده مصيره

في الدنيا والآخرة وليس هو إلا الله سبحانه الذي ينفعي ، فكيف أترك عبادة الخالق الذي بيده كل شيء ، وأتوجه إلى عبادة المخلوق ( الآلهة المزيفة ) التي لا تستطيع أن تدفع عني ضرا ولا تنفعي شفاعتهم؟! فلو اتخذت إلهاً غيره سبحانه كنت في ضلال مبين ، فلما تم حجاجه مع القوم وعزز الرسل وبين برهان لزوم اتباعهم ، أعلن ، وقال : أيها الناس : ( **إني آمنت بربكم فاسمعون** ) .

ثم يظهر من القرائن أنّ القوم هجموا عليه وقتلوه ، ولكنّه سبحانه جزاه ، فأدخله الجنة ، وهو فرح مستبشر يود لو علم قومه بمصيره عند الله .  
فلما تبينّ عناد القوم وقتل من احتج عليهم بحجج قوية نزل عذابه سبحانه ، فعمّتهم صيحة واحدة أعمدت حياتهم وصيّرتهم جماداً .  
ففي هذه اللحظة الحاسمة التي يختار الإنسان الضلالة على الهداية ، والباطل على الحقّ ، يصح أن يخاطبهم سبحانه ، ويقول :

( **يا حسرة على العباد ما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزءون** ) .

هذه حقيقة القصة استخرجناها بعد الإمعان في الآيات ، وقد أطنب المفسرون في سرد القصة ، نقلاً عن مستسلمة أهل الكتاب الذين نشروا الأساطير بين المسلمين ، نظراء وهب بن منبّه ، فلا يمكن الاعتماد على كلّ ما جاء فيها .<sup>(١)</sup>  
ثم إن في الآيات نكات جديدة بالمطالعة :

**الأولى** : يذكر المفسرون ان الرسولين لم يكونا مبعوثين من الله مباشرة ، وأنما بعثا من قبل المسيح **عليه السلام** . مثل الرسول الثالث ، ولما كان بعث المسيح بأمر من الله سبحانه ، نسب فعل المسيح إليه سبحانه ، وقال : ( **إذ أرسلنا إليهم اثنين** ) .

---

١ . لاحظ مجمع البيان : ٤ / ٤١٨ - ٤٢٠ .

الثانية : لقد وقفت على أنّ القوم قاموا بالجدال والعناد ، فقالوا : ما أنتم إلاّ بشر مثلنا ،  
والجملة تحتل وجهين :

الوجه الأوّ : أنتم أيّها الرسل بشر ، والبشر لا يكون رسولاً من الله ، وعلى هذا فالمانع  
من قبول رسالاتهم كون أصحابها بشراً.

الوجه الثاني : ان المانع من قبول دعوة الرسالة هي عدم توفر أي مزية في الرسل ترجحهم  
، ويشعر بذلك قوله : « مثلنا » وإلا فلو كان الرسل مزودين بشيء آخر ربما لم يصح لهم  
جعل المماثلة عذراً للرب .

الثالثة : أنّ القصة تنمُّ عن أنّ منطق القوة كان منطق أهل اللجاج ، فالقوم لما عجزوا عن  
رد برهانهم التجأوا إلى منطق القوة ، بقتل دعاة الحق وصلحائه ، وقالوا : ( لئن لم تنتهوا  
لنرجمَنَّكم ) .

الرابعة : أنّ التطير كان سلاح أهل العناد والمكابرة ، ولم يزل هذا السلاح بيد العنادة  
الجاحدين للحق ، فيتطيرون بالعابد ، وغير ذلك .

الخامسة : يظهر من صدر الآيات أنّ الرسل بعثوا إلى القرية ، وقد تطلق غالباً على  
المجتمعات الكبيرة والصغيرة ، ولكن قوله : ( وجاء من أقصى المدينة رجل ) يعرب أنّها  
كانت مدينة ومجتمعاً كبيراً لا صغيراً .

السادسة : أنّ سبحانه يصف الرجل الرابع الذي قام بدعم موقف الرسل بأنّه كان من  
أقصى المدينة ، وما هذا إلاّ لأجل الإشارة إلى عدم الصلة والتواطئ بينه وبين الرسل ،  
ولذلك قدّم لفظ أقصى المدينة على الفاعل ، أعني : « رجل » ، وقال : ( وجاء من  
أقصى المدينة ) .

السابعة : ان قوله : ( ومالي لا أعبد الذي فطرني ) دليل على أن العبادة هي

الخضوع النابع عن الاعتقاد بخالقية المعبود ومدبريته ، وماله من الأوصاف القريبة من ذلك ، ولذلك يرى أنّه يعلل إيمانه وتوحيده ، بقوله : ( ما لي لا أعبد الذي فطرني ) .  
كما أنّه يعلل حصر عبادته له وسلبها عن غيره ، بعجزهم عن رد ضرّ الرحمن بعدم الجدوى في شفاعتهم .

الثامنة : قلنا أنّ القرائن تشهد بأنّ من قام بالدعوة إلى طريق الرسل من القوم ، قتل عند دعوته وجازاه الله سبحانه بأن أدخله الجنة ، والمراد من الجنة هو عالم البرزخ لا جنة الخلد التي لا يدخلها الإنسان إلا بعد قيام الساعة .

التاسعة : كما أنّ في كلام الرجل المقتول ، بقوله : ( يا لَيْتَ قومي يعلمون بما غفر لي ربي ) دليلاً على وجود الصلة بين الحياة البرزخية والمادية ، حيث أبلغ بلاغاً إلى قومه ، وتمنى أن يقفوا على ما أنعم الله عليه بعد الموت ، حيث قال : ( قيل ادخل الجنة قال يا لَيْتَ قومي يعلمون ) .

### التمثيل الثالث والأربعون

(وَإِذَا يَرَى الْإِنْسَانَ أَنبَا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ \* وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا  
وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ \* قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ  
خَلْقٍ عَلِيمٌ) .<sup>(١)</sup>

#### تفسير الآيات

روى المفسرون أنّ أبي بن خلف ، أو العاص بن وائل جاء بعظم بالٍ متفتت ، وقال : يا  
محمد أتزعم أنّ الله يبعث هذا ، فقال : نعم ، فنزلت الآية ( **وَأَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانَ** ) .  
فضرب الكافر مثلاً ، وقال : كيف يحيي الله هذه العظام البالية ؟  
وضرب سبحانه مثلاً آخر ، وهو أنّه يحييها من أنشأها أولاً ، فمن قدر على إنشائها  
ابتداءً يقدر على الإعادة ، وهي أسهل من الإنشاء والابتداء ، وقد عرفت أنّ إطلاق لفظ  
الأسهلية إنّما هو من منظار الإنسان ، وأمّا الحقّ جلّ وعلا فكل الأشياء أمامه سواء .  
قال سبحانه : ( **وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا** ) أي ضرب مثلاً في إنكار البعث بالعظام

١ - يس : ٧٧ - ٧٩ .

البالية ، واستغرب ممن يقول انّ الله يحيي هذه العظام ونسي خلقه ( قال من يحيي العظام وهي رميم ) ومثل سبحانه بالرد عليه بمثال آخر ، وقال : ( قل يحييها الذي أنشأها أوّ مرة وهو بكل خلق عليم ) من الابتداء والاعادة ، وقد مرّ هذا المثل بعبارة أخرى في قوله : ( وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَىٰ عَلَيْهِ ) .<sup>(١)</sup>

---

١- الروم : ٢٧ .

التمثيل الرابع والأربعون

( وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ \* قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِجْجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ \* ضَبَرَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَجَلَّا سَبْكَمَا لِرَجُلٍ هَبَلٍ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ) . (١)

« الشكس » : السيء الخلق ، يقال : شركاء متشاكسون ، أي متشاجرون لشكاسة خلقهم .

« سلما » : أي خالصا لا يملكه إلا شخص واحد ولا يخدم إلا إياه .

هذه الآيات تمثل حالة الكافر والمؤمن ، فهناك مشبه ومشبه به .

أما المشبه به ، فهو عبارة عن عبد مملوك له شركاء سيئ الخلق متنازعون فيه ، فواحد يأمره وآخر ينهاه ، وكلّ يريد أن يتفرد بخدمته ، في مقابل عبد مملوك لرجل يطيعه ويخدمه ولا يشرك في خدمته شخصا آخر .

فهذان المملوكان لا يستويان .

وأما المشبه فحال الكافر هو حال المملوك الذي فيه شركاء متشاكسون ،

١ . الزمر : ٢٧ - ٢٩ .

فهو يعبد آلهة مختلفة لكل أمر ونهيه وخدمته ، ولا يمكن الجمع بين الآراء والأهواء المختلفة ، بخلاف المؤمن فإنه يأتمر بأمر الخالق الحكيم القادر الكريم.

وهذا المثل وإن كان مثلاً واضحاً ساذجاً مفهوماً لعامة الناس ، ولكن له بطن لا يقف عليه إلا أهل التدبر في القرآن ، فهو سبحانه بصدد البرهنة على توحيده الذي أشار إليه في قوله : ( لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ عَمَّا يُصِفُونَ ) .<sup>(١)</sup>  
وقال سبحانه : ( عَرَبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ مِمَّا يَشْرَبُونَ وَاللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ) .<sup>(٢)</sup>

---

١ . الأنبياء : ٢٢ .

٢ . يوسف : ٣٩ .

## الزخرف

٤٥

### التمثيل الخامس والأربعون

( وَكَمْ رَأَسَلْنَا مِنْ نَبِيِّ فِي الْأَوَّلِينَ \* وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ \* فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا وَمَضَى مَثَلُ الْأَوَّلِينَ ) . (١)

تفسير الآيات « البطش » : تناول الشيء بصولة ، وربما يراد منه القوة والمنعة ، يذكر سبحانه في هذه الآيات الأمم الماضية التي بعث الله سبحانه رسله إليهم ، فكفروا بأنبيائه وسخروا منهم لفرط جهالتهم وغباوتهم فأهلكهم الله سبحانه بأنواع العذاب مع ما لهم من القوة والنجدة .

هذا هو حال المشبه به ، والمشبهه عبارة عن مشركي عصر الرسالة الذين كانوا يستهزئون بالنبي ﷺ فيوعدهم سبحانه بما مضى على الأولين ، بأنه سبحانه أهلك من هو أشد قوة ومنعة من قريش وأتباعهم فليعتبروا بحالهم ، يقول سبحانه : ( كَمْ رَأَسَلْنَا مِنْ نَبِيِّ فِي الْأَوَّلِينَ ) أي الأمم الماضية ( وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ) فكانت هذه سيرة الأمم الماضية ، ولكنه سبحانه لم يضرب عنهم صفحاً فأهلكهم ، كما قال : ( فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا وَمَضَى مَثَلُ الْأَوَّلِينَ ) . أي

---

١ . الزخرف : ٦ - ٨ .

مضى في القرآن . في غير موضع منه . ذكر قصتهم وحالهم العجيبة التي حققها أن تصير مسير  
المثل .

وبعبارة أخرى : ان كفار مكة سلكوا في الكفر والتكذيب مسلك من كان قبلهم  
فليحذروا أن ينزل بهم من الحزبي مثلما نزل بالأمم الغابرة ، فقد ضربنا لهم مثلهم ، كما قال  
تعالى : ( وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُمُ الْأَمْثَالَ ) .<sup>(١)</sup>

#### إيقاظ

ثم إنّه ربما عدّ من أمثال القرآن ، قوله سبحانه : ( مِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ  
مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوِوًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ) .<sup>(٢)</sup>

كان المشركون في العصر الجاهلي يعدّون الملائكة إناثاً وبناتاً لله تبارك وتعالى ، يقول  
سبحانه : ( وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إناثًا ) فرد عليهم بقوله : ( أشهدوا  
خلقهم ستكتب شهادتهم ويسئلون ) .

وقال سبحانه : ( وَيَجْعَلُونَ لِّلْبَنَاتِ سُبْحَانَ اللَّهِ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ )<sup>(٣)</sup>

فعلى ذلك فالملائكة عند المشركين بنات الله سبحانه .

ثم إن الآية تحكي عن خصيصة المشركين بأنهم إذا رزقوا بناتاً ظلّت وجوههم مسودة  
يعلوها الغيظ والكظم ، قال سبحانه : ( مِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ) أي  
وصف الله به ، وقد عرفت أنّهم وصفوه بأنّ الملائكة بنات الله .

١ . الفرقان : ٣٩ .

٢ . الزخرف : ١٧ .

٣ . النحل : ٥٧ .

( ظل وجهه مسومًا وهو كظيم ) فليست الآية من قبيل المثل الاخباري ولا الانشائي ، وإنما هي بمعنى الوصف ، أي وصفوه بأنه صاحب بنات ، وهم كاذبون في

هذا الوصف ، فلا يصح عدّ هذه الآية من آيات الأمثال.

## الزخرف

٤٦

### التمثيل السادس والأربعون

( فَاسْبُخَفْ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ \* فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ \* فَجَعَلْنَاهُمْ سُلْفًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ ) .<sup>(١)</sup>

#### تفسير الآيات

« آسفونا » : مأخوذ من أسف أسفا إذا اشتد غضبه .

وقال الراغب : الأسف : الحزن والغضب معاً ، وقد يقال لكل واحد منهما على الانفراد ، والمراد في الآية هو الغضب .

السلف : المتقدم .

أنه سبحانه يخبر عن انتقامه من فرعون وقومه ، ويقول : فلما آسفونا ، أي أغضبونا ، وذلك بالإفراط في المعاصي والتجاوز عن الحد ، فاستوجبوا العذاب ، كما قال سبحانه : ( انتقمنا منهم ) ثم بين كيفية الانتقام ، وقال : ( فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ) فما نجا منهم أحد ( فجعلناهم سلفاً ومثلاً للآخرين ) ، أي جعلناهم عبرة وموعظة لمن يأتي من بعدهم حتى يتعظوا بهم .

فالمشبه به هو قوم فرعون واستئصالهم ، والمشبه هو مشركو أهل مكة وكفارهم ، فليأخذوا حال المتقدمين نموذجاً متقدماً لمصيرهم .

---

١ . الزخرف : ٥٤ . ٥٦ .

## الزخرف

٤٧

### التمثيل السابع والأربعون

( بِمَاءٍ رُبِّهِمْ ۖ مَثَلًا إِذَا قَوْمٌ مِنْهُ يَصُدُّونَ \* وَقَالُوا ءَاهْتُنَا حَيْرٌ مِمَّا هُوَ مَا ضَبُرْتُوهُ  
لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ \* ) ۖ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ  
\* وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ ۖ يَخْلُقُونَ \* وَإِنَّهُ لَعَلَّمَ لِلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ  
هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ )

### تفسير الآيات

« الصد » : بمعنى الانصراف عن الشيء ، قال سبحانه : ( يصدُّنَّ عنك صدوداً ) ،  
ولكن المراد منه في الآية هو ضجة الجادل إذا أحس الانتصار.  
« تمترُّ » : من المربة وهي التردد بالأمر.

ذكر المفسرون في سبب نزول الآيات ان رسول الله ﷺ لما قرأ : ( إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ  
مِن دُونِ اللَّهِ خَصَبٌ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَتُوْن \* وَكَانَ هِيَ لَأَعْلَىٰ لَهَا رُجُومًا وَكُلٌّ فِيهَا  
خَالِدُونَ \* هُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ) .<sup>(٢)</sup>

١- الزخرف : ٥٧ - ٦١ .

٢- الأنبياء : ٩٨ - ١٠٠ .

امتعضت قريش من ذلك امتعاضاً شديداً ، فقال عبد الله بن الزبيرى : يا محمد أخاصة لنا ولآهتنا أم لجميع الأمم ؟ فقال ﷺ : « هو لكم ولآهتكم ولجميع الأمم » .  
فقال : خصمتك ورب الكعبة ، ألسنت تزعم أنّ عيسى بن مريم نبي وتشي عليه خيراً ، وعلى أمته ، وقد علمت أنّ النصرارى يعبدونهما ، وعزير يعبد ، والملائكة يعبدون ، فإن كان هؤلاء في النار ، فقد رضينا أن نكون نحن وآهتنا معهم ، ففرحوا وضحكوا. (١)  
وإلى فرحهم وضجتهم ، يشير سبحانه بقوله : ( إذا قومك منه يصدون ) حيث زعموا أنّهم وجدوا ذريعة للرد عليه وإبطال دعوته ، فنزلت الآية إجابة عن جدلهم الواهي ، قال سبحانه :

( ولما ضرب ابن مريم مثلاً ) أي لما وصف المشركون ابن مريم مثلاً وشبها لآهتهم ( إذا قومك منه يصدون ) أي أحس قومك في هذا التمثيل فرحاً وجدلاً وضحكاً لما حاولوا إسكات رسول الله بجلدهم ، حيث قالوا في مقام المجادلة : ( وقالوا آهتنا خير أم هو ) يعنون آهتنا عندك ليست بخير من عيسى ، فإذا كان عيسى من حسب النار كانت آهتنا هينا .

وبذلك يعلم ان المشركين هم الذين ضربوا المثل حيث جعلوا المسيح شبيهاً ومثلاً لآهتهم ، ورضوا بأن تكون آهتهم في النار إذا كان المسيح كذلك ازيد فرح المشركين وظنوا أنّهم التجأوا إلى ركن ركين أمام منطق النبي ﷺ .

ثم إنّه سبحانه يشير في الآيات السابقة إلى القصة على وجه الاجمال ، ويجيب

---

١ . الكشاف : ٣ / ١٠٠ . لاحظ سيرة ابن هشام : ١ / ٣٨٥ ، وقد ذكرت القصة بتفصيل .

على استدلال ابن الزبيري.

أولاً : أنّهم ما أرادوا بهذا التمثيل إلاّ المجادلة والمغالبة لا لطلب الحق ، وذلك لأنّ طبعهم على اللجاج والعناد ، يقول سبحانه : ( ما ضربه لك إلاّ جدلاً بل هم قوم خصمون ) .  
وثانياً : أنّهم ما تمسكوا بهذا المثل إلاّ جدلاً وهم يعلمون بطلان دليلهم ، إذ ليس كلّ معبود حسب جهنم ، بل المعبود الذي دعا الناس إلى عبادته كفرعون لا كالمسيح الذي كان عابداً لله رافضاً للشرك ، فاستدلّاهم كان مبنياً على الجدال وإنكار الحقيقة ، وهذا هو المراد من قوله : ( ما ضربه لك إلاّ جدلاً بل هم قوم خصمون ) .

ولذلك بدأ سبحانه يشرح موقف المسيح وعبادته وتقواه وأنّه كان آية من آيات الله سبحانه ، وقال : ( لَنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مِثْلًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ ) ، أي آية من آيات الله لبني إسرائيل ، فولادته كانت معجزة ، وكلامه في المهد معجزة ثانية وإحياءه الموتى معجزة ثالثة ، فلم يكن يدعو قطّ إلى عبادة نفسه .

ثمّ إنّ سبحانه من أجل تحجيم شبهة حاجته إلى عبادة الناس ، يقول : ( وَلْيُوْا نَشَاءَ جَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُقُونَ ) أي يطيعون الله ويعبدونه ، فليس الإصرار على عبادتكم وتوحيدكم إلاّ طلباً لسعادتكم لا لتلبية حاجة الله ، وإلاّ ففي وسعه سبحانه أن يخلقكم ملائكة خاضعين لأمره .

ثمّ إنّ سبحانه يشير إلى خصيصة من خصائص المسيح ، وهي أنّ نزوله من السماء في آخر الزمان آية اقتراب الساعة .

إلى هنا تم تفسير الآية ، وأما التمثيل فقد تبين مما سبق حيث شبهوا آلهتهم بالمسيح ورضوا بأن تكون مع المسيح في مكان واحد وإن كان هو النار. فالذي يصلح لأن يكون مثلاً إنما هو قوله : ( **ولما ضرب ابن مريم مثلاً** ) وقد عرفت أنّ الضارب هو ابن الزبير ، وأما قوله : ( **وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ** ) فالمثل فيه بمعنى الآية.

**إيقاظ :**

ربما عُيِّنَ الآية التالية من الأمثال القرآنية : ( **مَلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَ مَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ \* ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ** )<sup>(١)</sup> والظاهر أنّ المثل في الآية بمعنى الوصف لا بمعنى التمثيل المصطلح ، أي تشبيه شيء بشيء ويعلم ذلك من خلال تفسير الآيات.

**تفسير الآيات**

« بال » البال : الحال التي يكثر بها ، ولذلك يقال : ما باليت بكذا بالة أي ما أكثرت به ، قال : ( **كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَصَلَحَ بَالَهُمْ** ) ، وقال : ( **فَمَا بِال الْقُبُورِ الْأُولَى** ) أي حالهم وخبرهم ، ويعبر بالبال عن الحال الذي ينطوي عليه الإنسان ، فيقال خطر كذا بيالي.<sup>(٢)</sup>

١. محمد : ٣. ٢.

٢. مفردات الراغب : ٦٧ مادة بال.

إن هذه الآيات بشهادة ما تليها تبين حال كفّار قريش ومشركي مكة الذين أشعلوا فتيل الحرب في بدر. فقال: ( ان الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ ) أي منعوا الآخرين من الاهتداء بهدى الإسلام ، فهؤلاء أضلّ أعمالهم ، أي أحبط أعمالهم وجعلها هباءً منثوراً. فلا ينتفعون من صدقاتهم وعطيائهم إشارة إلى غير واحد من صناديد قريش الذين نحروا الإبل في يوم بدر وقبله.

فيقابلهم المؤمنون كما قال: ( وَلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَ مَنُوا بِمَا نَزَّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ) .

فلو أنه سبحانه أضلّ أعمال الكافرين وأحبط ما يقومون به من صدقات ، لكنّه سبحانه من جهة أخرى جعل صالح أعمال المؤمنين كفارة لسيئاتهم وأصلح بهم. فشتان ما بين كافر وصادق عن سبيل الله ، يحبط عمله. ومؤمن بالله وبما نزل على محمد ، يكفر سيئاته بصالح أعماله. ومن هذا التقابل علم مكانة الكافر والمؤمن ، كما علم نتائج أعمالهما. ثمّ إنّه سبحانه يدلّل على ذلك بأنّ الكافرين يقتفون أثر الباطل ولذلك يضلّ أعمالهم ، وأمّا المؤمنون فيتبعون الحقّ فينتفعون بأعمالهم ، وقال: ( ذَلِكَ بَنَاءُ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ ) .

وفي ختام الآية الثانية ، قال: ( كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُم ) أي كذلك يبين حال المؤمن والكافر ونتائج أعمالهما وعاقبتهما. وعلى ذلك فالآية ليست من قبيل التمثيل ، بل بمعنى الوصف ، أي كذلك يصف سبحانه للناس حال الكافر والمؤمن وعاقبتهما. فليس هناك أي تشبيه

وتنزيل ، وإثما الآيات سيقنت لبيان الحقيقة ، فالآية الأولى تشير إلى الكافر ونتيجة عمله ، والآية الثانية تشير إلى المؤمن ومصير عمله ، والآية الثالثة تذكر علة الحكم ، وهو أنّ الكافر يستقي من الماء العكر حيث يتبع الباطل والمؤمن ينهل من ماء عذب فيتبع الحق.

### التمثيل الثامن والأربعون

( مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرَ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَعْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ) .<sup>(١)</sup>

#### تفسير الآية

« آسن » يقال : آسن الماء ، يأسن : إذا تغير ريحه تغيراً منكراً ، وماء غير آسن : أي غير نتن .

« الحميم » : الماء الشديد الحرارة .

قوله : « مثل الجنة » أي وصفها وحالها ، وهو مبتدأ خبره محذوف ، أي جنة فيها أنهار . فلو أردنا أن نجعل الآية من آيات التمثيل فلا بد من تصور مشبه وهو الجنة الموعودة ، ومشبه به وهو جنة الدنيا بما لها من الخصوصيات .

ولكن الظاهر ان الآية صيغت لبيان حال الجنة ووصفها وسماتها ، وهي كالتالي :

١- محمد : ١٥ .

١. فيها أنهار أربعة وهي عبارة عن :

أ : ( أنهار من ماء غير آسن ) أي الماء الذي لا يتغير طعمه ورائحته ولونه لطول البقاء.

ب : ( أنهار من لبن لم يتغير طعمه ) ، ولا يعتريها الفساد بمرور الزمان.

ج : أنهار من خمر لذة للشاربين ، فتقييد الخمر بكونه لذة للشاربين احتراز عن خمر الدنيا ، وقد وصف القرآن الكريم خمر الجنة في آية أخرى ، وقال : ( يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ \* بَيضَاءٍ لَبَنًا لِلشَّارِبِينَ \* لَا فِيهَا غَمٌّ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزِفُونَ ) .<sup>(١)</sup> فقوله : ( لَبَنًا لِلشَّارِبِينَ ) أي ليس فيها ما يعتري خمر الدنيا من المرارة والكراهة ، فقوله : ( لَا فِيهَا غَوْلٌ ) ، أي لا تغتال عقولهم فتذهب بها ، وقوله : ( وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزِفُونَ ) أي يسكرون. وبذلك يمتاز خمر الآخرة على خمر الدنيا.

د : أنهار من عسل مصفى وخالص من الشمع.

وهذه الأنهار الأربعة لكل غايته وغرضه : فالماء للارتواء ، والثاني للتغذي ، والثالث لبعث النشاط والروح ، والرابع لإيجاد القوة في الإنسان.

٢. وفيها وراء ذلك من كل الثمرات ، كما قال سبحانه : ( هَبْ مِنْهَا مِنْ كُفْلِ الثَّمَرَاتِ ) فالفواكه المتنوعة تحت متناول أيديهم لا عين رأتها ولا أذن سمعتها ولا خطر على قلب بشر.

٣. وفيها وراء هذه النعم المادية ، نعمة معنوية يشير إليها بقوله : ( وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ ) .

---

١ . الصفات : ٤٥ . ٤٧ .

وبذلك تبين لنا وصف الجنة وحال المتقين فيها ، بقي الكلام في تبين حال أهل الجحيم ومكانهم ، فأشار إليه بقوله :

( كمن هُو خالد في النَّار ) هذا وصف أهل الجحيم ، وأمّا ما يرزقون فهو عبارة عن الماء الحميم لا يشربونه باختيارهم وإنما يسقون ، ولذلك يقول سبحانه : ( وسقوا ماء حميما ) الذي يقطع أمعاءهم كما قال : ( فقطع أمعاءهم ) .

وعلى كلّ تقدير ، فلو قلنا : إنّ الآية تهدف إلى تشبيه جنة الآخرة بجنة الدنيا التي فيها كذا وكذا فهو من قبيل التمثيل ، وإلاّ فالآية صيغت لبيان وصف جنة الآخرة وإنّ فيها أنهاراً وثماراً ومغفرة.

والظاهر هو الثاني ، فالأولى عدم عدّ هذه الآية من الأمثال القرآنية وإنّما ذكرناها تبعاً للآخرين .

التمثيل التاسع والأربعون

( هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَرَيْنَ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا \* مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيَّمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيُغَيِّظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرًا \* وَجَزَاءُ عَظِيمًا ) .<sup>(١)</sup>

تفسير الآيات

« السيماء » : العلامة ، فقوله : ( سيماهم في وجوههم ) ، أي علامة إيمانهم في

وجوههم .

شطأ الزرع : فروخ الزرع ، وهو ما خرج منه ، وتفرع في شاطئيه أي في جانبيه وجمعه

إشطاء ، وهو ما يعبر عنه بالبراعم .

« الأزر » : القوة الشديدة ، أزره أي أعانه وقواه .

« الغلظة » : ضد الرقة .

١ . الفتح : ٢٨ - ٢٩ .

« السوق » : قيل هو جمع ساق.

القرآن يتكلم في هاتين الآيتين عن النبي تارة وأصحابه أخرى :

أما الأوّ فيعرّفه بقوله : ( هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَرَيْنَ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ) والضمير « ليظهره » يرجع إلى دين الحق لا الرسول ، لأن الغاية ظهور دين على دين لا ظهور شخص على الدين ، والمراد من الظهور هو الغلبة في مجال البرهنة والانتشار ، وقد تحقّق بفضل سبحانه وسوف تزداد رقعة انتشاره فيضرب الإسلام بجرانه في أرجاء المعمورة ، ولا سيما عند قيام الإمام المهدي المنتظر عجل الله فرجه .  
يقول سبحانه في هذا الصدد : ( مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ) أي الرسول الذي سوف يغلب دينه على الدين كله ، وقد صرح باسمه في هذه الآية ، إلّا أنّه أجمل في الآية الأولى ، وقال : « أرسل رسوله » .

إلى هنا تم بيان صفات النبي صلى الله عليه وآله وسلم وسماته ، وأما صفات أصحابه فجاء ذكرهم في التوراة والإنجيل .

أما التوراة فقد جاء فيها وصفهم كالتالي :

١. ( وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشْدَاءُ عَلَى الْكُفَّارِ ) ، الذين لا يفهمون إلّا منطق القوة ، فلذلك يكونون أشداء عليهم .

٢. ( رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ) فهم رحماء يعطف بعضهم على بعض ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :  
مثل المؤمنين في توادهم وتعاطفهم وتراحمهم مثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى .<sup>(١)</sup>

---

١. مسند أحمد بن حنبل : ٤ / ٢٧٠ و ٢٦٨ و ٢٧٤ .

٣. ( تراهم ركعاً سُجّداً ) ، هذا الوصف يجسّد ظاهر حالهم وأنهم منهمكون في العبادة ، فلذلك يقول : ( تراهم ركعاً سجداً ) ، أي تراهم في عبادة ، التي هي آية التسليم لله سبحانه .

ومع ذلك لا يبتغون لعبادتهم أجراً وإنما يأملون فضل الله ، كما يقول : ( يبتغون فضلاً من الله ورضواناً ) ، ولعل القيد الأخير إشارة إلى أنّ الحافظ لأعمالهم هو كسب رضاه سبحانه .

ومن علائقهم الأخرى ان أثر السجود في جباههم ، كما يقول : ( سيماهم في وجوههم من أثر السجود ) فسيماهم ووجوههم تلمح إلى كثرة عبادتهم وسجودهم وخضوعهم لله سبحانه ، وهذه الصفات مذكورة أيضاً في الإنجيل .

إنّ أصحاب محمد لم يزالوا يزيدون باطراد في العدة والقوة وبذلك يغيظون الكفار ، فهم كزراع قوي وغلظ وقام على سوقه يعجب الزارعين بجودة رشده .

ولم يزالوا في حركة دائبة ونشيطة ، فمن جانب يعبدون الله مخلصين له الدين بلا رياء ولا سمعة ، ومن جانب آخر يجاهدون في سبيل الله بغية نشر الإسلام ورفع راية التوحيد في أقطار العالم .

فعملهم هذا يغيظ الكفار ويسرّ المؤمنين ، قال سبحانه : ( ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار ) .

فالمجتمع الإسلامي بإيمانه وعمله وجهاده وحركته الدؤوبة نحو التكامل يثير إعجاب الأخلاّ وغيظ الألداء .

ثم إنّه سبحانه وعد طائفة خاصة من أصحاب محمد ﷺ مغفرة وأجرا

عظيماً ، وذلك لأنّ المنافقين كانوا مندسّين في صفوف أصحابه ، فلا يصح وعد المغفرة لكل من صحب النبي ﷺ ورآه وعاش معه وقلبه خال من الإيمان ، ولذلك قال سبحانه : ( وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةًٍ جَبْرًا عَظِيمًا ) فكلمة « منهم » تعرب عن أن المغفرة لا تعم جميع الأصحاب بل هي مختصة بطائفة دون أخرى .  
وما ربما يقال من أن « من » بيانية لا تبعيضية غير تام .

لأنّ « من » البيانية لا تدخل على الضمير ، ويؤيد ذلك قوله : ( وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مِمَّنْ أَوْ عَلَى التَّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ) .<sup>(١)</sup>

والحاصل : أنّه لا يمكن القول بشمول أدلة المغفرة والأجر العظيم لقاطبة من صحب النبي ﷺ مع أنّهم على أصناف شتى .

فمن منافق معروف ، عرفه الذكر الحكيم بقوله : ( إِذَا جَاءَ الْمُنَافِقُونَ ) .<sup>(٢)</sup>  
إلى آخر مختلف لا يعرفه النبي ﷺ ، قال سبحانه : ( وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مِمَّنْ أَوْ عَلَى التَّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ) .

إلى ثالث يصفهم الذكر الحكيم بمرضى القلوب ، ويقول : ( وَذِي يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ) .<sup>(٣)</sup>

إلى رابع سمّاعون لنعق كل ناعق فهم كالريشة في مهب الريح يميلون تارة

١ . التوبة : ١٠١ .

٢ . المنافقون : ١ .

٣ . الأحزاب : ١٢ .

إلى المسلمين وأخرى إلى الكافرين ، يصفهم سبحانه بقوله ( لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَا وُضِعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ) .<sup>(١)</sup>  
إلى خامس خالط العمل الصالح بالسيِّ يصفهم سبحانه بقوله : ( وَخَيْرُنَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا ) .<sup>(٢)</sup>

إلى سادس أشرفوا على الارتداد ، عرّفهم الحق سبحانه بقوله : ( وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ لَنَا الْاَمْرُ كُلُّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ ) .<sup>(٣)</sup>

إلى سابع يصفه القرآن فاسقاً ، ويقول : ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنِ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْحَبُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ) .<sup>(٤)</sup>  
والمراد هو الوليد بن عقبة صحابي سمي فاسقاً ، وقال تعالى : ( لَيْلِيًّا اللَّهُ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ) .<sup>(٥)</sup>

إلى ثامن يصفهم الذكر الحكيم مسلماً غير مؤمن ويصرّح بعدم دخول الإيمان في قلوبهم ، ويقول : ( لَكَ لِأَعْيُنِنَا ۖ مِيْمًا لِّؤَلِّئُوا مِنَّا وَاللَّهُ يَبْدُؤُا الْإِيمَانَ فِي قُلُوبِكُمْ ) .<sup>(٦)</sup>

إلى تاسع أظهروا الإسلام لأخذ الصدقة لا غير ، وهم الذين يعرفون بالمؤلفة

١ . التوبة : ٤٧ .

٢ . التوبة : ١٠٢ .

٣ . آل عمران : ١٥٤ .

٤ . الحجرات : ٦ .

٥ . التوبة : ٩٦ .

٦ . الحجرات : ١٤ .

قلوبهم ، قال : ( إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمَوْلَىٰ قُلُوبُهُمْ ) . (١)  
 إلى عاشر يفرون من الزحف فرار الغنم من الذئب ، يقول سبحانه :  
 ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقَيْتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا رَحِمْنَا فَبَلَّغْهُمُ الْآدْبَارَ \* وَمِنْ يَوْمِهِمْ يَوْمَهُدِ  
 دُبُرُهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ وَأَ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِتْنَةٍ فَبَدَّ بَاءً بِعَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَا وَاهِ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ  
 ) . (٢)

وكم نطق التاريخ بفرار ثلثة من الصحابة من ساحات الوغى ، يقول سبحانه عند ذكر  
 غزوة أحد : ( إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَىٰ أَعْدَاءِكُمْ وَلَئِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ) (٣) ، ولم  
 يكن الفرار مختصاً بغزوة أحد بل عم غزوة حنين أيضاً ، يقول سبحانه : ( لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ  
 بِبَنِي قَلْبَةَ عَمْرٍو إِذْ أَخْرَجْتُمُوهُمْ مِنْ أَثَرِ الْحَبَشَةِ أُولَئِكَ الَّذِينَ آمَنُوا إِذْ جَاءَ النَّبِيَّ وَالْكَافِرِينَ فِي الْعُقَدِ حَرَسًا فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً حَمِيمًا فَذَكَرْنَا فِي الْحَقِّ آيَاتِنَا وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَنِي قَلْبَةَ عَمْرٍو إِذْ أَخْرَجْتُمُوهُمْ مِنْ أَثَرِ الْحَبَشَةِ أُولَئِكَ الَّذِينَ آمَنُوا إِذْ جَاءَ النَّبِيَّ وَالْكَافِرِينَ فِي الْعُقَدِ حَرَسًا فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً حَمِيمًا فَذَكَرْنَا فِي الْحَقِّ آيَاتِنَا وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَنِي قَلْبَةَ عَمْرٍو إِذْ أَخْرَجْتُمُوهُمْ مِنْ أَثَرِ الْحَبَشَةِ أُولَئِكَ الَّذِينَ آمَنُوا إِذْ جَاءَ النَّبِيَّ وَالْكَافِرِينَ فِي الْعُقَدِ حَرَسًا فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً حَمِيمًا فَذَكَرْنَا فِي الْحَقِّ آيَاتِنَا وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَنِي قَلْبَةَ عَمْرٍو إِذْ أَخْرَجْتُمُوهُمْ مِنْ أَثَرِ الْحَبَشَةِ أُولَئِكَ الَّذِينَ آمَنُوا إِذْ جَاءَ النَّبِيَّ وَالْكَافِرِينَ فِي الْعُقَدِ حَرَسًا فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً حَمِيمًا فَذَكَرْنَا فِي الْحَقِّ آيَاتِنَا ) . (٤)

هذه إمامة عابرة بأصناف الصحابة المذكورة في القرآن الكريم ، أفيمكن وعد جميع هذه  
 الأصناف بالمغفرة ؟!

مضافا إلى آيات أخرى تصف أعمالهم .

نعم كان بين الصحابة رجال مخلصون يستدرهم الغمام ، وقد وصفهم سبحانه في غير  
 واحد من الآيات التي لا تنكر .

والكلام الحاسم : ان وعد المغفرة لصنف منهم لا لجميع الأصناف ، كما ان عدالتهم  
 كذلك .

١ . التوبة : ٦٠ .

٢ . الأنفال : ١٥ - ١٦ .

٣ . آل عمران : ١٥٣ .

٤ . التوبة : ٢٥ .

## الحديد

٥٠

### التمثيل الخمسون

( اَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ لِّبَشَرٍ وَإِنَّهُ لَفِ تَفَاوُحٍ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٍ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتْرَاهُ مَصْفُورًا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ) .<sup>(١)</sup>

### تفسير الآية

« الكفَّار » : جمع الكافر بمعنى الساتر ، والمراد الزارع ، ويطلق على الكافر بالله لستره الحق ، والمراد في المقام الزارع ، لأنَّه يستتر حبه تحت التراب ويغطيها به ، يقول سبحانه : ( كَرِهَ ... يُعْجِبُ الزُّرْعَ ) .<sup>(٢)</sup>

« هيج » : يقال : هاج البقل يهيج ، أي أصفر ، والمراد في قوله : ( ثُمَّ يَهِيجُ ) أي ييس ( فتراه مصفورا ) أي إذا قارب اليبس .

و « الحطام » بمعنى كسر الشيء ، قال سبحانه : ( لَا يَحْطِبَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ ) .<sup>(٣)</sup>

١ . الحديد : ٢٠ .

٢ . الفتح : ٢٩ .

٣ . النمل : ١٨ .

فالأية تتضمن أمرين :

الأمر الأوَّ : ترسيم الحياة الدنيا والمراحل المختلفة التي تمر على الإنسان :  
أ : اللعب ، ب : اللهو ، ج : الزينة ، د : التفاخر ، هـ : التكاثر في الأموال والأولاد.  
والأمر الثاني : تشبيه الدنيا بداية ونهاية بالنبات الذي يعجب الزارع طراوته ونضارته ، ثمَّ  
سرعان ما يتحول إلى عشب يابس تذروه الرياح.

ثم استنتج من هذا التمثيل : أنّ الحياة الدنيا متاع الغرور ، أي وسيلة للغرور والمتعة ، يغتر  
بها المخلدون إلى الأرض يتصورونها غاية قصوى للحياة ، ولكنّها في نظر المؤمنين قنطرة  
للحياة الأخرى لا يغتروا بها ، بل يتزوّدون منها إلى حياتهم الأخرى.  
هذا هو ترسيم إجمالي لمفهوم الآية ، والتمثيل إنّما هو في الشق الثاني منها ، فلنرجع إلى  
تفسير كل من الأمرين.

إن حياة الإنسان من لدن ولادته إلى نهاية حياته تتشكل من مراحل خمس :

#### المرحلة الأولى : اللعب

واللعب هو محل منظوم لغرض خيالي كلعب الأطفال ، وهي تقارن حياة الإنسان منذ  
نعومة أظفاره وطفولته ، ويتخذ ألواناً مختلفة حسب تقدم عمره ، وهو أمر محسوس عند  
الأطفال.

#### المرحلة الثانية : اللهو

واللهو ما يشغل الإنسان عمّا يهيمه ، وهذه المرحلة تبتدئ حينما يبلغ ويشتد

عظمه ، فتجدد في نفسه ميلاً ونزوعاً إلى الملاهية وغيرها.

#### المرحلة الثالثة : حب الزينة.

والزينة نظير ارتداء الملابس الفاخرة والمراكب البهية والمنازل العالية ، وجنوحه إلى كل جمال وحسن.

#### المرحلة الرابعة : التفاخر.

إذا تهيأ للإنسان أسباب الزينة يأخذ حينها بالمفاخرة بالأحساب والأنساب ، وما تحت يديه من الزينة.

#### المرحلة الخامسة : التكاثر في الأموال والأولاد.

وهذه المرحلة هي المرحلة الخامسة التي يصل فيها الإنسان إلى مرحلة من العمر يفكر في تكثير الأموال والأولاد ، ويشيب على ذلك الإحساس.

ثم إن تقسيم المراحل التي تمر على الإنسان إلى خمس ، لا يعني أنّ كلّ هذه المراحل تمر على الإنسان بلا استثناء ، بل يعني أنّها تمر عليه على وجه الإجمال ، غير أنّ بعض الناس تتوقف شخصيتهم عند المرحلتين الأولى وليين إلى آخر عمره ، فيكون اللعب واللهو أهم مآثر في سلوكهم ، كما أنّ بعضهم تمر عليه المرحلة الثالثة والرابعة فيحرص على ارتداء الملابس الفاخرة والتفاخر بما لديه من أسباب.

روي عن الشيخ البهائي ان الخصال الخمس المذكورة في الآية مترتبة بحسب سني عمر الإنسان ومراحل حياته ، فيتولّع أولاً باللعب وهو طفل أو مراهق ، ثمّ إذا بلغ واشتد عظمه تعلّق باللهو والملاهية ، ثمّ إذا بلغ أشده اشتغل بالزينة من الملابس الفاخرة والمراكب البهية والمنازل العالية وتوله للحسن

والجمال ، ثم إذا اكتهل أخذ بالمفاخرة بالأحساب والأنساب ، ثم إذا شاب سعى في تكثير المال والولد. (١)

هذا ما يرجع إلى بيان حال الدنيا من حيث المراحل التي تمر بها.  
الأمر الثاني : أي التمثيل الذي يجسد حال الدنيا ويشبهها بأرض خصبة يصيبها مطر غزير ، فتزدهر نباتها على وجه يعجب الزرع ، ولكن سرعان ما تذهب طراوتها وتفارقها فيصيبها الإصفرار واليبس وتذروها الرياح في كلِّ الأطراف وتصبح كأثما لم تكن شيئاً مذكوراً ، وعند ذلك تتجلى الحقيقة أمام الإنسان وأنه اغتر بطراوة هذه الروضة.  
وهكذا حال الدنيا فيغتر الإنسان بها ويخلد إليها ، ولكن سرعان ما تسفر له عن وجهها وتكشف عن لثامها ، وعلى أية حال فالآية تهدف إلى تحقير الدنيا وتعظيم الآخرة.

---

١- الميزان : ١٩ / ١٦٤ .

## الحشر

٥١

### التمثيل الواحد والخمسون

( لا يُفَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَى مُحَصَّنَةٍ وَأَ مِنْ وَاءٍ جِدُّ بِأَسْبَهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسِبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ \* كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاتُ أَيْمٍ وَبِالْأَمْرِ هُمْ وَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ) . (١)

### تفسير الآيات

« الحصن » : جمعه حصون ، والقرى المحصنة التي تحيطها القلاع المنيعة التي تمنع من دخول الأعداء.

البأس والبأساء : الشدة.

الوبال : الأمر الذي يخاف ضرره.

الآية تصف حال بني النضير من اليهود الذين أجلهم الرسول وقد تأمروا على قتله ، وكيفية المواقرة المذكورة في كتب التاريخ ، فأمرهم النبي ﷺ بالجللاء وترك الأموال وقد كانوا امتنعوا من تنفيذ أمر الرسول ، وكان المنافقون يصرون عليهم بعدم الجلاء وأنهم يناصرونهم عند نشوب حرب بينهم وبين المسلمين ، فبقي بنو النضير أياما قلائل في قلاعهم لا يجلون عنها بغية وصول إمدادات تعز قواهم.

---

١ . الحشر : ١٤ - ١٥ .

فالأيات تشرح حالهم بإمعان وتخبر بأنهم « لا يقاتلونكم » معاشر المؤمنين جميعاً إلا في قري محصنة ، أي لا يبرزون لحربكم خوفاً منكم ، وإنما يقاتلونكم متدريين بحصونهم ، أو « من وراء جدر » ، أي يرمونكم من وراء الجدر بالنبل والحجر .

( بأسهم بينهم شديد ) ، والمراد من البأس هو العداة ، أي عداوة بعضهم لبعض شديدة ، فليسوا متفقي القلوب ، ولذلك يعقبه بقوله : ( وقلوبهم شتى ) ، ثم يعلل ذلك بقوله : ( ذلك بأنهم لا يعقلون ) .

ثم يمثّل لهم مثلاً ، فيقول : إنّ مثلهم في اغترارهم بعددهم وعدّتهم وقوتهم ( كمثل الذين من قبلهم ) ، والمراد مشركو قريش الذين قتلوا بيدر قبل جلاء بني النضير بستة أشهر ، ويحتمل أن يكون المراد قبيلة بني قينقاع حيث نقضوا العهد فأجلاهم رسول الله بعد رجوعه من بدر .

فهؤلاء ( ذاقوا وبال أمرهم ) ، أي عقوبة كفرهم ولهم عذاب أليم .

## التمثيل الثاني والخمسون

( كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ بَرِيءٌ الْعَالَمِينَ ) .<sup>(١)</sup>

تفسير الآية هذه الآية أيضاً ناظرة إلى قصة بني النضير ، فلما تأمروا على النبي ﷺ أمرهم رسول الله ﷺ بالجلاء ، ولكن المنافقين وعدوهم بالنصر ، فقالوا لهم : ( لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحدا أبدا وإن قوتلتم لننصرنكم ) .

ولكن كان ذلك الوعد كاذباً ، ولذلك يقول سبحانه : ( والله يشهد أنهم لكاذبون )  
 وآية كذبهم : ( لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرون لهم ولئن نصرهم ليبؤن الأذبار ثم لا ينصرون ) .<sup>(٢)</sup>

ولقد صدق الخبر الخبر ، فأجلاهم الرسول بقوة وشدة ، فما ظهر منهم أي نصر ومؤازرة ودعم ، فكان وعدهم كوعد الشيطان ، إذ قال للإنسان أكفر فلما كفر قال إني بريء منك إني أخاف الله رب العالمين ، بمعنى أنه أمره بالكفر ولكنه تبرأ منه في النهاية .  
 وهل المخاطب في قوله : « أكفر » مطلق الإنسان الذي ينخدع بأحابيل

---

١ . الحشر : ١٦ .

٢ . الحشر : ١٢ .



## الحشر

٥٣

### التمثيل الثالث والخمسون

( لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ) .<sup>(١)</sup>

#### تفسير الآية

« الخشوع » : الضراعة ، وأكثر ما يستعمل الخشوع فيما يوجد على الجوارح على عكس الضراعة ، فإن أكثر ما تستعمل فيما يوجد في القلب ، وقد روي إذا ضرع القلب خشعت الجوارح .

ويؤيد ما ذكره أنه سبحانه ينسب الخشوع إلى الأصوات والأبصار ، ويقول : ( وخشعت الأصوات ) ، ( خاشعة أبصارهم ) ، ( أبصارهم خاشعة ) .  
ولو أردنا أن نعرفه ، فنقول : هو عبارة عن السكينة الحاكمة على الجوارح مستشعرا بعظمة الخالق .

و « التصدع » : التفرق بعد التلاؤم .

إن للمفسرين في تفسير الآية رأيين :

أحدهما : أنه لو أنزلنا هذا القرآن على جبل ، مع ما له من الغلظة والقسوة

---

١ . الحشر : ٢١ .

وكبر الجسم وقوة المقاومة قبال النوازل ، لتأثر وتصدّع من خشية الله ، فإذا كان هذا حال الجبل ، فالإنسان أحقّ بأن يخشع لله إذا تلا آياته .  
فما أقسى قلوب هؤلاء الكفّار وأغلظ طباعهم حيث لا يتأثرون بسماع القرآن واستماعه وتلاوته .

ثانيهما : أنّ كلّ من له حظّ في الوجود فله حظ من العلم والشعور ، ومن جملة الجبال فلها نوع من الإدراك والشعور ، كما قال سبحانه : ( **إِنَّ مِنَ الْجِبَاهِ لِمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لِمَا يَشَقُّقُ فَيُخْرِجُ مِنْهُ الْمَاءَ وَإِنَّ مِنْهَا لِمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ** ) .<sup>(١)</sup>  
فعلى هذا ، فمعنى الآية أنّ هذا القرآن لو نزل على جبل لتلاشى وتصدّع من خشية الله ، غير أنّه لم ينزل عليه .

وعلى كلا المعنيين ، فليست الآية من قبيل التمثيل أي تشبيه شيء بشيء ، بل من قبيل وصف القرآن وبيان عظمتة بما يتّوى من الحقائق والأصول ، وإثما على الوصف التالي : « لو أنزلناه على جبل لصار كذا وكذا » .

نعم يمكن أن يعد لازم معنى الآية من قبيل التشبيه ، وهو أنّ سبحانه يشبه قلوب الكفّار والعصاة الذين لا يتأثرون بالقرآن بالجبل والحجارة ، وإنّ قلوبهم كالحجارة لو لم تكن أكثر صلابة ، بشهادة أنّ الحجارة يتفجر منها الأنهار أو تهبط من خشية الله ، فلأجل ذلك جعلنا الآية من قبيل التمثيل وإن كان بلحاظ المعنى الالتزامي لها .

---

١ - البقرة : ٧٤ .

التمثيل الرابع والخمسون

( عَلَىٰ تَلْوِينٍ لِّتُؤْذِنُوا لَتُورَةَ ۗ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلِ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَرَلَّهُ لَا يَهْتَكِرُ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ) .<sup>(١)</sup>

تفسير الآية

« الأسفار » : السّفَر : كشف الغطاء ، ويختص ذلك بالأعيان نحو سَفَرِ العمامة عن الرأس ، والحمار عن الوجه ، إلى أن قال : والسّفَر الكتاب الذي يسفر عن الحقائق وجمعه أسفار.<sup>(٢)</sup>

ذكر المفسرون أنه سبحانه لما قال : إنه بعثه إلى الأُمِّيِّين أخذت اليهود الآية ذريعة لإنكار سعة رسالته ، وقالوا : إنه ﷺ بعث إلى العرب خاصة ولم يبعث إليهم ، فعند ذلك نزلت الآية وشبهتهم بالحمار الذي يحمل أسفاراً لا ينتفع منها ، إذ جاء في التوراة نعت الرسول والبشارة بمقدمه والدخول في دينه .

مضافاً إلى أنه يمثل حال من يفهم معاني القرآن ولا يعمل به ويعرض عنه إعراض من لا يحتاج إليه ، والمراد من قوله ( حَمَلُوا ) أي كَلَّفُوا بالقيام بها ، وقيل :

١ . الجمعة : ٥ .

٢ . مفردات الراغب : مادة «سفر» .

ليس هو من الحمل على الظهر ، وإنما هو من الحمالة بمعنى الكفالة والضمان ، ولذا قيل للكفيل : الحميل ، والمراد والذين ضمنوا أحكام التوراة ، ثم لم يحملوها ، أي لم يآدوا حقها ولم يحملوها حق حملها ، فهؤلاء أشبه بالحمار ، كما قال : ( كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ) .

وانتخب الحمار من بين سائر الحيوانات لما فيه من الذل والحقارة ما ليس في غيره بل والجهل والبلادة ، مضافاً إلى المناسبة اللفظية الموجودة بين لفظ الأسفار والحمار . فعلى كلّ تقدير فالآية تندّد باليهود ، وفي الوقت نفسه تحذر عامة المسلمين في أن لا يكون حالهم حال اليهود ، في عدم الانتفاع بالكتاب المنزل الذي فيه دواء كلّ داء وشفاء لما في الصدور .

وللأسف الشديد أصبح القرآن بين المسلمين مهجوراً ، إذ يتبرك به في العرائس ، أو يجعل تعاويذ للأطفال ، أو زينة الرفوف ، أو يقرأ في القبور إلى غير ذلك ممّا أبعد المسلمين عن النظر في القرآن بتدبّر .

ثمّ إنّه سبحانه يصف اليهود المكذبة للقرآن وآياته ، بقوله : ( بَشِّرِ الْقَوْمَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ) .

## التحريم

٥٥

### التمثيل الخامس والخمسون

( رَبِّ اللَّهِ ۗ بِاللَّيْلِ فَزُورُوا مَرْثًا ۗ مُحِطًا بِمَا نَبَا ۗ بَاتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا  
صَالِحِينَ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُعْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الْكٰفِرِينَ ) .<sup>(١)</sup>

#### تفسير الآية

إن إحدى الأساليب التربوية هي عرض نماذج واقعية لمن بلغ القمة في مكارم الأخلاق وجلالها أو سقط في حضيض مساوئ الأخلاق ، والقرآن في هذه الآية يعرض زوجتين من زوجات الأنبياء ابتليتوا بالنفاق والخيانة ولم ينفعهما قربهما من أنبياء الله .  
ثم إن الحافز لهذا التمثيل هو التنديد بزوجتي الرسول ﷺ اللتين اشتركتا في إفشاء سره ، والغرض هو إيقافهما على أنهما لا تنجوان من العذاب لمجرد مكانتهما من الرسول كما لم ينفع زوجة نوح ولوط ، فواجهتا العذاب الأليم .

يذكر سبحانه في هذه الصورة قصة إفشاء سر النبي بواسطة بعض أزواجه يقول : ( وَذُرِّي  
أَسْبَرَ النَّبِيَّ إِلَى بَعْضِ نِسْوَةِ آجِهٍ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَأَ بِهِ وَظَهَرَ اللَّهُ عَلَيْهِ

١٠ . التحريم : ١٠ .

عَرَفَ بَعْضَهُ وَعَرَّ َ عَنِ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنِ أَنْبَأُكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِي الْعَلِيمُ الْحَبِيرُ (١).

وهذه الآية على اختصارها تشتمل على مطالب :

١. ان النبي ﷺ أسرَّ إلى بعض أزواجه حديثاً ، كما يقول سبحانه : ( وإذ أسر النبي إلى بعض أزواجه حديثاً ) ، وأمّا ما هو السر الذي أسرّه إليها فغير واضح ، ولا يمكن الاعتماد بما ورد في التفاسير من تحريم العسل على نفسه وغيره .
٢. انّ هذه المرأة التي أسرَّ إليها النبي لم تحتفظ بسرّه وأفشته ، فحدّثت به زوجة أخرى ، كما يقول سبحانه : ( فلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ ) ، والمفسرون اتفقوا على أنّ الأولى منهما هي حفصة والثانية هي عائشة .
٣. أنّه سبحانه أخبر النبي ﷺ به ، كما يقول سبحانه : ( وأظهره الله عليه ) أي أطلعه الله عليه .
٤. ان النبي ﷺ عَرَفَ حفصة ببعض ما ذكرت وأعرض عن ذكر كلّ ما أفشته ، وكان ﷺ قد علم جميع ذلك ولكنّه أخذ بمكارم الأخلاق ، فلم يذكر لها جميع ما صدر منها ، والتغافل من خلق الكرام ، وقد ورد في المثل : « ما استقصى كريم قط » .
٥. لما أخبر رسول الله حفصة بما أظهره الله عليه سألت ، وقالت : من أخبرك بهذا؟ فأجاب الرسول : نبأني العليم الخبير ، كما يقول سبحانه : ( فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ

---

١ . التحريم : ٣ .

قالت من أنبأك هذا قال نبأني العليم الخبير ) .

وبما أنّ مستمع السر كمفشيهِ عاص ، يعود سبحانه يندد بهما ويأمرهما بالتوبة ، لأجل ما كسبت قلوبهما من الآثام ، وإنّه لو لم تكفّ عن إيذاء النبي ﷺ ، فاعلما أنّ الله يتولّى حفظه ونصرته ، وأمّين الوحي معين له وناصر يحفظه ، وصالح المؤمنين وخيارهم يؤيدونه ، ويعدّهم ملائكة الله من أعوانه . كما يقول سبحانه : ( ان تتوبا فقد صغت قلوبكما ) أي مالت إلى الإثم ، وإن تظاهرا عليه أي تعاونا على إيذاء النبي ، فإنّ الله مولاه وجبرئيل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير .

هاتان الآيتان توقفنا على مكانة الزوجتين من القيام بوظائف الزوجية ، حيث إنّ حفظ الأمانة من واجب الزوجة حيال زوجها ، كما أنّ الآية الثانية تعرب عن مكاتبتها عند الله سبحانه حيث تجعلها على مفترق الطرق : إمّا التوبة لأجل الإثم ، وإمّا التمادي في غيبتها وإجباط كلّ ما تهدفان إليه ، لأنّ له أعواناً مثل ربه والملائكة وصالح المؤمنين .

وبما ان السورة تكفّلت ببيان تلك القصة ناسب أن يمثل سبحانه حالهما بزوجتين لرسولين أذاعتا سرهما وخانتاهما . إذ لم تكن خيانتها فحجور لما ورد : ما بغت امرأة نبي قط ، وإمّا كانت خيانتها في الدين .

قال ابن عباس : كانت امرأة نوح كافرة تقول للناس : إنّهُ مجنون ، وإذا آمن بنوح أحد أخبرت الجبابة من قوم نوح ، كما أنّ امرأة لوط دلّت على أضيافه .

وعلى كل حال فقد شاركت هذه الزوجات الأربع في إذاعة أسرار أزواجهنّ ، وبذلك صرن نموذجاً بارزاً للخيانة .

وقد كنّ يتصورنّ أنّ صلتهم بالرسول تحول دون عذاب الله ، ولم يقفن على أنّ

مجرد الصلة لا تنفع ما لم يكن هناك إيمان وعمل صالح ، قال سبحانه : ( فَبِئْسَ الْفِتْحُ فِي  
الصُّورِ فَبِئْسَ الْبَيْنُوتُ يَوْمَئِذٍ )<sup>(١)</sup> وقال سبحانه مخاطباً بني آدم : ( يَا بَنِي آدَمَ إِنَّمَا  
يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنْ اتَّقَىٰ وَصَلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ  
) .<sup>(٢)</sup>

ومن هنا نقف على أن صحبة الرسول لا تنفع ما لم يضم إليه إيمان خالص وعمل صالح  
، فلا تكون مجالسة الرسول دليلاً على العدالة ولا على النجاة ، وأصحاب النبي ﷺ أمام  
الله سبحانه كالتابعين يحكم عليهم بما يحكم على التابعين ، فكما أنّ الصنف الثاني بين  
صالح وطلح ، فهكذا الصحابة بين صالح وطلح.

---

١ . المؤمنون : ١٠١ .

٢ . الأعراف : ٣٥ .

التمثيل السادس والخمسون

( وَضَرِبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتٍ فَرَعُونَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَ بَيْتِي فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ \* وَمَرْيَمَ ابْنَتِ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَيْنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا مِنَ الْقَوَاتِينِ (١) .

تفسير الآيات

« الحصن » : جمعه حصون وهي القلاع ، ويطلق على المرأة العفيفة ، لأنها تحصن نفسها بالعفاف تارة وبالتزويج أخرى.

القنوت : لزوم الطاعة مع الخضوع ، قوله : ( كُلُّ لَهُ قَائِمُونَ ) أي خاضعون. لما مثل القرآن بنماذج بارزة للفجور من النساء أردفه بذكر نماذج أخرى للتقوى والعفاف من النساء بلغن من التقوى والإيمان منزلة عظيمة حتى تركز الحياة الدنيوية ولذاتها وعزفن عن كل ذلك بغية الحفاظ على إيمانهم ، وقد مثل القرآن بأسية بنت مزاحم امرأة فرعون ، فقد بلغت من الإيمان والتقوى بمكان أنها طلبت من الله سبحانه أن يبني لها بيتاً في الجنة ، فقد آمنت بموسى لما رأت معاجزه

١ . التحريم : ١١ - ١٢ .

الباهرة ودلائله الساطعة ، فأظهرت إيمانها غير خائفة من بطش فرعون وقد نقل الله وتدها بأربعة أوتاد واستقبل بها الشمس.

هذه هي المرأة الكاملة التي ضحّت في سبيل عقيدتها واستقبلت الشهادة بصدر رحب ولم تعر للدنيا وزخارفها أية أهمية ، وكان هتافها حينما واجهت الموت قولها : ( رب ابن لي عندك بيتا في الجنة ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين ) .

فقولها : « عندك » ، يهدف إلى القرب من رحمة الله ، وقولها : « في الجنة » يبين مكان القرب .

فقد اختارت جوار ربها والقرب منه وآثرت بيتاً يبينه لها ربها على قصر فرعون الذي كان ييهز العقول ، ولكن زينة الحياة الدنيا عندها نعمة زائلة لا تقاس بالنعمة الدائمة .

ثمّ إنّه سبحانه يضرب مثلاً آخر للمؤمنات مريم ابنة عمران ، ويصفها بقوله : ( ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدّقت بكلمات ربّها وكتبه وكانت من القانتين ) .

ترى أنّه سبحانه يصفها بالصفات التالية :

١ . ( أحصنت فرجها ) فصارت عفيفة كريمة وهذا بإزاء ما افتعله اليهود من البهتان عليها ، كما يعرب عنه قوله سبحانه : ( وَهَلْ نَمْنَمُ بِمَنْ بُهْتَانَا عَظِيمًا ) <sup>(١)</sup> وفي سورة الأنبياء قوله : ( مَلَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا ) . <sup>(٢)</sup>

١ . النساء : ١٥٦ .

٢ . الأنبياء : ٩١ .

٢. ( فنفتحنا فيه من روحنا ) : أي كونها عفيفة محصنة صارت مستحقة للثناء والجزاء ، فأجرى سبحانه روح المسيح فيها ، وإضافة الروح إليه إضافة تشريفية ، فهي امرأة لا زوج لها أنجبت ولدا صار نبيا من أنبياء الله العظام.

وقد أُشير إلى هذين الوصفين في سورة الأنبياء ، قال سبحانه : ( مَلَّتِي أَحْصَبْتِ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُحْنَا وَجَعَلْنَاهَا مَبْنًى آيَةً لِلْعَالَمِينَ ) .

وهناك اختلاف بين الآيتين ، فقد جاء الضمير في سورة الأنبياء مؤنثاً فقال : ( فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُحْنَا ) وفي الوقت نفسه جاء في سورة التحريم مذكراً ( فنفتحنا فيه من روحنا ) . وقد ذكر هنا وجه وهو :

إنّ الضمير في سورة الأنبياء يرجع إلى مريم ، وأمّا المقام فإتما يرجع إلى عيسى ، أي فنفتحنا فيه حتى أن من قرأه « فيها » أرجع الضمير إلى نفس عيسى والنفس مؤنثة . أقول : هذا لا يلائم ظاهر الآية ، لأنّه سبحانه بصدد بيان الجزاء لمريم لأجل صيانة فرجها ، فيجب أن يعود الجزاء إليها ، فالنسخ في عيسى يكون تكريماً لعيسى ولا يعد جزاءً لمريم .

٣. ( صدقت بكلمات ربها وكتبه ) : ولعل المراد من الكلمات الشرائع المتقدمة ، والكتب : الكتب النازلة ، كما يحتمل أن يكون المراد الوحي الذي لم يكن على شكل كتاب .

٤. ( وكانت من القانتين ) : أي كانت مطيعة لله سبحانه ، ومن القوم المطيعين لله الخاضعين له الدائمين عليه ، وقد جيء بصيغة المذكر تغليياً ، يقول

سبحانه : ( اَفْتِنِي لِرَبِّكَ وَ سَجِّدَا وَ رَكَعِي مَعَ الْوَاكِعِينَ ) .<sup>(١)</sup>

ونُختم البحث بذكر ثلاث روايات :

١. روى الطبري ، عن أبي موسى ، عن النبي ﷺ قال : « كمل من الرجال كثير ، ولم يكمل من النساء إلا أربع : آسية بنت مزاحم امرأة فرعون ، ومريم بنت عمران ، وخديجة بنت خويلد ، وفاطمة بنت محمد ﷺ » .<sup>(٢)</sup>

٢. أخرج الحاكم ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « أفضل نساء أهل الجنة : خديجة بنت خويلد ، وفاطمة بنت محمد ﷺ ، ومريم بنت عمران ، وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون مع ما قص الله علينا من خبرهما في القرآن ( قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة ) » .<sup>(٣)</sup>

٣. أخرج الطبراني ، عن سعد بن جنادة ، قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله زوجني في الجنة : مريم بنت عمران ، وامرأة فرعون ، وأخت موسى » .

---

١. آل عمران : ٤٣ .

٢. مجمع البيان : ٥ / ٣٢٠ .

٣. ٤ و ٨ . الدر المنثور : ٢٢٩ / ٨ .

التمثيل السابع والخمسون

( أَمَّنْ هَذَا الْكَبَّاءِ يَبْرُقُكُمْ نَارِ أَمْسَبِكِ زَوْجَهُ بَلْ جُئُوا فِي عُتْبُو وَنُفُور \* أَفَمِنْ يَمْشِي مَكْبًا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطِ مُسْتَقِيمٍ ) .<sup>(١)</sup>

تفسير الآيات

« لَجَّ » : من اللجاج : التماذي والعناد في تعاطي الفعل المزجور عنه .

« عُتُّو » : التمرُّ .

« النفور » : التباعد عن الحق .

« مكب » : من الكبو ، وهو إسقاط الشيء على وجهه ، قال سبحانه : ( فَكُتِبَتْ

وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ ) . ومنه قوله : « إن الجواد قد يكبو » أي قد يسقط ، والمراد هنا بقرينة

مقابله : ( يمشي سويًا ) ، أي من يمشي ووجهه إلى الأرض لا الساقط . وقال الطبرسي :

أي منكساً رأسه إلى الأرض ، فهو لا يبصر الطريق ولا من يستقبله .

وأما الآيات فقد جاءت بصيغة السؤال بين الضالين الذين لجّوا في عتو ونفور وظلّوا

متمسكين بالأوثان والأصنام ، وبين المهتدين الذين يمشون في جادة

١ . الملك : ٢١ - ٢٢ .

التوحيد ولا يعبدون إلا الله القادر على كل شيء.

فمثل هؤلاء مثل من يمشي على أرض متعرجة غير مستوية يكثر فيها العثار ، وبالتالي يسقط الماشي مكباً على وجهه ، ومن يمشي على جادة مستوية مستقيمة ليس فيها عثرات ، فيصل إلى هدفه بسهولة.

فالاختلاف بين هاتين الطائفتين ليس في كيفية المشي ، وإنما الاختلاف في طريقهم حيث إنّ طرق الكفار ملتوية متعرجة فيها عقبات كثيرة ، وطريق المهتدين مستقيمة لا اعوجاج فيها ، فعاقبة المشي في الطريق الأول هو الانكباب على الأرض ، وعاقبة المشي في الطريق الثاني هو الوصول إلى الهدف ، فتأويل الآية : أفمن يمشي على طريق غير مستقيم بل متعرج ملتو مكباً على وجهه أهدى أم من يمشي على صراط مستقيم بقامة مستقيمة.

قال العلامة الطباطبائي : والمراد أنّهم بلجأهم في عتوّ عجيب ونفور من الحقّ ، كمن يسلك سبيلاً وهو مكب على وجه لا يرى ما في الطريق من ارتفاع وانخفاض ومزالق ومعاثر ، فليس هذا السائر كمن يمشي سويّاً على صراط مستقيم ، فيرى موضع قدمه وما يواجهه من الطريق على استقامة ، وما يقصده من الغاية ، وهؤلاء الكفار سائرون سبيل الحياة وهم يعاندون الحقّ على علم به ، فيغمضون عن معرفة ما عليهم أن يعرفوه والعمل بما عليهم أن يعملوا به ، ولا يخضعون للحق حتى يكونوا على بصيرة من الأمر ويسلكوا سبيل الحياة وهم مستوون على صراط مستقيم فيأمنوا المهلاك. <sup>(١)</sup>

---

١- الميزان : ١٩ / ٣٦٠ - ٣٦١.

## خاتمة المطاف

ربما عدّ غير واحد ممّن كتب في أمثال القرآن ، الآية التالية منها :

( وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيَقِنَ  
الَّذِينَ وَتُّوا الْكِتَابَ وَبَزَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ  
وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ  
وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ ) .<sup>(١)</sup>

### تفسير الآية

لَمَّا نَزَلَ قَوْلُهُ سَبَّحَانَهُ ( سَأُصَلِّيهِ سَبَّحَر \* وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَبَّحَر \* لَا تُبْقِي وَلَا تَبْزَح \* لَوَاجِحَةً  
لِلْبَشَرِ \* عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ) .<sup>(٢)</sup>

قال أبو جهل لقريش : ثكلتكم أمهاتكم أتسمعون ابن أبي كبيشة يخبركم ان خزنة النار  
تسعة عشر ، وأنتم الدهم<sup>(٣)</sup> الشجعان ، أفيعجز كل عشرة منكم أن يبطشوا برجل من  
خزنة جهنم.

١ . المدثر : ٣١ .

٢ . المدثر : ٢٦ . ٣٠ .

٣ . الدهم : الجماعة الكثيرة .

فقال أبو أسد الجمحي : أنا أكفيكم سبعة عشر ، عشرة على ظهري ، وسبعة على بطني ، فأكفوني أنتم اثنين ، فنزلت هذه الآية : ( **وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً** ) ، أي جعلنا أصحاب النار ملائكة أقوياء مقتدرون وهم غلاظ شداد ، يقابلون المذنبين بقوة ، وهم أمامهم ضعفاء عاجزون ، ويكفي في قوتهم أنه سبحانه يصف واحداً منهم بقوله : ( **عَلَّمَهُ شَدِيدَ الْقُوَى \* ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى** ) .<sup>(١)</sup>

فالكفار ما قدروا الله حق قدره وما قدروا جنود ربهم ، وظنوا أن كل جندي من جنوده سبحانه يعادل قوة فرد منهم .

ثم إنه سبحانه يذكر الوجوه التالية سبباً لجعل عدتهم تسعة عشر :

- ١ . ( **فتنة للذين كفروا** ) .
- ٢ . ( **ليستيقن الذين وأتوا الكتاب** ) .
- ٣ . ( **يزداد الذين آمنوا إيماناً** ) .
- ٤ . ( **لا يرتاب الذين وأتوا الكتاب والمؤمنون** ) .
- ٥ . ( **وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلاً** ) .

وإليك تفسير هذه الفقرات :

أما الأولى : فيريد أنه سبحانه لم يجعل عدتهم تسعة عشر إلا للإفتتان والاختبار ، قال سبحانه : ( **واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة** ) أي يختبر بهم الإنسان ، فجعل عدتهم تسعة عشر يختبر بها الكافر والمؤمن ، فيزداد الكافر حيرة واستهزاءً ويزداد المؤمن إيماناً وتصديقاً ، كما هو حال كل ظاهرة تتعلق بعالم الغيب . يقول سبحانه : ( **وَإِذَا مَا أَنْزَلْنَا سُورَةً فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ** )

١ . النجم : ٥ - ٦ .

إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَزَادُتُهُمْ إِيْمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ \* وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَيَزَادُتُهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ (١).

ولا تظن ان عمله سبحانه هذا يوجب تعزيز داعية الكفر ، وهو أشبه بالجبر وإضلال الناس ووجه ذلك ان الاستهزاء والابتعاد عن الحق أثر الكفر الذي اختاره على الإيمان ، فهذا هو السبب في أن تكون الآيات الإلهية موجبة لزيادة الكفر والابتعاد عن الحق ، والدليل على ذلك ان هذه الآيات في جانب آخر نور وهدى وموجبا لزيادة الإيمان والتصديق.

وأما الثانية : أي استيقان أهل الكتاب من اليهود والنصارى انه حق وان محمدا رسول صادق حيث أخبر بما في كتبهم من غير قراءة ولا تعلم.

وأما الثالثة : وهي ازدياد إيمان المؤمنين ، وذلك بتصديق أهل الكتاب ، فإذا رأوا تسليم أهل الكتاب وتصديقهم يترسخ الإيمان في قلوبهم.

وأما الرابعة : أعني قوله : ( وَلَا يَرْتَابُ الَّذِينَ أُتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ ) ، فهو أشبه بالتأكيد للوجه الثاني والثالث.

وفسره الطبرسي بقوله : وليستيقن من لم يؤمن بمحمد ﷺ ومن آمن به صحة نبوته إذا تدبروا وتفكروا.

وأما الخامسة : وهي تقول الكافرين ومن في قلوبهم مرض بالاعتراض ، بقولهم : ماذا أراد الله بهذا الوصف والعدد ، وهذه الفقرة ليست من غايات جعل عدتهم تسعة عشر ، وإنما هي نتيجة تعود إليهم قهراً ، ويسمى ذلك لام العاقبة ، كما في قوله سبحانه : ( فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ) (٢) ومن المعلوم

١ . التوبة : ١٢٤ . ١٢٥ . ٢ . القصص : ٨ .

انّ فرعون لم يتخذها لتلك الغاية وإنما اتخذه ليكون ولدأ له ، كما في قول امرأته : ( لا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَن يَنْفَعَنَا وَآتَيْنَاهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ )<sup>(١)</sup> ولكن ترتبت تلك النتيجة على عملهم شاءوا أم أبوا.

وهكذا المقام حيث أخذت الطائفتان أي الذين في قلوبهم مرض والكافرين بالاستهزاء ، وقالوا : ( ماذا أراد الله بهذا مثلاً ) .

وقد فسر قوله : ( الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ) بالمنافقين ، كما فسروا الكافرين بالمتظاهرين بالكفر من المشركين ، غير أنّ هنا سؤال ، وهو أنّ السورة مكية ولم تكن هناك ظاهرة النفاق وإنما بدأت بالمدينة.

ولكن لا دليل على عدم وجود النفاق بمكة ، إذ ليس الخوف سبباً منحصراً للنفاق ، فهناك علل أخرى وهي الإيمان لأجل العصبية والحمية أو غير ذلك. يقول العلامة الطباطبائي : لا دليل على انتفاء سبب النفاق في جميع من آمن بالنبي بمكة قبل الهجرة وقد نقل عن بعضهم أنّه آمن ثم رجع أو آمن عن ريب ثم صلح.

على أنه تعالى يقول : ( وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةً لِلنَّاسِ كَجَعَلَهُ اللَّهُ وَكَانَ صَبْرًا مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ وَأَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ \* وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ )<sup>(٢) (٣)</sup>

ثم إنّه سبحانه يختم الآية بقوله : ( كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء ) ، أي الحقائق الناصعة والآيات الواضحة تتلقاها القلوب المختلفة تلقيا

١. القصص : ٩ .

٢. العنكبوت : ١٠ - ١١ .

٣. الميزان : ٢٠ / ٩٠ .

مختلفاً يهتدي بها فريق ويضل بها آخر حسب ما يشاء سبحانه ، وليست مشيئته سبحانه خالية عن الملاك والسبب ، فهديته وإضلاله رهن اهتداء الإنسان من هداياته العامة ، فمن استهدى بها تشمله هدايته الثانية ، وهي التي وردت في هذه الآية ، ومن أعرض عنها فيشمله إضلاله سبحانه بمعنى قطع فيضه عنه.

### الآية ليست من الأمثال

ومع ما بدلنا من الجهد في تفسير الآيات ، فالظاهر أنّها ليست من قبيل التمثيل لما عرفت من أنّه عبارة عن تشبيه شيء بشيء وإفراغ المعنى المعقول في قالب محسوس لغاية الإيضاح ، ولكن الآيات لا تمتُّ إليه بصلة وإنّما هي بصدد بيان سبب جعل الزبانية تسعة عشر وان لها آثارا خاصة.

وعلى ذلك فقوله سبحانه : ( **ماذا أرادَ اللهُ بِهذا مَثَلاً** ) ، أي ماذا أراد الله به وصفاً ، فالمثل في هذه الآية نظير ما ورد في سورة فرقان حيث بعد ما ذكر ان المشركين وصفوه بأنّه رجل مسحور ، قال : ( **انظُرْ كَيْفَ صَرَّبُوا لَكَ الأمثال** ) <sup>(١)</sup> أي انظر كيف وصفوك ، فليس مطلق الوصف تمثيلاً.

تمّ الكتاب . بحمد الله سبحانه . بيد مؤلّفه جعفر السبحاني

وقد لاح بدر تمامه في شهر جمادى الآخرة من شهور عام ١٤٢٠

من الهجرة النبوية على هاجرها آلاف الشاء والتحية

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين



## فهرس المحتويات

الأمثال في القرآن.....	٤
الأو <sup>١</sup> : المثل في اللغة.....	٤
الثاني : المثل في الاصطلاح.....	٩
الثالث : فوائد الأمثال السائرة.....	١١
الكتب المؤلفة في الأمثال العربية.....	١٥
الرابع : الأمثال القرآنية.....	١٥
الخامس : أقسام التمثيل.....	١٨
السادس : الأمثال القرآنية في الأحاديث.....	٢٠
السابع : الكتب المؤلفة في الأمثال القرآنية.....	٢٥
الثامن : تقسيم الأمثال القرآنية إلى الصريح والكامن.....	٢٦
التاسع : ما هو المراد من ضرب المثل ؟.....	٣٣
العاشر : الأمثال القرآنية وانسجامها مع البيئة.....	٣٧
الحادي عشر : استنكار الأمثال القرآنية.....	٤١
الثاني عشر : التمثيلات القرآنية.....	٤٢
الثالث عشر : الآيات التي تجري مجرى المثل.....	٥٧
الرابع عشر : الأمثال النبوية.....	٦٤
الخامس عشر : الأمثال العلوية.....	٦٩
السادس عشر : أمثال لقمان الحكيم.....	٧٠
سورة البقرة.....	٧٢
١.....	٧٢
التمثيل الأو <sup>١</sup> .....	٧٢

٧٩	سورة البقرة	٧٩
٧٩	٢	٧٩
٧٩	التمثيل الثاني	٧٩
٨٥	سورة البقرة	٨٥
٨٥	٣	٨٥
٨٥	التمثيل الثالث	٨٥
٩٤	سورة البقرة	٩٤
٩٤	٤	٩٤
٩٤	التمثيل الرابع	٩٤
٩٨	سورة البقرة	٩٨
٩٨	٥	٩٨
٩٨	التمثيل الخامس	٩٨
١٠١	سورة البقرة	١٠١
١٠١	٦	١٠١
١٠١	التمثيل السادس	١٠١
١٠٨	سورة البقرة	١٠٨
١٠٨	٧	١٠٨
١٠٨	التمثيل السابع	١٠٨
١١١	سورة البقرة	١١١
١١١	٨	١١١
١١١	التمثيل الثامن	١١١
١١٥	سورة البقرة	١١٥
١١٥	٩	١١٥
١١٥	التمثيل التاسع	١١٥

سورة البقرة	١١٧
١٠	١١٧
التمثيل العاشر	١١٧
سورة البقرة	١٢٠
١١	١٢٠
التمثيل الحادي عشر	١٢٠
آل عمران	١٢٦
١٢	١٢٦
التمثيل الثاني عشر	١٢٦
آل عمران	١٢٩
١٣	١٢٩
التمثيل الثالث عشر	١٢٩
الأنعام	١٣١
١٤	١٣١
التمثيل الرابع عشر	١٣١
الأعراف	١٣٤
١٥	١٣٤
التمثيل الخامس عشر	١٣٤
الأعراف	١٣٦
١٦	١٣٦
التمثيل السادس عشر	١٣٦
سورة التوبة	١٤٢
١٧	١٤٢
التمثيل السابع عشر	١٤٢

١٤٥	سورة يونس	١٨
١٤٥	التمثيل الثامن عشر	١٩
١٤٩	سورة هود	٢٠
١٤٩	التمثيل التاسع عشر	٢١
١٥١	سورة الرعد	٢٢
١٥١	التمثيل العشرون	٢٣
١٥٤	سورة الرعد	٢٤
١٥٤	التمثيل الواحد والعشرون	٢٥
١٦١	سورة إبراهيم	٢٦
١٦١	التمثيل الثاني والعشرون	٢٧
١٦٣	سورة إبراهيم	٢٨
١٦٣	التمثيل الثالث والعشرون	٢٩
١٦٧	سورة إبراهيم	٣٠
١٦٧	التمثيل الرابع والعشرون	٣١
١٦٩	سورة إبراهيم	٣٢
١٦٩	التمثيل الخامس والعشرون	٣٣

النحل	١٧١
٢٦	١٧١
التمثيل السادس والعشرون	١٧١
النحل	١٧٥
٢٧	١٧٥
التمثيل السابع والعشرون	١٧٥
النحل	١٧٧
٢٨	١٧٧
التمثيل الثامن والعشرون	١٧٧
النحل	١٧٩
٢٩	١٧٩
التمثيل التاسع والعشرون	١٧٩
النحل	١٨٣
٣٠	١٨٣
التمثيل الثلاثون	١٨٣
الإسراء	١٨٨
٣١	١٨٨
التمثيل الواحد والثلاثون	١٨٨
الكهف	١٩٢
٣٢	١٩٢
التمثيل الثاني والثلاثون	١٩٢
الكهف	١٩٧
٣٣	١٩٧
التمثيل الثالث والثلاثون	١٩٧

الحج.....	٢٠٠
.....	٢٠٠
التمثيل الرابع والثلاثون.....	٢٠٠
النور.....	٢٠٤
.....	٢٠٤
التمثيل الخامس والثلاثون.....	٢٠٤
النور.....	٢١٠
.....	٢١٠
التمثيل السادس والثلاثون.....	٢١٠
النور.....	٢١٣
.....	٢١٣
التمثيل السابع والثلاثون.....	٢١٣
العنكبوت.....	٢١٦
.....	٢١٦
التمثيل الثامن والثلاثون.....	٢١٦
الروم.....	٢١٩
.....	٢١٩
التمثيل التاسع والثلاثون.....	٢١٩
فاطر.....	٢٢٣
.....	٢٢٣
التمثيل الأربعون.....	٢٢٣
فاطر.....	٢٢٥
.....	٢٢٥
التمثيل الواحد والأربعون.....	٢٢٥

يس	٢٢٧
٤٢	٢٢٧
يس	٢٣٣
٤٣	٢٣٣
التمثيل الثالث والأربعون	٢٣٣
الزمر	٢٣٥
٤٤	٢٣٥
التمثيل الرابع والأربعون	٢٣٥
الزخرف	٢٣٧
٤٥	٢٣٧
التمثيل الخامس والأربعون	٢٣٧
الزخرف	٢٤٠
٤٦	٢٤٠
التمثيل السادس والأربعون	٢٤٠
الزخرف	٢٤١
٤٧	٢٤١
التمثيل السابع والأربعون	٢٤١
محمد	٢٤٧
٤٨	٢٤٧
التمثيل الثامن والأربعون	٢٤٧
الفتح	٢٥٠
٤٩	٢٥٠
التمثيل التاسع والأربعون	٢٥٠

٢٥٦	الحديد
٢٥٦	٥٠
٢٥٦	التمثيل الخمسون
٢٦٠	الحشر
٢٦٠	٥١
٢٦٠	التمثيل الواحد والخمسون
٢٦٢	الحشر
٢٦٢	٥٢
٢٦٢	التمثيل الثاني والخمسون
٢٦٤	الحشر
٢٦٤	٥٣
٢٦٤	التمثيل الثالث والخمسون
٢٦٦	الجمعة
٢٦٦	٥٤
٢٦٦	التمثيل الرابع والخمسون
٢٦٨	التحریم
٢٦٨	٥٥
٢٦٨	التمثيل الخامس والخمسون
٢٧٢	التحریم
٢٧٢	٥٦
٢٧٢	التمثيل السادس والخمسون
٢٧٦	الملك
٢٧٦	٥٧
٢٧٦	التمثيل السابع والخمسون
٢٧٨	خاتمة المطاف